رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الأعمال الكاملة

عبد الرحيم محمود

الديوان والمقالات النقدية

جمع وتحقيق

عز الدين المناصرة

دار جرير
للنشر والتوزيع
www.darjareer.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الاعمال الكاملة

عبد الرحيم محمود

الاعمال الكاملة عبد الرحيم محمود

محمد عز الدين المناصرة

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2008/3/796)

رقم التصنيف : 811.9564

الواصفات: الشعر العربي// فلسطين/

الطبعة الأولى 1430هـ - 2009م

حقوق الطبع محفوظة للناشر

All rights reserved

دار جرير للنشر والتوزيع

عمّان-شارع الملك حسين- مقابل مجمع الفحيص التجاري

هاتف : 4651650 - فاكس : 4643105 6 962+

ص . ب . : 367 عمّان 11118 الأردن

www.darjareer.com- E-mail: info@darjareer.com

ردمك ISBN 978- 9957 - 38 - 119-6

جميع حقوق الملكية الفكرية محفوظة لدار جرير للنشر والتوزيع عمان-الأردن ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملا أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطيا.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الأعمال الكاملة

عبد الرحيم محمود

إعداد

الدكتور محمد عز الدين المناصرة

الطبعة الأولى

1430هـ - 2009م

دار جرير
للنشر والتوزيع

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

عبد الرحيم محمود: مشروع الأعمال الكاملة:
1964 بيتاً، وستُّ مقالات نقديّة

● عزالدين المناصرة

1. (ثقافة المقاومة): ثقافة الحياة الحُرّة:

ظهر في فلسطين، قبل نكبة عام 1948، أي في النصف الأول من القرن العشرين، أكثر من خمسين شاعراً، تتفاوتُ درجات الشاعرية عندهم، وتختلف من شاعر إلى آخر: ففي مطلع القرن، كان (**الشعر الديني**)، هو المسيطر، ومنذ مطلع عشرينات القرن، كان صعود (**الشعر الوطني**)، الذي ظلّ مُسيطراً حتى نكبة 1948، أي أنّ يقظة الشعر الوطني، بدأت بعد وعد بلفور، 1917، وبداية التحالف البريطاني – الصهيوني من أجل تأسيس (دولة يهودية) على أرض **فلسطين**: (**فلسطيم الكنعانية**). وهناك دائماً، تساؤل من بعض النقاد: لماذا اختار الشعب الفلسطيني، بعد النكبة، ثلاثةَ شعراء: (**إبراهيم طوقان، عبد الرحيم محمود، أبو سلمى**) من بين خمسين شاعراً، ظهروا في النصف الأول من القرن العشرين!!، وجعلهم شُعراءَهُ المفضّلين!!. أما في الفترة الغامضة المظلمة (1948-1964)، أي المرحلة **ما بين النكبة، والثورة**، فقد اختار الشعب الفلسطيني أيضاً، شعراءه، مثل: (**هارون هاشم رشيد، يوسف الخطيب، معين بسيسو، وفدوى طوقان، وكمال ناصر**)[1] من بين عشرات الشعراء: هل تمَّ الاختيار لأسباب جمالية شعرية، أم لأسباب إديولوجية، وطنية، مناطقية... الخ. وما هو دور السلطة، النخبة الثقافية، النخبة السياسية، النخبة العشائرية والعائلية في هذا الاختيار. وما هو دور الصراع الطبقي في مركزة هذا الاختيار. طبعاً، نحتاج إلى بحث مستقل للإجابة عن هذه الأسئلة. وهذا يحتاج أيضاً إلى منهج تفكيكي **لظاهرة الاختيار**، ولكنْ، يمكن التأكيد مسبقاً، أن هذا الاختيار، لم يكن

---

(1) عزالدين المناصرة: جمرة النص الشعري، ط2، دار مجدلاوي، عمّان، 2007: انظر: فصل: (الشعر الفلسطيني الحديث).

عبثياً، أو عشوائياً. ولم يكن عبد الرحيم محمود نفسه، بعيداً عن هذه الأسئلة، فهو يتساءل في إحدى مقالاته عن **أسباب شهرة جبران خليل جبران**، وهو يعترف بأهميته كشاعر، لكنّه يتعجب لمبالغة النقاد في تعظيم جبران إلى درجة القداسة، لأن جبران، يخطئ ويصيب، ويتأثر بالشعراء الآخرين، مثل كل الشعراء، ويقول عبد الرحيم محمود أيضاً: **(يمكن لجماعة ما أن تتفق على زعيم أو رئيس في كل شيء... إلاّ الأدب)**.

- إذنْ: **عبد الرحيم محمود**، هو واحدٌ من ثلاثة شعراء كلاسيكيين، ظهروا قبل 1948، اختارهم الشعب الفلسطيني، ونخبتُهُ المثقفة: ولد هذا الشاعر في ربيع عام 1913 في بلدة (عنبتا – طولكرم)، واستشهد في معركة الشجرة ضدّ التحالف البريطاني – الصهيوني، بتاريخ، 1948/7/13. ومعنى ذلك، أنه عاش خمسة وثلاثين عاماً فقط. أمّا – إبراهيم طوقان، فقد عاش (1905-1941)، ستةً وثلاثين عاماً فقط، ورغم أنّ الشاعر الثالث: (أبو سلمى)، عاش ما يقرب من ثلاثة وسبعين عاماً، إلاّ أنّ الصورة النقدية، لهؤلاء الشعراء، لم تتغيّر في أذهان الناس، بمعنى آخر، لم تستطع سلطة النقد أو السلطة الإعلامية، أن تفصل بينهم، حيث ظلّ الربط بينهم قائماً، رغم تعدد وتنوع أساليبهم الشعرية. وهناك إقرار بأن طوقان، هو الأول، وهناك تنافُسٌ في أذهان الناس بين عبد الرحيم محمود، وأبي سلمى على المركز الثاني والثالث، خصوصاً بعد أن قُمنا، منذ (**عام 1988**)، بالكشف عن الأعمال الكاملة لعبد الرحيم محمود، إذْ أنّ قيمة عبد الرحيم محمود الشعرية، قبل هذه الطبعة، كانت منقوصة، لأنّ ما قُدّم لنا في الطبعة الأردنية، 1958، هو (**428 بيتاً**) فقط، قياساً على طبعتنا هذه، التي تصل عدد أبياتها إلى: (**1964 بيتاً**)، وستّ مقالات نقدية. ومعنى هذا، أنّ عبد الرحيم محمود، ظُلم ظلماً كبيراً بعد استشهاده، كما استُشهد مظلوماً. هنا نشير إلى (**مسألة الاستشهاد**): صحيحٌ أنّ مسألة استشهاده، جعلتْ الجماهير تتعاطف مع شخصيته البطولية، ولكنها من جهة أخرى، ظلمتْهُ (شاعراً)، حين حصرتهُ في قصيدة: (**سأحمل روحي على راحتي**)، كأنّه من شعراء الواحدة!!. ثمّ نتساءل: لقد استشهد شعراء ورسّامون، وقصاصون فلسطينيون آخرون، ولكن، لماذا بقيت أسماء الشهداء: (**عبد الرحيم محمود، غسّان كنفاني، ناجي العلي**)، وتلاشت الأسماء الأدبية والفنيّة الأخرى!!. أعتقد أنّ سبب الشهادة، لا يكفي، لكي يعترف الناس بأدبهم، وفنّهم. ونحن هنا، لا ننفي سبب

الشهادة في التعاطف النقدي، مع هذا، فمن المؤكد أن هناك أسباباً أخرى، تتعلّق بدرجات الشاعرية، لكنَّ **عبد الرحيم محمود، باستشهاده – زرعَ ثقافةَ الحياة الحُرّة**، ضدَّ ثقافة الحياة الذليلة العاجزة المحبطة التابعة. لقد اختار عبد الرحيم محمود، باستشهاده، ثقافة الكرامة، فما جدوى أن نعيش مترفين بلا كرامة!!.

– حين نقرأ شعر عبد الرحيم محمود، يمكن أن نقدّم الملاحظات التالية، بسرعة:

أولاً: قُدّم لنا عبد الرحيم محمود، منذ عام 1958، على أنه **شاعرٌ وطنيٌّ شهيد**، كتبَ بعض الأشعار الغزلية، ثمّ اكتشفنا منذ طبعة عام 1988، التي قمنا بتحقيقها، أن هذا الشاعر، قد كتب أشعاراً (**طبقية اشتراكية**)، حيث كان يمتلك حسّاً طبقياً واضحاً، لا يختلف عن أيّ شاعر يساري عفوي، بمفهوم زمنه، لكنّ هذا الحسّ الطبقي، لا يميل إلى الشعارات. ثمّ اكتشفنا، أنه شاعر، ذو حسّ (**عروبيّ، إسلامي**)، أيضاً، بمفهوم زمانه. واكتشفنا أنه شاعر (**وجوديّ، تأمّلي**)، تحت تأثير فلسفة أبي العلاء المعرّي الشعرية. فلماذا، تمّ إخفاء هذه الاتجاهات الشعرية في شعره، طيلة ثلاثين سنة (1958-1988)!!.

ثانياً: أظهرتْ النصوص المكتشفة عام 1988، أنَّ شعر عبد الرحيم محمود، يمتلك فخامةً لغوية، ومعرفة عميقة بلغة الموروث، وعندما اكتشفت مقالاته الخمس، تأكد لي، أنه مثقف عميق، **عارف بأسرار اللغة العربية**، حتى نكاد نقرر أنّ معجمه الشعري في هذه النصوص والمقالات، تراثيٌّ بالكامل.

ثالثاً: رغم أن عبد الرحيم محمود، ينتقد استخدام جبران خليل جبران، لبعض الألفاظ، والصيغ اللهجية العامية، إلاّ أنه، هو نفسه، استخدم بعض هذه الألفاظ والصيغ في شعره، وهذه مسألة نوقشت كثيراً في القرن الماضي (الصراع بين العامية والفصحى)، وبتقديري أنَّ المستشرقين، هم من روّج لهذه القضية، لكي يكون الحلّ، هو: استبعاد الفصحى والعامية العربية معاً، من أجل أن تسود الإنجليزية في المشرق، والفرنسية في الأقطار المغاربية، وبتقديري الشخصي، أنّ (**العاميّةُ، هي المنجمُ الذهبيُّ للفصحى**)، إذا ما تمّ تحويلها تدريجياً، بالتعديل، أي أن استخدام عبد الرحيم محمود لبعض الصيغ والمفردات العامية (وإنْ لم يتحول إلى ظاهرة في شعره)، كان استخداماً إيجابياً، يُحسب لصالحه.

رابعاً: هناك ظاهرتان فنيّتان مهمّتان في شعره، هما: أولاً: قدرته الفائقة على **حُسن تقسيم الجملة الشعرية**، أو البيت الشعري. ثانياً: قدرته على **صياغة السرد الشعري** (القصة الشعرية) مع احتفاظ هذا السرد، بالتوتر والكثافة الشعريين.

خامساً: مارس عبد الرحيم محمود في شعره (**النقد الذاتي**) لقيادات الحركة الوطنية، وصراعها على السلطة، كذلك نقد (غياب العدالة، وغياب الديمقراطية) في حركة الواقع الحياتي، حيث يكثر هذا النقد في قصائده، ذات المنحى الفلسفي الوجودي، بتأثير واضح من أبي العلاء **المعرّي**، وهو أيضاً تلميذ (**المتنبّي**) في الفروسية.

سادساً: يقرأ عبد الرحيم محمود، حركة الواقع في شعره، وهو يمتلك منظور الرائي للمستقبل: (**المسجدُ الأقصى أجئتَ تزورُهُ... أمْ جئتَ من قبل الضياعِ تُودّعُهْ**– 1935)، أوْ:

يـا شـعبُ يـا مـسكينُ لمْ ... تُنكـبْ بنكبتـكَ الـشعوبُ
قلّـدتَ أمـركَ مَـنْ بهـمْ ... لا يرجـعُ الحـقُّ الغَـصيبُ
لهفـي عليـكَ ألا تـرى ... يا شعبُ حولَـكَ، مـا يُريـبُ !!

– إذنْ: الشاعر عبد الرحيم محمود، شاعر عروبيٌّ، طبقيٌّ، إسلاميٌّ، تأمليٌّ، وطنيٌّ، مُتعدّد، رغم أن الشائع هو أنه (شاعر وطني)، فقط!!. وأعتقد أنّ ما أُعجب به الشعراءُ الفلسطينيون الحديثون، الذين برزوا مع ظهور منظمة التحرير الفلسطينية، عام 1964: (**عزالدين المناصرة، محمود درويش، سميح القاسم، أحمد دحبور، مريد البرغوثي، ومحمد القيسي**) في شعر الثلاثي الكلاسيكي، (إبراهيم طوقان – عبد الرحيم محمود – أبو سلمى)، هو أنّ هذا الثلاثي تعلّمنا منه: عشق فلسطين: مأساةً ومكاناً، وتعلّمنا من هذا الثلاثي، أيضاً: الميل إلى (النقد الذاتي)، بدرجات متفاوتة، بل وأُعجبنا أيضاً، (على عكس ما قاله أحد النقاد) – بسخرية **المفارقة** في نصوصهم، التي تنبع من هذا النقد الذاتي التراجيدي.

* * *

لقد ركّزت الدراسات كافة على عبد الرحيم محمود (الشاعر الشهيد) الذي آمن ومارس فكرة الكفاح المسلح، وحبه للشهيد **الشيخ عزالدين القسام**، صاحب الصيحة المشهورة: (**موتوا شهداء**). وحين استشهد الشيخ القسام وعدد من رفاقه في 1935/11/19، واحتفل بتشييع

جثمانهم في حيفا احتفالاً تظاهرياً كبيراً في مسيرة – 10 كيلومترات من حيفا إلى المقبرة في (بلد الشيخ) – شارك عبد الرحيم محمود في هذا الموكب، كما يشير حنّا أبو حنّا، إلاّ أنّ الجديد الذي يضيفه حنّا أبو حنّا في مقدمته، هو التأكيد على الجانب الاجتماعي أو الاتجاه اليساري العفوي في شعر عبد الرحيم محمود، ويشرح (**حنّا أبو حنّا**)، ذلك على النحو التالي: (لقد توطّدت صداقات – عبد الرحيم محمود – مع **الفئات اليسارية**، التي التقاها في الناصرة – وكان يأتي للإقامة فيها في العطل الصيفية – **صديقه فؤاد نصار**، كان يدير مكتبة فيها من الكتب والمجلات اليسارية والاشتراكية، مما كان يصدر في أنحاء العالم العربي. وكانت هذه المكتبة ملتقى فكرياً، يجتمع فيه المثقفون يناقشون شتى الشؤون الفكرية والوطنية. وكان أصدقاء عبد الرحيم محمود في الناصرة أيضاً من أعضاء (**عصبة التحرر الوطني**) النشيطين في (نادي النهضة) في المدينة. وبرز هذا البعد في قصائده التي يتحدث فيها عن آلام الطبقة العاملة وآمالها، والتي شرع بنشرها في **جريدة (الاتحاد)** منذ سنتها الأولى في آب/1944، كذلك، صدرت عن (رابطة المثقفين العرب) اليسارية **مجلة (الغد)**، في القدس في تموز/1945. وفي العدد الأول منها تحية شعرية من عبد الرحيم محمود بهذه المناسبة، بعنوان (**فلا تسلموا الأمر عميانها**)، بتوقيع (ع.م) في صفحة مواجهة لمقال بقلم فؤاد نصار. ويوالي عبد الرحيم محمود النشر في (الغد) باسمه الصريح حيناً، وبالإشارة (غير الصريحة حيناً آخر). ويضيف **حنّا أبو حنّا**: (تعرّفت إلى (أبي الطيب) في الناصرة في العطلة الصيفية سنة 1946: كان يلبس القمباز العربي والكوفية ويلتفّ حوله في (نادي النهضة) عدد من الأصدقاء... كان مجلسه في نادي النهضة أو في (مقهى العين)، مشهوداً تحس فيه تقدير جلسائه ومحبتهم له، فقد تميّز بالإخلاص والشهامة). ثم يضعنا **حنا أبو حنا**، في طقس تلك الأيام، فيقول: (أثارت الحرب العالمية الثانية اهتمام المثقفين في بلادنا للتعرف إلى الأبعاد الفكرية والأيديولوجية، التي انطوى عليها الصراع بين المحور النازي من جهة، وبين الحلفاء ومنهم الدول الاشتراكية – الاتحاد السوفييتي. وقد أتيح للقوى اليسارية شيء من حرية العمل. ومن ناحية أخرى قويت الطبقة العاملة وقوي تنظيمها، وكان (**مؤتمر العمال العرب**)، محوراً استقطب فئات واسعة من الهيئات العمالية، وصدرت جريدة (الاتحاد) لساناً لهذا المؤتمر. وانتظم المثقفون الواعون في (**رابطة المثقفين العرب**)، التي أنشأت

لها فروعاً في مختلف أنحاء البلاد – وكانت مجلة (الغد) منبراً لها. وقد انعكس هذا الواقع على الشعر الفلسطيني – والأدب الفلسطيني عامة – آنذاك. وأقيم الاتصال الثقافي بين الفئات اليسارية والتقدمية في **مصر والعراق وسوريا ولبنان**، ودُعي – **محمد مهدي الجواهري** إلى فلسطين، حين ألقى قصيدته المطولة (عالم الغد). ونشرت الصحف في فلسطين، شعر (**كمال عبد الحليم**) وغيره من شعراء مصر التقدميين، وبرز في الشعر الفلسطيني، صوتان رئيسان يعقدان الأمل على الطبقة العاملة، بل إن رؤيتهما اقترنت برؤية **الطبقة العاملة** على أنها العمود الفقري في الكفاح ضد الاستعمار البريطاني، هذان الصوتان هما: **صوت عبد الرحيم محمود، وصوت أبي سلمى – (عبد الكريم الكرمي)**، وكان كلاهما مؤازرين لرابطة المثقفين العرب ومواقفها. وقد نشرا في (الاتحاد) و(الغد). وشاركا في المهرجانات والمؤتمرات العمالية بإلقاء الشعر). ولقد أشار إبراهيم عبد الستار لهذا المنحى اليساري لعبد الرحيم محمود – في كتابه (شعراء فلسطين العربية في ثورتها القومية) الصادر في حيفا عام 1947. حيث يقول: كان عبد الرحيم محمود (إشتراكي النزعة ذي مبدأ ومذهب في الحياة الإنسانية).

– أمّا (**مروان راضي الطاهر**)، فقد أجاب في رسالة له، أرسلها لي، ردّاً على أسئلة، بما يلي:[1]

أولاً: أول علاقة شعرية لي مع المرحوم عبد الرحيم محمود تعود إلى عام 1943 في الاحتفال بالعيد الفضي لكلية النجاح في نابلس، حيث شارك في هذا الحفل الشعراء: **أبو سلمى– وديع البستاني – عبد الرحيم محمود – محمد العمد**. فانطلاقاً من هذه اللحظة الجميلة التي عشتها، بدأت رحلتي مع أستاذي عبد الرحيم محمود، كمدرس ومرب فاضل، وموجه، وصديق مخلص. لقد لازمتُ عبد الرحيم ملازمة حميمة، وكنت حافظاً لشعره. وكنت أرافق ميلاد كل قصيدة تقريباً، أطلع عليها قبل إنشادها في المهرجانات أو نشرها في الصحف. لقد زرت عنبتا (طولكرم) بعد استشهاده عام 1948، وقابلت شقيقه الأصغر نجيب (أبو عصام)، وأطلعني على **مذكرات عبد الرحيم عن جيش الإنقاذ وحرب**

---

(1) شهادة مُستلة من رسائل **مروان الطاهر (في السعودية)** إلى **عزالدين المناصرة (في الجزائر)** – في الفترة: (**1982–1987**).

1948. كان الشيخ محمود عبد الحليم عبد الله (والد الشاعر) من **فرع الفقهاء في عنبتا**، الذين اشتهروا بانحيازهم للمذهب الحنبلي. وكان الشيخ نفسه شاعراً مُجيداً في فترته، حيث تخرج من الأزهر الشريف.

ثانياً: ولد الشاعر عبد الرحيم محمود **عام 1913 في (بلدة عنبتا – طولكرم)**، في أسرة متدينة متوسطة الحال. أنهى دراسته الابتدائية في مدارس القرية عام 1925، ثم انتقل إلى طولكرم، حيث أكمل المرحلة المتوسطة. ثم التحق بكلية النجاح في نابلس عام 1929-1930)، ليكمل دراسته الثانوية، فدرس سنتين حتى عام 1931، منهياً الصف السادس الاستعدادي. وكان من المتميزين في اللغة العربية والدين والتاريخ. وبعد الانتهاء من الدراسة الثانوية، التحق **بمدرسة البوليس الفلسطيني** (1931-1932)، لمدة عام واحد، ثم استقال من الخدمة عام 1933، نظراً لرفضه الانصياع لأوامر مدير البوليس البريطاني.

ثالثاً: عاد الشاعر عام 1933 إلى نابلس مرةً ثانية، والتحق بهيئة التدريس في **كلية النجاح**، وظل أستاذاً فيها حتى أواخر عام 1937.

رابعاً: التحق الشاعر عبد الرحيم محمود **بالثورة الفلسطينية**، تحت قيادة المجاهد الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد. وكان الإنجليز يتعقبون الشاعر من أجل القبض عليه. فارتحل الشاعر إلى **دمشق** ثم إلى **بغداد**، وهناك اتصل بسماحة الحاج أمين الحسيني، الذي ساعده في دخول **الكلية العسكرية ببغداد**. ومكث فيها عاماً واحداً حيث تخرج منها برتبة ملازم ثان، وكان ذلك في عام 1939-1940. وهناك في بغداد تعرف إلى الشهيد عبد القادر الحسيني بطل (معركة بني نعيم الكبرى)، عام 1938، و (بطل معركة القسطل)، التي استشهد فيها. ثم التحق عبد الرحيم محمود (مدرساً) ومديراً لمدرسة ابتدائية في (**العشار – البصرة**). وقد أكد لي هذا (والكلام لمروان الطاهر) – الشاعر العراقي **كاظم جواد**. وكان هذا في العام 1940-1941. وعندما قامت ثورة **رشيد عالي الكيلاني** في العراق في أبريل، عام 1941، التحق الشاعر بالثورة في 1941/6/18، ثمّ عاد الشاعر إلى **فلسطين**، قاطعاً الصحراء العراقية السورية.[1]

---

(1) يقول الروائي والمترجم الفلسطيني جبرا إبراهيم جبرا، أنّ عبد الرحيم محمود، شارك في ثورة الكيلاني في معركة (سنّ الذبّان)، أيار، 1941.

خامساً: عاد إلى التدريس في **كلية النجاح بنابلس** في أكتوبر 1941 وحتى 1947. وتزوج عام 1942 من ابنة خاله (**محفوظة نصار**)، حيث أنجب: **الطيب، وطلال، ورقية**. وكانت فترة (1941-1947) من أخصب سني حياته، حيث نضجت شاعريته.

سادساً: ما إن صدر قرار التقسيم عام 1947، ودخلت الجيوش العربية فلسطين لإنقاذها، حتى قدم الشاعر استقالته من التدريس، والتحق **بجيش الإنقاذ**. وشارك الشاعر في عدة معارك، حتى استشهاده في **معركة الشجرة في 1948/7/13**. وقد دفن في **مدينة الناصرة** التي أحبها وأحبته. (**انتهى كلام مروان الطاهر**).

- **أساتذة عبد الرحيم محمود** في (مدرسة النجاح)، كثيرون، ومنهم: قدري طوقان، ممدوح السخن، علي نويهض، عمر فرّوخ، إبراهيم طوقان، زكي النقّاش، عبد الحميد السائح، أكرم زعيتر، محمد العدناني، محمد عزّت دروزة.
- أمّا **أصدقاء عبد الرحيم محمود**، فمنهم: إبراهيم طوقان، عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى)، محمد العدناني، حسن البحيري، محمد العمد، سيف الدين الكيلاني، مروان راضي الطاهر، الشاعر العراقي معروف الرصافي، (الشاعر الطبيب) السوري وجيه البارودي (حماة)، عبد الهادي كامل، عبد الرزاق رشيد، فدوى طوقان، الشهيد عبد القادر الحسيني، والشهيد حسن سلامة، وفؤاد نصّار، وخيري حمّاد، وعارف عبد الرزاق، وجمال الحسيني، ودرويش المقدادي، وأمين عادل التميمي، وصبحي أبو غربية، ومحمد إسحق درويش، ومأمون السيلاوي... وغيرهم كثير.

2. نقدُ الطبعات السابقة: *

نستطيع الآن، وبعد جهود امتدّتْ منذ يناير/1982 في بيروت... وحتى عام 1993 — نستطيع القول — إننا قد قمنا بتأسيس مشروع الأعمال الكاملة للشاعر الفلسطيني الشهيد

---

* — **مقدمة الطبعة الأولى، دار الجليل، دمشق، 1988. وقد نشرت (هذه المقدمة) في مجلة الحرية بتاريخ 1985/6/30، وبلغت أبيات الطبعة الأولى (1874 بيتاً). أما في في الطبعة الثانية (دار الكرمل، عمان، 1993)، فقد بلغ عدد الأبيات، (2065 بيتاً شعرياً)، وستّ مقالات نقدية.**

عبد الرحيم محمود (1913-1948). وهذا المشروع يتكون من: 76 قصيدة، يصل مجموع عدد أبياتها إلى - **(1964) بيتاً شعرياً**. ويمكن تحديد عدد الأبيات، التي أضيفت وتنشر لأول مـــرة، بأكثر من **ألف بيت شعري**. كما يمكن تحديد عدد القصائد التي تنشر لأول مرة، بتسع وعشرين قصيدة.

- ومعنى هذا أنّ طبعتنا هذه، تفوق (طبعة مركز إحياء التراث) في الطيبة بالمثلث (913 بيتاً)، بتحقيق الأستاذ حنا أبو حنا، الصادرة عام - 1985 - بنـــسبة الـــضعف أو يزيـــد، باعتبارها أفضل طبعة صدرت من بين الطبعات الأخرى السابقة. وقد تميزت طبعتنـــا هـــذه باكتشاف مثير لخمس مقالات نقدية طويلة، تنشر لأول مرة، وكانت قد نشرت في مجلـــة الأمالي البيروتية في نهاية الثلاثينات، باسم مستعار هو (مريم). أما المقارنـــة مـــع الطبعـــات الأخرى: الأردنية-1958، كامل السوافيري-1974، مكتبة بلدية نابلس-1975، نافع عبد الله -1979... فهي تظلم واضعي هذه الطبعات، باعتبارهم قد بذلوا جهداً ملموساً، تميّـــز بحسن النيّة.

- بدأ العمل في هذا المشروع، منذ مطلع عام 1982 في بيروت[1]. وفي مـــارس/1982 بالتحديد، كنتُ قد أمسكت بطرف الخيط، ولكن في ظل ظروف عامة صعبة، حيث كانـــت دولة (إسرائيل) غير الشرعية، قد بدأت قبل ذلك تهديداتها بإشعال الحرب. وفي ذلك الوقـــت بدأت مراسلاتي مع الأستاذ مروان راضي الطاهر، المقيم في السعودية. كما أجريت اتصالات مع بعض أصدقاء الشاعر وتلاميذه. كما قمت بمراجعة وتصوير نتاجات عبد الرحيم محمود الشعرية والنثرية المنشورة في مجلة الأمالي البيروتية. وفي حصار بيروت، وصلت شظية من قذيفة إسرائيلية إلى مكتبي، حيث استلقت على أوراق عبد الرحيم محمود بالتحديد، فقد كان منزلي مواجهـــاً تماماً للمدينة الرياضية. وخرجنا من بيروت عراةً في البحر الأبيض المتوسط. وتناثرنا في المنافي، لكنني استطعت تجديد الأمل بالعمل مرة أخرى في هذا المشروع. وفي أيار/1985، كنت قـــد

---

(1) بدأ اهتمامي بفكرة جمع وتحقيق أعمال عبد الرحيم محمود، عندما كنتُ أعمل (محرّراً ثقافياً) بمجلة (**فلسطين الثورة**) في الفترة (**1974-1977**)، آنذاك نشرتُ بعض قصائد ومقطوعات الشاعر (غير المنشورة). وتأكّدتُ تمامـــاً، أنّ - ما نُشر قبل ذلك، ليس ديوانه الحقيقي!!.

انتهيت من إعداد الطبعة الأولى، **فوجئت بعدها بكنز ثمين جديد من القصائد والمخطوطات**. وكدت أدفع بما لدي للطباعة للمرة الثانية، لكنني فوجئت مرة أخرى، بخبر في إحدى الصحف، يقول بصدور طبعة جديدة من ديوان عبد الرحيم محمود في المثلث – الطيبة بفلسطين، بتحقيق **الأستاذ حنا أبو حنّا**. وهنا قررت إرجاء الطبع. وفي 22/سبتمبر/1985، تلقيت نسخة من هذه الطبعة، فقمت على الفور بالمقارنة والتدقيق، فلم أجد فيها شيئاً غير موجودٍ عندي سوى أربع قصائد، تتكون في مجموعاتها من – **60 بيتاً**، وهي:

1. ثورة العالمين – 21 بيتاً.
2. حوشوا البنات – 22 بيتاً.
3. نشيد – 10 أبيات.
4. أبيات متفرقة – 7 أبيات.

حيث قمنا بإضافتها إلى طبعتنا هذه. ثم اطلعت عام 1993 على مخطوطة لديوان عبد الرحيم محمود بخط يد الصديق **أحمد فريع (أبو علاء)**، مدير عام مؤسسة صامد الفلسطينية، وحصلت منها على (**53 بيتاً جديداً**). وبهذا تكوّن الديوان من (76) قصيدة تتكون من: (1964 بيتاً)، وبطبيعة الحال لا يمكن المقارنة في مجال (عدد القصائد)، مع الآخرين، لأن من سبقوني وقعوا في خطأ تجزيء بعض القصائد إلى عدة قصائد، انطلاقاً من **أبيات متفرقة**، سموها قصائد، وهي في الحقيقة تكوّن قصيدةً واحدة أحياناً، لهذا قمت بدمج بعض الأبيات المتناثرة، التي سموها قصائد في مكانها الصحيح من نصوص أخرى. كما أن من سبقوني تبنوا قصائد ليست لعبد الرحيم محمود مثل **قصيدة (الخذلان)**، التي تبناها نافع عبد الله، ونقلها عنه حنا أبو حنا، بينما قمت بحذفها، لعدم وجود أي دليل يثبت صحة نسبتها لعبد الرحيم محمود، ولأن الأسباب التي قدمها نافع عبد الله، وتبناها حنا أبو حنا غير مقنعة. بينما أوافق حنا أبو حنا على تبنيه لقصيدة (ثورة العاملين)، لأن ما قدمه من أسباب، تبدو لي مقنعة.

– لتحقيق ما نشر سابقاً، لجأنا إلى المراجع التالية:

أولاً: الطبعة الأردنية – 1958:

تتميز هذه الطبعة بميزة إيجابية واحدة، وهي أنها كانت أول التفاتة لشعر عبد الرحيم محمود... ولجنة التكريم الأردنية تشكر على الجهد الذي قدمته. لكن هذه الطبعة أعطت **انطباعاً سلبياً**، حول شخصية عبد الرحيم محمود الشعرية. فالقصائد المنشورة تعطي انطباعاً سلبياً بأنّ عبد الرحيم محمود، ظلّ طيلة الفترة من صدور الديوان عام 1958 وحتى عام 1988، أقلّ أهميةً من زميليه. وسأعترف أنني كنت من الذين تأثروا بهذا الانطباع، إذ كنت أعتبر أن عبد الرحيم محمود أقل أهمية من إبراهيم طوقان وأبي سلمى مثلاً من الناحية الشعرية، ثمّ تبيّن لي عكس ذلك. لقد مورست (**الرقابة**) على شعر عبد الرحيم محمود أكثر من مرة: مرة حين كان أصدقاء عبد الرحيم محمود، يحاولون نشر بعض قصائده في الخمسينات، حيث كانت الرقابة على الصحف، تحذف أبياتاً وتجيز أبياتاً أخرى، وحدثت الرقابة مرة أخرى حين مارست لجنة التكريم الأردنية عام 1958، حقاً ليس لها، حيث مسخت القصائد بالحذف والتشطيب. وهذه التشطيبات بخط أحد أعضاء اللجنة، وأعتقد أنه صديقنا الأستاذ عيسى الناعوري[1]. كما قامت اللجنة بإخفاء قصائد هامة وقوية جمالياً، بينما نشرت قصائد أقل قوة. تقول اللجنة:

(... ونودُّ أن نعترف هنا أن اللجنة، لم تر من الصواب، أن تجمع في هذا الديوان كل قصائد الشاعر – ولا حتى القسم الأكبر منها – ولم تر كذلك أن تنشر كل قصيدة له بأكملها، بل آثرت أن تترك ما تجده (ضعيف الصياغة أو المعنى)، سواء أكان ذلك الضعف في قصيدة كاملة، أو في أجزاء أو أبيات من القصيدة. وهكذا اجتمع في هذا الديوان أحسن القصائد التي نظمها عبد الرحيم محمود وأمتنها صياغة وأجودها معنىً، وأدلها على روح عبد الرحيم محمود القوية المجاهدة المحبة للجمال والعدالة والإنسانية).

---

(1) قرأ المرحوم الصديق عيسى الناعوري – وجهة نظري، أثناء حياته، وعلّق قائلاً: (لي وجهة نظر، ولك وجهة نظر، مع هذا فأنا حسن النية). – انظر: مقالة عزالدين المناصرة في: **مجلة الحريّة الفلسطينية، دمشق، عدد، 1985/6/30**. وانظر (لاحقاً) – نفس المقالة مع التعديل في: **جريدة القبس الكويتية، عدد 1988/4/25**.

لكن من سوء حظ اللجنة، أنني استطعت الحصول على النصوص التي قامت بحذفها، فالنصوص المحذوفة تفضح سرّ الحذف وأسبابه، وتؤكد عكس ما تزعمه اللجنة عام 1958، فقد تم الحذف لأسباب مزاجية شخصية. والأهم من ذلك تم الحذف لأسباب سياسية وإيديولوجية، وتم ذلك انطلاقاً من مراعاة اللجنة للظروف السياسية في الأردن عام 1958، ولكن هذه — المراعاة — جاءت للأسف على حساب الأمانة العلمية، وعلى حساب تراث الشاعر والشهيد. ومن المؤسف أيضاً أن صديقي الأستاذ عيسى الناعوري عاد في عام 1985، أي بعد — 27 سنة — من الخطأ، إلى الإصرار على تبريراته وأسبابه، حيث يقول: (... **فلم تشأ اللجنة أن تقدم ديواناً ضخماً يحوي الغث والسمين**).[1]

إننا نقدم هنا في طبعتنا هذه، ما يسميه الأستاذ الناعوري (بالغث والسمين) من القصائد، ونترك الحكم النقدي للمثقفين، ليتأكدوا بأنفسهم أن ما حذف في معظمه هو من النوع (السمين)، وللأسباب التي ذكرتُها. ويبقى بعد ذلك أن أنبه إلى نقطة خطيرة وهي أن أصدقاء اللجنة: أخفوا قصائد ومذكرات سياسية هامة، كما قاموا بدس بعض القصائد بين أوراق الشهيد، وهذه القصائد المدسوسة تم تسريبها من قبل بعض المتعاونين مع اللجنة، وهي ليست من تراث الشاعر، بل تم توزيع نسخ منها للتغطية على القصائد المختفية التي تتناقض مع الخط السياسي للقصائد المدسوسة. ويقصد من ذلك جر الباحثين إلى مجال الحوار حول هذه القصائد المدسوسة.!!!

ثانياً: طبعة كامل السوافيري — 1974:

أسوء ما في هذه الطبعة — التي **أشرف على إصدارها الاتحاد العام للكتاب والصحافيين الفلسطينيين في بيروت** — هو مقدماتها الكثيرة وغير المفيدة على الإطلاق، والتي تزيد على ست مقالات، إضافة للأخطاء الطباعية وغير الطباعية. كذلك **اعتماد الصديق كامل السوافيري، اعتماداً كلياً على — الطبعة الأردنية —** إلى درجة الإعجاب، حيث لم يضف الصديق كامل

---

(1) انظر: عيسى الناعوري: (الدستور) الأردنية بتاريخ 1985/8/9.

السوافيري للطبعة الأردنية سوى (68) بيتاً بعد (16) عاماً من صدور **الطبعة الأردنية**، التي تكونت من: **428 بيتاً فقط**. وقد رجع السوافيري إلى (15) مرجعاً... فكيف يقول: إنه جمع قصائد الديوان!!. والأدهى من ذلك، ذلك الأسلوب الإنشائي غير المفيد في المقدمات... وسأضرب مثالاً واحداً على ذلك. يقول السوافيري عن الشعر الفلسطيني قبل عام 1948: (...**ولطالما أرّقتْ قصيدة واحدة منه أجفان جنود بريطانيا، وأقضت مضاجعهم وعكرت صفو أمن البلاد، وأثارت القلاقل والاضطرابات**...). وكنا نتمنى لو أن صديقنا الأستاذ السوافيري، نشر مقالاً واحداً فقط من المقالات الست، وهو الخاص بذكر المصادر التي استقى منها وطريقة تحقيق النصوص، بدلاً من الخلط بين الفعل الإبداعي وبين الفعل الثوري، وبدلاً من وصف ثورة 1936 (بالقلاقل والاضطرابات)، وبدلاً من الحديث عن جغرافية وتاريخ فلسطين، وبدلاً من الإنشاء الذي لا يفيد النصوص إطلاقاً. والأهم من ذلك أنه يسمي أبياتاً من إحدى قصائد عبد الرحيم محمود (من شعر عبد الرحيم محمود)، وكأن كل الديوان ليس لعبد الرحيم محمود، ثم لأن هذه الأبيات ليست قصيدة مستقلة. إنها جزء من قصيدة (في حالة غضب). كذلك زعم السوافيري أنه رجع إلى مجلة (الأمالي) البيروتية (انظر مثلاً: هامش قصيدة الشهيد). ومع هذا **فنحن نؤكد أن السوافيري لم يرَ مجلة الأمالي إطلاقاً**، لأنه لو رجع لهذه المجلة، لاكتشف أن عبد الرحيم محمود، لم ينشر قصيدة الشهيد فقط في هذه المجلة، بل نشر 12 قصيدة وخمس مقالات. فكيف وجد السوافيري (قصيدة الشهيد) ولم يجد غيرها؟؟!!. ولا نريد أن نقول ما هو أكثر من ذلك عن طبعة السوافيري!!.

ثالثاً: طبعة مكتبة بلدية نابلس – 1975:

هذه الطبعة مزيج من النصوص الشعرية والتأريخ لحياة الشاعر وبعض التعليقات الإنشائية على القصائد. وقد اعتمدت أيضاً على الطبعة الأردنية وعلى بعض الإضافات من الرواة وهي قليلة. كما لم تطلع على طبعة السوافيري. كما لم ترجع هذه الطبعة مباشرة إلى مجلة الأمالي البيروتية. ولهذا جاءت ناقصة من حيث النصوص، لكن ميزة هذه الطبعة، أنها لم تزعم أنها

قدمت ديوان عبد الرحيم محمود، لأن طبعة مكتبة بلدية نابلس، لم ترفع شعار إعادة تحقيق ديوان عبد الرحيم محمود.[1]

رابعاً: مجلة الأمالي البيروتية:

صدرت مجلة الأمالي البيروتية (1938-1941) في بيروت، وكان صاحب امتيازها ورئيس تحريرها هو الدكتور عمر فروخ. وقد نشرت المجلة (12) قصيدة للشاعر عبد الرحيم محمـــود. ويجد القارئ هذه المجلة في مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت تحت رقم: 059-A48aA.

خامساً: طبعة نافع عبد الله – 1979:

هذا الكتاب عبارة عن (أطروحة ماجستير)، قدمها مؤلفها في الجامعة اليسوعية في بيروت قبل نشرها بسنوات. وهي – كما هو واضح – قدمت من أجل (**جمع وتحقيق**) نصوص الشاعر الشعرية والنثرية، إضافة لدراسة شعر الشاعر وسيرته الذاتية. وما يهمنا طبعاً هو – النـــصوص الشعرية والنثرية – وهي هدف أساسي للأطروحة. وميزة هذه الطبعة تتمثل في انتباه المؤلـــف – نافع عبد الله – للنتاج الشعري الذي نشره عبد الرحيم محمود في مجلة الأمالي. إضافة للقليل من القصائد المنشورة في الصحف الفلسطينية، ومن الرواة. وهي بلا شك أفضل من المحـــاولات السابقة، ولكن:

أولاً: نشر نافع عبد الله عدداً من القصائد التي لا تتجاوز بيتاً أو بيتين أو حتى نصف بيت علـــى أنها قصائد مستقلة واحتسبَ هذه الأبيات كقصائد كاملة مستقلة، مع أنّ الأفضل، هـــو دمجها مع المقدمة، حتى تثبت صحتها ومكانها الصحيح.

لقد اعتبر المؤلف أنّ مقطع (تمور البصرة)، يشكل قصيدة مستقلة، وقد أثبتُّ أن هذا المقطع هو إحدى لزوميات قصيدة اللزوميات. ونشر قصيدة (عيد الجامعة العربية) ناقصة... ثم نـــشر

---

(1) ساهمت الصديقة المرحومة القاصة (باسمة حلاوة) في تحرير (طبعة بلدية مكتبة بلدية نابلس) مساهمة أساسية.

قصيدة (طريق الحياة) على أنها قصيدة مستقلة. مع أنها أبيات من القصيدة الأولى، ثم هو يخطئ في ذكر مناسبة الأبيات.

ثانياً: لقد رجع الباحث بنفسه إلى مجلة الأمالي... ومادام قد قدم أطروحته في بيروت، (الجامعة اليسوعية)، فهو لم يخطر بباله أن يسأل رئيس تحرير المجلة – عمر فروخ – الموجود في بيروت أيضاً، ما دام الباحث قد وضع فصلاً من أطروحته بعنوان (المقالات)، إلاّ أنه عثر على مخطوط لمقال واحد ناقص – من خارج الأمالي، فلم يخطر بباله أن كنزاً ثميناً من مقالات عبد الرحيم محمود، موجود في الأمالي نفسها – أعني مقالات عبد الرحيم محمود النقدية، الموقعة باسم مستعار هو (بقلم: مريم)... ما دام المؤلف نفسه قد عاد إلى قصائد منشورة باسم مستعار هو (س)، واهتم بالتحقّق من نسبتها للشاعر.

ثالثاً: تبنى المؤلف – قصيدة (الخذلان) – 23 بيتاً – المنشورة في مجلة الأمالي – السنة الأولى – العدد 48 – سنة 1939، بتوقيع (**س... دمشق**)، معتمداً على إشارة أخرى، وهي أن الشاعر سبق أن وقع بتوقيع (س) تحت قصيدته المعروفة (نفس الشريف) في الأمالي – عدد (2) سنة 1938. ويضيف نافع عبد الله قائلاً:

(لأن الشاعر غادر فلسطين إلى دمشق بعد توقف الثورة وهو حائر، ولأن القصيدة من الناحية الفنية تتفق مع روح شعره). ورغم أنّ هذه القصيدة، تتشابه مع شعر عبد الرحيم محمود، فعلاً، إلاّ أنني أعترض اعتراضاً كبيراً على هذه القصيدة، **أولاً**: لأن مجلة الأمالي نفسها، نشرت في **عددها العاشر**، قصيدة مترجمة للشاعر الفرنسي لامرتين بتوقيع (**س... دمشق**)... فلماذا لم يضفها نافع عبد الله إذن؟!!!. ونشك كذلك في صحة نسبة هذه القصيدة لعبد الرحيم محمود، **ثانياً**: لأن عمر فروخ في رسالته الموجهة لأديب مهيار بتاريخ 1954/6/18، لم يورد هذه القصيدة ضمن قصائد الشاعر المنشورة في الأمالي.

لهذا نكتفي هنا، بنشر قصيدة الخذلان في هذه المقدمة، حتى يتم التثبُّت من نسبتها إلى عبد الرحيم محمود:

الخذلان:[1]

غَرِّدي يا طيورُ نغْمَةَ خُلْدٍ ... وانشدي القَلْبَ مُسْتَرَقَّ الأغاني
سَكِّني قلبيَ الحزينَ فإنّ الـ ... ـصَّدْرَ أوْدَى من شِدَّة الخَفَقان
إنَّ من شَدْوِكِ المُمِضِّ لَسِرّاً ... ثارَ في صوب دَمْعِيَ الهَتَّان
ليتَني كنتُ طائراً يَتَغَنّى ... بِلُحونِ الأسى على الأفْنان
أنا طيرٌ قَدْ فُضَّ مِنّي جناحي ... وَفُؤادي قد هامَ بالطَّيران

* * *

مَنْ مُقيلي من عَثْرَتي، فَبِنَفْسي ... زَفَراتٌ يُفْحِمْنَ كلَّ بَيان
لَهْفَ نفسي وَألفَ لَهْفٍ على مَنْ ... ضَيَّعَ العُمْرَ سادراً بالأماني
قُلْ له: لا تَفُتْكَ قوةُ منْطِقٍ ... ولا شاعرٍ رقيقِ المعاني

* * *

قد تَبَدَّتْ لِيَ الحياةُ شقاءً ... وأنا في شَبابيَ الرَّيّان
ورمتني فَوادِحُ الدَّهْرِ حتّى ... صرتُ في الدَّهرِ كالأسيرِ العاني
يَرْقُبُ الموتَ كلَّ مَطْلَعِ صُبْحٍ ... ويرى النّطعَ فوق كلِ مكان
عَصَفَتْ صَرْصَرُ الحياةِ بنَفْسي ... فَعَفَتْها وَهَدَّمتْ لي كياني
ورمتني بين الورى أتَلَظَّى ... بِسَعيرِ الآلامِ والأحْزان
مَنْ شفائي إذا السّقامُ توالى ... وَضيائي إذا الظلامُ عَراني؟
أَنْظِمُ الشّعْرَ من عذابي فَأبكي ... والقَوافي مَذَلّتي وامتهاني...
نكأ الحزنُ من فؤادي جِرا (م) ... حاتٍ تلظّى كَشُعْلَةِ النيران
إنّ حظّي من الحياة بأن ... أبْقَى وحيداً في حَيّزِ النُّكران
هكذا قَسَّمَ الإلهُ البرايا ... فأتَتْ قِسْمَتي بما أبْكاني

---

(1) مجلة (الأمالي) اللبنانية، العدد 48، 1939.

جَعَـــلَ الجاهـــلَ الغـــبيَّ ســـعيداً ... يتبـــاهى بـــالخزِّ والطَّيْلَـــسانِ
والأديبَ الأريـــبَ يَـــرْزَحُ في البُـــؤْسِ ... وَيَـــشْقَى في عَـــالَمِ الحِرْمَـــانِ

* * *

غرّدي يـــا طيـــورُ، فالقلـــب أغْفـــى ... ليس يَصْحو مـــن سَـــكْرة الخِـــذْلانِ
وانـــشديني لَحْـــنَ العَـــزَاء، فـــإنّي ... مُتُّ مـــن لَـــوْعتي وَمِـــنْ أشـــجاني !

سادساً: طبعة – حنّا أبو حنّا – 1985:

هذه الطبعة هي نتاج عمل مشترك، أشرفت عليه (**لجنة خاصة بدعم من مركـــز إحيـــاء التراث في الطيبة – المثلث – بفلسطين**). وقد أضافت هذه الطبعة على الطبعات السابقة بعض الأبيات. ولقد استفدنا من هذه الطبعة ما مجموعه (60 بيتاً) فقط من أربـــع قـــصائد ليـــست موجودة لدينا. ورغم أن هذه الطبعة نسخت ما قبلها بالفعل، إلاّ أن ملاحظاتنا عليها تتمثل في التالي:

أولاً: إن مجموع ما قدمته هذه الطبعة هو (913 بيتاً شعرياً)، أي نصف ما قدمناه في طبعتنـــا هذه. ولهذا نقول إن طبعة مركز إحياء التراث، ناقصة أيضاً.

ثانياً: تبنت هذه الطبعة قصيدة – الخذلان – 22 بيتاً، نقلاً عن نافع عبد الله، دون تحقُّق، مع أن هذه القصيدة قد لا تكون لعبد الرحيم محمود.

ثالثاً: قالت هذه الطبعة أن قصيدة (نحن المصادر والموارد)، هي من الإضافات الجديدة (انظـــر: ص314). ونحن نستغرب ذلك، لأن هذه القصيدة منشورة سابقاً في الطبعات الـــسابقة (انظر: نافع عبد الله، صفحة 156)، وهي منشورة أيضاً في الطبعة الأردنيـــة وفي طبعـــة السوافيري وفي الطبعة النابلسية، فكيف تكون من الإضافات الجديدة!!.

رابعاً: تسمي هذه الطبعة، مجموعة من الأبيات المتفرقة وعددها (سبعة أبيات) بـــثلاث قـــصائد مستقلة، مع أن الأصح هو وضع كافة الأبيات المتفرقة تحت عنوان (أبيـــات متفرقـــة) في مقدمة التحقيق، حتى يتم اكتشاف مكانها الصحيح (انظر: صفحة 326 وصفحة 328).

خامساً: لم تُشر الطبعة إلى أن قصيدة (أنشودة التحرير)، قصيدة منشورة سابقاً في بعض الطبعات السابقة (انظر: صفحة 337)، مع أنها منشورة سابقاً، وتتكون من 41 بيتاً عند نافع عبد الله. (انظر: صفحة 145).

سادساً: نشرت الطبعة بعض القصائد المفقودة المتكونة من بيت واحد (ذكرى المولد)، أو من بيتين (القرآن الكريم)، وسمتها كقصيدتين مستقلتين، وكان يجب إدماجهما في المقدمة، حتى يتم التأكد منها.

سابعاً: رغم الإضافات الجديدة لبعض القصائد المنشورة سابقاً، فقد ظلت القصائد ناقصة.

ثامناً: أتفق مع الطبعة حول قصيدة (احملوني) وحول ضرورة حذفها. وتختلف المصادر حول روايتها. وهم ينقلونها عن – عارف العارف – وقد أورد منها البيتين الأولين فقط. أما البيت الثالث، فقد ورد في طبعة مكتبة بلدية نابلس (ص 15):

احملوني احملوني واحذروا أن تتركوني
وخذوني لا تخافوا وإذا متُّ ادفنوني
يا فلسطين وداعاً خالصاً من كل قلبي

والشك يأتي من مناسبة القصيدة. إذ قيلت – كما يزعم الرواة – عندما أصيب الشاعر بشظايا الموت في معركة (الشجرة) عام 1948، وأنه قال هذه الأبيات وهو في طريقه إلى المستشفى الميداني، أي قبل أن يفارق الحياة بساعات وربما بدقائق. إذ كيف يمكن لإنسان يموت أن يفكر في نظم الشعر، وضبط الوزن، وهو على محَفّة الموت.

ومع كل هذه الملاحظات تبقى هذه الطبعة أفضل من سابقاتها. أما من حيث المقدمات التي كتبها حنا أبو حنّا، فهي مفيدة لجهة الاعتراف لأول مرة باتجاه – عبد الرحيم محمود – اليساري الفطري، فكل الطبعات السابقة، حاولت التهرب من شرح سر القصائد العمالية، التي كتبها عبد الرحيم محمود، أو أشارت إلى ذلك بخجل تحت ضغط الثقافة السائدة.

اسم الطبعة	سنة الصدور	عدد أبيات الطبعة
1. الأردنية (عمّان)	1958	428 بيتاً
2. كامل السوافيري (بيروت)	1974	496 بيتاً

3. مكتبة بلدية نابلس	1975	658 بيتاً
4. نافع عبد الله (دبي)	1979	731 بيتاً
5. حنّا أبو حنّا (الطيبة)	1985	913 بيتاً
6. عزالدين المناصرة (دمشق)	1988	1874 بيتاً
7. عزالدين المناصرة (عمّان)	1993	1964 بيتاً

* * *

لقد قُمنا بمقارنة النصوص التي حصلنا عليها، والتي سبق نشرها كاملة أو منقوصة في الطبعات السابقة. ووجدنا أن إضافتنا في هذا المجال، أي تحقيق النصوص السابقة هي – 207 بيتاً، بالمقارنة مع طبعة حنّا أبو حنّا – 1985، والتي هي أفضل طبعة من بين الطبعات السابقة. وقد قُمنا بحذف قصائد مثل: **احملوني – الخذلان** (مجموعها = 25 بيتاً) من متن الديوان وإثباتهما في هذه المقدمة، بينما لم نحذف قصيدة (الخذلان) – عند جمع عدد الأبيات – في طبعة حنّا أبو حنّا، بل ضمّت للعدد العام للأبيات. كذلك قمنا بإدماج قصيدتين تنشران لأول مرة على سبيل المثال – وهما: ليلة ذات فجرين (29 بيتاً)، مع أن الطبعات السابقة جميعها، قدمت منها نصف بيت واحد فقط. وقصيدة: كتاب أضاءَ... (42 بيتاً)، مع أن جميع الطبعات السابقة بما فيها طبعة (حنّا أبو حنّا)، أثبتت منها (3) أبيات فقط.

3. الإضافات الشعرية الجديدة: (1051 بيتاً)

إن الإضافات الجديدة التي قدمناها في هذه الطبعة، تتمثل في إضافة أكثر من (**873 بيتاً شعرياً جديداً**)، هي عبارة عن مجموعة من القصائد، **تنشر لأول مرة**، وهي:

اسم القصيدة	عدد الأبيات		عدد الأبيات
1. سياساتنا تسال	15 بيتاً	13. من سوانا مخلصٌ	4 أبيات
2. رأيت فقلت	34 بيتاً	14. ما ضرَّ فاطمة	بيتان
3. روضٌ وإنّي عندليبه	65 بيتاً	15. لما اكفهرَّتْ أوجه الليالي	100 بيتاً
4. ذكرى ثورة دمشق-بيروت	34 بيتاً	16. الفلاح	74 بيتاً

5. طوفان دمشق	34 بيتاً	17. جرحان	21 بيتاً
6. في العيد تلتئم الجراح	37 بيتاً	18. كنعان من زيتونه	4 أبيات
7. يقظة النيل	31 بيتاً	19. بكى دماً	5 أبيات
8. إلى العُمّال	74 بيتاً	20. هكذا الأزهار	4 أبيات
9. رهين المحبسين	30 بيتاً	21. أنشودة التحديف	8 أبيات
10. قم بنا	15 بيتاً	22. الشياب	7 أبيات
11. أحاجي	71 بيتاً	23. كتاب لا يفيه المدح	41 بيتاً
12. بديع الشعر	21 بيتاً	24. يا ملاكي	24 بيتاً
25. شباب ومشيب	27 بيتاً	26. همسة	20 بيتاً
27. قم يا صلاح الدين	27 بيتاً	28. وعود	5 أبيات
29. يفنى المشتاق	16 بيتاً		

ويضاف لهذه القصائد الجديدة المستقلة، **مقاطع طويلة مفقودة**، وجدناها، وأعدناها إلى مكانها الصحيح في قصائد كانت ناقصة عندما نشرت سابقا. كذلك حصلنا على **عدد آخر من الأبيات، نتيجةَ فوارق (المقارنة) بين الطبعات السابقة**. وهكذا تكوَّن من هذه الأبيات ما مجموعه (178 بيتاً). ومعنى هذا أن الإضافات الجديدة، لهذه الطبعة، هي: (**1051** بيتاً).

4. الإضافات النثرية الجديدة: (5 مقالات نقدية)

ظل اللغز قائماً منذ عام 1939 وحتى الآن. والصدفة وحدها، هي التي ساهمت في حل هذا اللغز. صدفة، حصلتُ على صورة طبق الأصل لرسالة موجهة من الدكتور عمر فروخ إلى أديب مهيار في نابلس. وتحمل الرسالة تاريخ 1954/6/18، وتتحدث الرسالة عن نتاجات عبد الرحيم محمود المنشورة في مجلة (الأمالي) البيروتية، التي كان عمر فروخ، رئيس تحريرها، وصاحب الامتياز. ومن بين النتاجات يذكر عمر فروخ أسماء مقالات نقدية نشرها عبد الرحيم محمود في الأمالي، باسم مستعار هو (**بقلم: مريم**). وفي الأيام الأولى من شهر حزيران/1982، أي قبل يومين من حصار بيروت، اتصلت هاتفياً بعمر فروخ في منزله من مكتبي في مجلة (شؤون فلسطينية) في مركز الأبحاث الفلسطيني في بيروت. وسألته عن صحة نسبة الاسم

المستعار لعبد الرحيم محمود، فأجاب عمر فروخ بالإيجاب، ولم أذكر له شيئاً عن رسالته الموجهة إلى أديب مهيار عام 1954، واتفقنا على اللقاء في مكتبة الجامعة الأمريكية، أو أن يزورني في مركز الأبحاث الفلسطيني، لكن الحرب كانت قد اشتعلت وحالت دون اللقاء. وخرجت من بيروت مع الفدائيين الخارجين في الأول من سبتمبر – أيلول/1982، على ظهر السفينة اليونانية: (شمس المتوسط)، دون أن أحمل أوراقي التي كنت قد صورتها من مجلة الأمالي. وحين عاودت المحاولة للحصول على تلك الأوراق وأنا في الجزائر، واجهت صعوبات جمة في هذا المجال، ولكن ما إن اكتمل وصولها، حتى بادرت بإرسال رسالة إلى عمر فروخ، فأجاب خطياً بالإيجاب وكرر نفس التأكيد، وقمت بمقارنة توقيع عمر فروخ في الرسالة الجديدة – **1984**، مع توقيعه القديم في الرسالة القديمة عام **1954**، فوجدته متطابقاً. إذن يبقى عمر فروخ هو المصدر الوحيد حول هذا الموضوع وهو مصدر موثوق. وفيما يلي نص الرسالتين – حرفياً:

أولاً: من عمر فرّوخ (بيروت) إلى أديب مهيار (نابلس) – بتاريخ 1954/6/18:

(لقد نشر للمرحوم عبد الرحيم محمود (الأمالي) شعر ونثر. وها أنا أثبت عناوين مقالاته وقصائده:

أ. **في مجلة (الأمالي) – السنة الأولى:**

1. ما جبران؟ بقلم: مريم – العدد 45 – 7 تموز/ 1939 – نثر.
2. أصناف السراقين، بقلم: مريم – العدد 48 – 28 تموز/ 1939 – نثر.
3. ما جبران؟؟ بقلم: مريم – العدد 50 – 11 آب/ 1939 – نثر.
4. فصل في الشعبذة، بقلم: مريم – العدد 51 – 18 آب/ 1939 – نثر.
5. لعبة تهدى للعبة – العدد 1 – شعر.
6. روحي فقد راح الذي بيننا – العدد 3 – شعر.
7. خالتني الميّت من صدها – العدد 6 – شعر.
8. يا غزالاً – العدد 7 – شعر.
9. قلت لقلبي إنها كافرة – العدد 8 – شعر.
10. حي الظباء الباديات كواكباً – العدد 9 – شعر.

11. اسمعي يا من لقد حنت الهوى – العدد 10 – شعر.

12. دنا الموت مني أبا جعفر – العدد 11 – شعر.

13. سأحمل روحي على راحتي – العدد 21 – شعر.

14. أئذا أنشدت يوفيك نشيدي – العدد 32 – شعر.

15. كان نجماً يهتدي الساري به – العدد 33 – شعر.

16. هات من ذكرى زمان العز هات – العدد 44 – شعر (1939).

ب. في مجلة الأماني – السنة الثانية:

17. الأديب المسكين – العدد الثالث – نثر.

– وينهي عمر فروخ رسالته بقوله: (فإذا كان ثمة قصيدة أو مثالاً بإمضاء – مريم = عبد الرحيم محمود).

ثانياً: من عمر فَرّوخ (بيروت) إلى عزالدين المناصرة (الجزائر) – بتاريخ 1984/11/11:

حضرة الدكتور عزالدين المناصرة – قسنطينة (الجزائر).

السلام عليكم. وبعد، فقد أعطتني مكتبة يافث (مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت) نسخة من رسالتكم المؤرّخة في 1984/10/13 (والبريد عندنا بطيء جداً). وقد أحببت أن أفيدكم بأن (مريم) اسم رمزي وتوقيع مستعار كتب به الشاعر الفلسطيني عبد الرحيم محمود (استشهد في معركة الشجرة في شمالي فلسطين، 1948). والذي أعرفه أن مكتبة الجامعة الأمريكية كانت، منذ الأسبوع الماضي، في سبيل تصوير المقالات المذكورة.

وفي الختام تقبّل سلامي.

عمر فرّوخ

ص.ب. 941 – بيروت (تلفون 310418)

5. أسلوب التحقيق:

لقد أشرت في هوامش بعض القصائد إلى أسلوب التحقيق، الذي اتبع للتأكد من صحة النصوص:

1. كنت **أثق بالمخطوطات**، أكثر من القصائد المنشورة. وهناك عدة مخطوطات للقصيدة الواحدة، حيث كنت أقوم بالمقارنة بينها، بيتاً بيتاً وكلمة كلمة.

2. إذا حدث أن كان بين يدي أكثر من مخطوطة. كنت **أفضل المخطوطة المكتوبة بخط يد الشاعر نفسه**. وكنت أقارن خطه مع خطوط أخرى له في قصائد أخرى. حتى يتم التأكد من أنه خطه وليس خط غيره.
3. وضعت القصائد المكتوبة بخطوط أصدقائه في المرتبة الثانية. وكنت أفضل من بينها — خط الأستاذ مروان راضي الطاهر، تلميذ وصديق الشاعر.
4. حصلت على **عدة مخطوطات من بلدان عربية مختلفة ومتباعدة جغرافياً**. وهذا ساعدني على مقارنتها مع مخطوطات مروان الطاهر، وأحمد قريع، فكنت أقارن القصيدة الواحدة من خلال عدة مخطوطات.
5. حذفت شروح القصائد، التي وضعها أصدقاء الشاعر، حتى لا أثقل كاهل النص. وقمت بإثبات **الشروح التي وضعها الشاعر نفسه، وبعض شروحات حنّا أبو حنّا**، ولم أقدم شروحاً إلاّ في حالات نادرة، من أجل تسهيل القراءة.
6. ألغيت ترتيب القصائد، وفق (الأغراض) الشعرية، كما في الطبعات السابقة — ما عدا طبعة مركز إحياء التراث — وقمت بترتيب القصائد، وفق الطقس العام، لأن **مفهوم الأغراض** لا ينطبق — وفق فهمنا — على شعر عبد الرحيم محمود.
7. في حالة اختلاف الرواة، كنت ألجأ إلى **أسلوب الترجيح**، انطلاقاً من عدد تكرار الروايات. فإن وجدت ذلك في (رواية واحدة) مختلفة عن ثلاث روايات متشابهة، فضّلتُ الثانية، وهذا أمر منطقي، فالتذوّق يتدخل في هذا العمل، لكنّه، ليس تذوقاً مزاجياً اعتباطياً، بل هو تذوق محكوم بقواعد.
8. لم أثبت من القصائد والأبيات إلاّ ما تأكدت منه تماماً. وحذفت كل ما يشك في أمره من أنه مدسوس على الشاعر. مثل قصيدة (الحلوني)... وقصيدة (الخذلان)، وهما منشورتان سابقاً، لكنّني قمتُ بإثباتهما في هذه المقدمة.
9. واجهتنا مشكلة **عناوين القصائد**، وهي عدم التوافق بين عدة عناوين للقصيدة الواحدة. وهناك عناوين وضعها أصدقاء الشاعر. وهناك قصائد بلا عناوين. وهناك عناوين متشابهة

لقصيدتين مختلفتين. أمام هذا الإشكال، وقفنا طويلاً وقمنا بوضع الحلول المناسبة، فحين تكون القصيدة بلا عنوان، كنّا نضع لها عنواناً نشتقُّهُ من نفس القصيدة.

* * *

6. قيل في عبد الرحيم محمود:

تمّ تكريم اسم الراحل عبد الرحيم محمود، شاعر فلسطين الكبير، مرّات عديدة، منها:

1. **احتفال عمّان الأول:** أقامته (لجنة تكريم الشاعر الشهيد) في الأردن، بتاريخ **1956/9/14**، وهي مكوّنةٌ من الأساتذة: **عيسى الناعوري، توفيق أبو شريف، عادل الزواتي**، وتعاون مع اللجنة، عددٌ من أقارب الشاعر الشهيد، وأصدقائه وتلاميذه، منهم: **عبد الرؤوف حمزة، ومروان راضي الطاهر**. أقيم الاحتفال في **قاعة كلية الحسين**، ومن خطباء الاحتفال: **د. اسحق موسى الحسيني، سيف الدين الكيلاني، أكرم زعيتر، عبد الرؤوف حمزة، قدري طوقان**، و(**الطفل**) **الطيب عبد الرحيم محمود** (13 عاما)، الذي ألقى قصيدة الشهيد.
2. **احتفال بلدة الطّيبة (فلسطين – 48):** شارك فيه: **صالح برانسي، منصور كردوش، القسّ رياح أبو العسل، طه محمد علي، حنّا أبو حنّا**، وآخرون. وقد تمّ الاحتفال **عام 1982** في **نادي النهضة**، بمبادرة من (**جمعية الصوت**)، وشارك في الاحتفال (**بسّام الشكعة**).
3. **احتفال مدينة الناصرة:** بدعوة من (مركز إحياء التراث – الطيبة)، انعقد مهرجان احتفالي، بمدينة الناصرة (فلسطين – 48)، بتاريخ **1986/7/11**، وكان (**حنّا أبو حنّا**)، مدير الاحتفال، وألقيت فيه كلمات من الأساتذة: **منعم حدّاد** (مركز إحياء التراث)، **أحمد حسين اغبارية، بسّام الشكعة** (الرئيس الفخري للجنة التكريم)، **علي صنع الله** (جمعية تطوير التعليم)، عصام العبّاسي، **الدكتور عبد اللطيف عقل** (جامعة النجاح)، **الدكتور عبد اللطيف البرغوثي** (جامعة بيرزيت)، قصائد **لجمال قعوار، وطارق عبد الكريم محمود**، أما كلمة آل الفقيد، فألقاها: (**أديب رفيق محمود**). ومن جهود(مركز إحياء التراث) في الطيبة، إصدار طبعة حنّا أبو حنّا. كذلك ترميم ضريح الشاعر، وإزاحة الستار عن نُصبه التذكاري.
4. **احتفال عمّان الثاني:** بدعوة من (**جمعية عنبتا للتنمية الاجتماعية**) في العاصمة الأردنية، عمّان،أقيم احتفال خطابي، **مساء 2007/7/13**، في ذكرى الشاعر الشهيد، شارك فيه

كثيرون، ومنهم: الأستاذ **عادل سقف الحيط**، والأستاذ الدكتور **مروان كمال** (رئيس جامعة فيلادلفيا – عمّان)، و**طلال عبد الرحيم محمود** (مدير مكتب ارتباط جامعة النجاح الفلسطينية في الأردن)، و**عزالدين المناصرة**، وآخرون، وترأس الاحتفال، مدير جمعية عنبتا، الأستاذ **بهجت محمد سعيد الفقهاء**.

* * *

- وكان مركز إحياء التراث – الطيبة (فلسطين – 48)، قد أصدر كتاباً، اشتمل على كلمات الخطباء في الاحتفالات الثلاثة الأولى، وبعض البرقيات، وبعض المقالات ذات الطابع الصحافي.[1] وفيما يلي، نقدّم بعض كلمات مختارة مختصرة، قيلت في الشاعر الشهيد، والشاعر الكبير عبد الرحيم محمود:

● – أراني مدفوعاً للردّ على أناسٍ يصنّفون (عبد الرحيم محمود – أبا سلمى – وإبراهيم طوقان)، بأنهم (شعراء مرحلة). والمرحلة توحي بالانتهاء والانزواء خلف مراحل جديدة. فرسان الشعر الفلسطيني الثلاثة، هؤلاء هم شعراء كلّ المراحل. ويؤكّد ذلك، أنّ شعراء الحداثة الفلسطينيين، يعترفون بأنّهم امتدادٌ لهؤلاء الأساتذة... وما أنجزه الشاعر عزالدين المناصرة (جمع وتحقيق الأعمال الكاملة)، وهو أحد الإنجازات الرائعة.

(أديب رفيق محمود)

● – أعطني موتَكَ العظيمَ يا عبد الرحيم، وخُذْ حياتي!، فحتى الموت لم نَعُدْ قادرين على اختياره. ليس لديّ حاليا، أيّ إحساس شخصي بالبطولة، وسلاحي الوحيد في مواجهة تحدّي موتك العظيم، هو الألم، وإحساسٌ آخر بالاعتزاز الحزين، أنّ هناك شاعراً فلسطينياً، وشعراء فلسطينيين، استطاعوا أن يحبّوا شعبهم ووطنهم حتى الموت.

(أحمد حسين اغباريّة)

---

(1) انظر: أديب رفيق محمود، وطارق عبد الكريم محمود – إعداد: (عبد الرحيم محمود، بين الوفاء والذكرى)، منشورات مركز إحياء التراث، الطيبة (فلسطين--48)، عام 1990.

● - أفخر بأنني عشت سنوات تعليمي الابتدائي والثانوي في رحاب وتوجيه وتعليم أستاذي الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود في مدرسة النجاح بنابلس.

(بسّام الشكعة)

● - مضى على استشهادك ثمانية وثلاثون عاماً (1986)، كانت عجافاً، كابدنا فيها العذاب ألواناً، والهوان أشكالا. وبقيت أنت الصراط المستقيم يا عبد الرحيم. أما قصائدك، فقد ازدهرتْ وأينعتْ، قضى في تجربتها نَحْبَهُ: (غسان كنفاني، ماجد أبو شرار، كمال ناصر)، وراشد حسين... وآخرون. أمّا — (سميح القاسم، ومحمود درويش، وعزالدين المناصرة)، فهم ينتظرون، وما بدّلوا تبديلاً.

(الدكتور عبد اللطيف عقل)

● - سوف نستمرّ في تعليم أبنائنا وبناتنا، قصيدتك: (سأحمل روحي).

(الدكتور عبد اللطيف البرغوثي)

● - عبد الرحيم محمود: رمزُ عطاءٍ وفداءٍ وتضحية... نفخر بدمه الزكي.

(سميحة سلامة خليل)

● - إنّ روح شهيدنا العظيم، الشاعر عبد الرحيم محمود، تدقّ الأبواب، وتدعونا أن نكون أمناء على دماء الشهداء، حريصين على تكملة رسالتهم السامية.

(وحيد الحمد الله)

● - عبد الرحيم محمود، ثورة كاملة، مارس خلالها عملية التغيير الجذري. وهو (فلسطينيٌّ أولاً)، وعندما نقول أنه فلسطيني، فنحن لا ننفي عنه روحه الأمميّة، فهو (**ماركسي**)، لكنّ الإنسان لا يكون أممياً، إلاّ من خلال (قوميته). هكذا نفهم عبد الرحيم محمود.[1]

(صالح برانسي)

---

(1) لم يكن عبد الرحيم محمود، عضواً في أيّ حزب يساري، أي أنه لم يكن ماركسياً مذهبياً، وإنّما كان — يسارياً فطرياً، تعاطف مع الفقراء ومع الطبقة العاملة — (ع.م).

● - أفترضُ أن تخليد ذكرى هذا الشاعر العظيم البطل، يتم عبر دراسة شعره، وربط حياته بالثورة الكبرى عام 1936، وبالشيخ عزالدين القسّام، بصورة خاصّة.

(طه محمد علي)

● - عبد الرحيم محمود: هو الشاعر الفارسُ الأول في شعرنا المعاصر، الذي أتبع القول بالفعل.

(جبرا إبراهيم جبرا)

● - كان عبد الرحيم، يؤمن بالشعب وحده، هذا الشعب العظيم. أمّا (الزعامات) الجائرة، فكان كافراً بها، لأنها تُضلّل الأمّة.

عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى)

● - عند قراءتي لديوان عبد الرحيم محمود، لمستُ أنّ فكر عبد الرحيم، يتمركز حول محاور ثلاثة: القومية العربية والدين، محور الفضيلة الاجتماعية، ومحور إنقاذ الوطن.

(الدكتور عبد الستّار قاسم)

● - تستحقُ التكريمَ شهيداً، وشاعراً: نعم كنتَ تصوغ ذوْبَ روحك شعراً أنيقاً رقيقاً...

(الدكتور إسحق موسى الحسيني)

● - كان يغضب لموقف العرب وجامعة الدول العربية من قضية فلسطين، فيثور ويندفع في الثورة، ومع هذا يكتب القصائد القومية، دفاعاً عن العروبة.

(قدري طوقان)

● - أتساءلُ: هل استشهد عبد الرحيم محمود في سبيل تنفيذ (قرار التقسيم، 1947)، القاضي بقيام دولة إسرائيل (غير الشرعية)، وإلى جانبها - دويلة عربية مسخ، بينهما اتحاد اقتصادي!!. اللّهم، إنه قد استشهد، وهو يقاوم هذه القرارات. إنّ لنا في (الناصرة)، وديعةً، ولنا فيها قبرٌ يحسُّ بالوحشة.

(أكرم زعيتر)

● - كانت المرّة الأولى، التي أرى فيها الشاعر عبد الرحيم محمود، في أوّل اجتماع جماهيري لعُصبة التحرّر الوطني في (سينما السامر) في غزّة: وجههُ يشبهُ التفاحة. كان فلاحاً فلسطينياً يكتبُ بالمحراث.

(معين بسيسو)

● – صوت قصائد عبد الرحيم محمود، هو صوت الشعب الفلسطيني، بكلّ ما فيه من قوّة، وأصالة، وتدفق وحرارة. كان يحمل في داخله، ضمير الشاعر الملتزم.

(فدوى طوقان)

● – أنت يا أبا سلمى، الجذعُ الذي نَبَتتْ عليه أغانينا، ونحن امتدادٌ لشعر: (أبو سلمى – إبراهيم طوقان، وعبد الرحيم محمود). **(محمود درويش)**

● – عبد الرحيم محمود... نبراسٌ مضيءٌ في الطريق إلى الحقّ، ذلك الإيمان النابع من عقيدة أبدية راسخة. **(هارون هاشم رشيد)**

* * *

شُكر:

يبقى أن نشير إلى أن هذا العمل استغرق عشر سنوات (1982-1993)، تقريباً، وقد قمت فيه بدور لجنة تكريم كاملة، استعنت خلالها بالأساتذة: **مروان راضي الطاهر** (المقيم في السعودية)، الذي أمدني بكل ما لديه من مخطوطات وأجاب عن كل أسئلتي، رغم أنني لم أتقابل معه. وقد تم التعاون بيننا بالمراسلة، فشكراً له على ثقته بي. ولابدّ أيضاً أن أشكر الدكتور عمر فروخ لمساعداته القيمة. كذلك الصديق القاص خليل السواحري، الذي أمدني لاحقاً (1993) بمخطوطة، كان قد أودعها لديه الصديق **أحمد قريع (أبو علاء)**، (مدير عام مؤسسة صامد الفلسطينية). كذلك الصديق **الطيب عبد الرحيم محمود**، (السفير الفلسطيني في الأردن)، الذي كان قد قدّم لي (عام 1993)، قصيدتين مفقودتين. وأشكر كل الذين أمدوني بالمخطوطات وقصاصات الصحف، ومنهم (**علي فارس، يوسف أبو ريّا، أبو يوسف الكافي**) في بيروت، وغيرهم. وهكذا تمّت لملمة هذا العمل من البلدان التالية: (**فلسطين، الأردن، لبنان، السعودية، الجزائر**).

– لقد كان عبد الرحيم محمود وما يزال، رمزاً من رموز التوحيد في ثقافتنا الفلسطينية الوطنية والعربية في القرن العشرين، بالدم وحبر الإبداع. ومن حقّ بلدة (عنبتا) الكرمية

الفلسطينية أن تفخر بهذا الشاعر، لكنه أصبح ملكاً عاماً للشعب الفلسطيني، ولكـــلّ العـــرب الأحرار.

جامعة قسنطينة – الجزائر

1985/9/25 **عزالدين المناصرة**

جامعة القدس المفتوحة – عمّان

1993/6/15.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القسم الأول:

الديوان

1. الشهيد:

سَأحملُ روحي على رَاحَتي ... وأُلقي بها في مَهَاوي الرَّدى
فإمّا حَيَاةٌ، تَسُرُّ الصديقَ ... وإمّا مَمَاتٌ، يُغيظُ العِدى
وَنَفْسُ الشَّريفِ لها غايتان ... ورودُ المنايا، ونيلُ المُنى
وما العيشُ؟ لا عِشْتُ، إن لم أكُنْ ... مَخوفَ الجَناب، حَرامَ الحِمَى
إذا قلتُ أصغى لِيَ العالمونَ ... وَدَوَّى مقَالِيَ بين الوَرى
لَعَمْرُكَ إني أرى مَصْرعي ... ولكن أَغُذُّ إليه الخُطى
أرى مصرعي، دون حقّي السليب ... ودونَ بلادي، هو المُبْتَغى
يَلَذُّ لأُذْني سماعُ الصليلِ ... ويُبْهِجُ نفسي مَسيلُ الدما
وجسمٌ تجدَّلَ في الصَحْصَحانِ ... تَناوَشُهُ جارحاتُ الفَلا
فمنهُ نصيبٌ لأُسْدِ السماءِ ... ومنهُ نصيبٌ لأُسْدِ الثرى
كسا دَمُهُ الأرضَ بالأرجوانِ ... وأثقلَ بالعطرِ ريحَ الصَّبَا
وعفَّرَ منهُ بهيَّ الجبينِ ... ولكنْ عُفاراً يزيد البَهَا
وبان على شفتيهِ ابتسامٌ ... معانيهِ هُزْءٌ بهذي الدُّنَا
ونام ليحلَمَ حُلْمَ الخلودِ ... وَيهْنأَ فيه بأحلى الرُؤى
لعمرُك هذا مَماتُ الرجالِ ... ومن رامَ موتاً شريفاً، فَذا
فكيف اصطباري لكَيْدِ الحقودِ ... وكيف احتمالي لسَوْمِ الأذى
أخوفاً وعندي هَوانُ الحياةُ ... وَذُلاً، وإنّي لربُّ الإبا

بقلبي سأرمي وجوهَ العُداةِ فقلبي حديدٌ، ونـاري لظى
وأحمي حياضي بِحَدِّ الحسامِ فَسَيَعْلمُ قومي، أنّي الفتى!

(1) مجلة (الأمالي)، السنة الأولى، عدد – 21، سنة 1938.

(2) **الصحصحان**: الأرض المستوية أو الأرض الجرداء. **مخوف الجَنابِ**: يهابهُ الناس. **أَغُذُّ**: أُسرِعُ. **حياضي**: أرضي. **تجدَّلَ**: ارتمى أرضاً.

2. شعب فلسطين:

شـــعبٌ تَمـــرَّسَ في الـــصِعابِ ولم تنـــلْ منـــهُ الـــصِّعابْ
لَـــوْ هَمُّـــهُ انتـــابَ الهـــضابَ لدُكْـــدِكَتْ منـــهُ الهـــضابْ
مُتَمـــردٌ لم يـــرضَ يومـــاً أن يَقَـــرَّ علـــى عـــذابْ
عِرْنينُـــهُ بلـــغَ الـــسماءَ ورأسُـــهُ نطَـــحَ الـــسَّحابْ
وَعُداتُـــهُ رُغْـــمَ الأُنـــوفِ تَـــذَلُّلاً، حـــانُو الرقـــابْ
مَثَـــلٌ حَـــدا حـــادي الزمـــانِ بـــهِ وناقَلَـــتِ الركـــابْ
نحن الأُلـــى، هـــابَ الوجـــودُ ولـــيس فينـــا مَـــنْ يهـــابْ
إنْ تَجْهـــلِ العَجَـــبَ العُجـــابَ، فإنّنـــا العَجَـــبُ العُجـــابْ
إنْ ثَـــوَّبَ الـــداعي لحـــربٍ نحـــنُ أوّلُ مـــن أجـــابْ
فَـــسَلِ الـــذي خَـــضَعَ الهـــواءُ لـــهُ، وذَلَّ لـــهُ العُبـــابْ
هـــل لانَ عُـــودُ قَناتنـــا أمْ هـــل نَبَـــتْ عنـــد الـــضِّرابْ
أو شـــامَ عَيْبـــاً، غيـــر أنّـــا، لـــيس نَرْضـــى أنْ نُعـــابْ
حُيِّيـــتَ مـــن شـــعبٍ تَخَلَّـــدَ، لـــيس يَعْـــروهُ ذَهـــابْ
قـــد ســـطَّرَ القلـــمُ الـــشهيدَ مُخَلَّـــداً، وحـــوى الكتـــابْ
لفـــتَ الـــورى منـــك الـــزئيرُ مُزمْجِـــراً مـــن حَـــوْلِ غـــابْ
وأرى العِـــدا، مـــا أذهـــلَ الـــدنيا، وشـــابَ لـــه الغُـــرابْ
عـــرفَ الطريـــقَ لحقّـــهِ ومـــشى لـــهُ الجـــدَدَ الـــصوابْ

الحـــقُّ لـــيس براجـــعٍ لذويـــــه إلاّ بـــــالحرابْ
الظلـــمُ يرهـــبُ أوجُهـــاً بـــدمٍ تُـــضَرَّجُ... لا خـــضابْ
من عـــاش مـــا بـــينَ الوحـــوشِ يَكُـــنْ لـــهُ ظُفـــرٌ ونـــابْ
إن لم تكـــنْ ذئبـــاً تُخـــافُ فَرَثّـــكَ أظفـــارُ الـــذئابْ
فـــشل الـــذي جعـــل الكـــلا... مَ، مجَنَّـــةً تحمـــي، وخـــابْ
يـــا أيُّهـــا الـــشعبُ العظـــيمُ أجـــدْتَ للمجـــدِ الطِـــلابْ
أشْـــهَرْتَ ســـيفاً قبـــل نَـــصْرٍ لا تُعِـــدْهُ إلى القِـــرابْ
وإذا أُعيـــد، فأنـــتَ مَيْـــتٌ لا يواريـــك التُـــرابْ
فاربـــأْ بنفـــسكَ أن تعـــيشَ مُـــذَمَّماً والعـــيشُ صـــابْ
إنّـــي أُعيـــذكَ بالـــشيوخِ كمـــا أُعيـــذكَ بالـــشبابْ
الـــصرخةُ النكـــراء تُجـــدي لا التَلَطُّـــفُ والعتـــابْ
والنـــارُ تَـــضْمَنُ والحديـــدُ لمـــن تـــساءلَ أَنْ يُجـــابْ
حَكِّمْهُمـــا فيمـــا تُريـــدُ ففيهمـــا فَـــصْلُ الخطـــابْ

---

(1) نقلاً عن نسخة بخط مروان الطاهر، منقولة عن مجلة (الرسالة) المصرية في 1936/8/31. كذلك عن نسخة أخرى لا يعرف كاتبها. **كذلك**: صورة لنسخة ثالثة أخذت من كتاب (تاج التاريخ أو صدى الجهاد) – إبان ثورة 1936– جمع وترتيب: سروة بشار منضور. وعنوانها (الشعب الباسل).

(2) **العرنين**: الأنف. **شام**: رأى. **الجَدَدْ**: الأرض الغليظة المستوية. **فرى**: مزّق. **صاب**: شجر مُرّ. **مجنّة**: درع.

3. حفي اللسانُ:

عيدٌ بأحْناءِ الصُّدورِ يُقامُ ... من وَحْيِهِ الأشعارُ والأنغامُ

حُلْمٌ لقد لابتْ عليه نفوسُنا ... أجْملْ بأن تَتحقَّقَ الأحلامُ

جَمَعَ الشّتيتَ، فكلُّ قُطْرٍ دُرَّةٌ ... في عقْدنا، والوَحْدةُ النَظَّامُ

فإذا نجومُ السَعْد في آفاقنا ... تبدو وجَرحُ قلوبنا يلتامُ

وتيقّظَ الحبُّ الكمينُ فكلُّنا ... في كُلّنا، ذو صَبْوَةٍ هَيَّامُ

فإذا تَشكّى النيلُ من آلامِهِ ... شَقَّتْ مَرائرَ دجلةَ الآلامُ

وإذا تنادى المغربُ الأقصى لدى ... جُلّى، استجابت للنداءِ الشّامُ

ذهبتْ خرافاتُ الحدودِ، فكُلُّها ... وطنٌ لنا... لو صَحَّتِ الأفهامُ

كيف الحياةُ لأَرؤسٍ، إن لم تَصُلْ ... أيدٍ، وإنْ لم تُسْعِفِ الأقدامُ

فَرَحٌ رجوتُ اللهَ، حُسْنَ تمامِهِ ... يا ليت أفراحاً لَهُنَّ تمامُ.

لكنْ دعوني، كي أقولَ مقالةً ... ولكُلِّ قَوْلٍ، مركزٌ ومَقامُ

لم يقتل الأقوامَ مثل خطيبها ... الفيَّاش، بلْ قد أفلح اللُوَّامُ

وإذا محبَّك قال لوماً، فاستمعْ ... لَوْمُ المحب، صبابةٌ وغرامُ

وأنا المحبُّ، وشاهدايَ جراحةٌ ... نزَّازةٌ لم تَشْفَ، والإعدامُ

لو شئتُ كنتُ مع القواعد نجوةً ... ولكان بي من وَفْرةٍ إتخامُ

هذا ولست مُزكّياً نفسي ولا ... الفيّاش يعلمُ سِرّيَ العلاَّمُ

فخُذوا الكلامَ أيا أحبّةُ، واعذروا ... لفظَ اللظى مَنْ في حَشاهُ ضِرامُ

حَفِيَ اللسانُ وجفَّت الأقلامُ ... والحالُ حالٌ، والكلامُ كلامُ

مرَّتْ بنا الأيامُ، لم نَسْلُكْ بِها ... جَدَدَ الصوابِ، ومرَّتِ الأعوامُ

والزورقُ التوهانُ، سار مُحَيَّراً ... فوق الخِضَمِّ، دليلُهُ الأوهامُ

والراكبوهُ أسلموهُ لقادة ... لم يعلموا علْمَ السّداد... وناموا

وأرهُمُ لن يستفيقوا ضَلّةً ... إلاّ وزورقُهُمْ لَقىً وحُطامُ

وتخاصم القُوّادُ بين مُشَرّق ... ومُغَرِّبٍ، وتقطّعتْ أرحامُ

فإذا المنابرُ، صاخباتٌ حُفَّلٌ ... يُرغي بها التهويشُ والإيهامُ

وإذا الضلالُ لهُ، هناكَ سُرادِقٌ ... مَضْروبةٌ، عُبِدَتْ بها الأصنامُ

فإذا بَرِمْتَ، فأنت عاصٍ آبقٌ ... وإذا نَقَدْتَ، فجاهلٌ هَدّامُ

والحرُّ وابنُ الحُرِّ ليس مطيّةً ... يُمْطى ويَكْبَحُ أصْغَريه لجامُ

فيقول حقّاً ليس يخشى لومةً ... والحقَّ أروع ما حوى الإسلامُ

والناسُ إن مَلَك الشعابذُ رأيَهُمْ ... وشَرَتْ ضمائرهُمْ فَهُمْ أنعامُ

وعمالقُ التفكيرِ، إن لم يُحْصِنوا ... من لَوْثَة – أفكارَهُمْ – أقزامُ

وإذا انطلى الكَلِمُ المنَمَّقُ بيننا ... معناهُ، أنْ ليستْ لنا أفهامُ

وإذا أعنا راعياً، ذا قسوةٍ ... فيما يريدُ، فنحنُ والأغنامُ

مرّت بنا الأيّام بين تَعَلُّلٍ ... بغدٍ، فضاعت بالرؤى الأيامُ

ظلْنا نقول: غداً غداً هل حُقِّقَتْ ... للائمينَ على غَدٍ أحلامُ

ظلنا نقول: غداً يفيق ضميرُ مَنْ ... فَقَدَ الضميرَ، ويَعْدِلُ الظُلاّمُ

ظلْنا نقول: (مفاوضاتٌ)، ما الذي ... نلْناهُ إلاّ كَسْفَةً وَسُخامُ

ظلْنا نداعبهمْ، وهم حكّامُنا ... ويُحَقّقون وهُمْ هُمُ الأخصامُ

ظلْنا نقول: حبائبٌ ضَرَباتُهم ... مقبولةٌ، ما إنْ لها إيلامُ

ظلْنا نُغَرِّرُ بالوعودِ وينطلي ... كذبُ، ويفعَلُ فعْلَهُ الإيهامُ

خرجوا لنا بالسَّحْبِ من أقسامنا ... يا ويلنا إنّ الهوى أقسامُ

هُمْ عَلَّمـوا الأقـوامَ أنَّ نـصيرَها ... عـاد، فَغُـرَّ وصـدَّقَ الأقـوامُ

هُمْ فَهَّمـوا الأيتـام أنّ حُـضونَهُمْ ... أطـرى الحـضون، فـأمَّنَ الأيتـامُ

وإذا حسبتَ عدوَّ روحـكَ صـاحباً ... عَثَـرَ الجـدودُ، وزلّـتِ الأقـدامُ

وإذا زعمتَ طبيبَ سُـقْمِكَ سَـمَّهُ ... عزَمَـتْ بـك الأدواءُ والأسـقامُ

وإذا فَهِمتَ فلـن تُـضام، وإنّمـا ... غـرٌّ يُلَهَّـى بالكِـذابِ يُـضامُ

قلْ: (لا) وأتبعها الفعـال ولا تُـرَعْ ... وانظُر هنالك، كيف تُحـني الهـامُ

إني رأيـتُ الحـقَّ فَـصْلَ خطابـه ... يتلـوهُ فينـا الفيـصلُ الصَّمْـصامُ

إصهر بنارِكَ غُـلَّ عنقِـكَ يَنْـصَهِرْ ... وعلى الجماجمِ تُركَـزُ الأعـلامُ

وأقم على الأشلاء صَـرْحَكَ، إنّمـا ... مـن فوقِهـا تُـبنى العُـلا وتُقـامُ

وخُذِ الحقوقَ إليـك، لا تَـسْتَجْدِها ... إنّ الأُلى سـلبوا الحقـوقَ لئـامُ

وأبـو صـلاحٍ سـنَّها لـكَ سُـنَّةً ... فاسـلكْ طرائـقَ سـنَّهُنَّ إمـامُ

سـهمٌ حَوَتْـهُ كنانـةٌ، ولرُبَّمـا ... انطلقتْ به، فحمى الحمى الـضرغامُ

ذاكَ الذي هجـرَ الكـلامَ لفتكـةٍ ... بِكْرٍ، وهَلْ فـكَّ القيـودَ كـلامُ.

بلفورُ مـا بلفـورُ، مـاذا وعْـدُهُ؟ ... لـو لم تكُـنْ أفعالُنـا الإبـرامُ

إنّـا بأيـدينا جَرَحْنـا قلـبَنـا ... وبنـا إلينـا، جـاءَت الآلامُ

فينـا علـى المـودي بنـا إقـدامُ ... وبنا عـن المُجْـدي لنـا إحجـامُ

وبنا عـن الحُـبِّ المُجمّـعِ جَفْـوةٌ ... ولنـا بـصحراءِ الخـصام هُيـامُ

والخَطْـبُ فَرَّقنـا قبائـلَ جَمَّـةً ... والخطـبُ عنـد عُـداتنا لَمَّـامُ

يـا قـادةً، إلاّ الـذين أُجلُّهـمْ ... عمَّـا يُـذَمُّ، وقـد عَـداهُمْ ذامُ

يا ساهرين على الكـلامِ وصَـوْغِه ... يـا قاعـدينَ عـن الفعـالِ نيـامُ

نحـن الـضحايا لا نريـدُ مـشوبةً ... وأقلُّهـا التعريـفُ والإعـلامُ

ماذا نويتُمْ؟ ما فعلتم؟ ما الذي ... تبغونَ؟، أمْ أنَّ السؤال حرامُ

(أنشاصُ)، و(بلودانُ) ماذا أنتجا؟ لا، لا تَسَلْ، إنّ السؤال حَرامُ

هم مُلهَمونَ فلا تَقُلْ من أين قَدْ ... دَلَفَ السَّدادُ، ونُزِّل الإلهامُ

هم مخلصون، فإنْ يقولوا قالةً ... فاخضعْ لها، إنَّ الخضوعَ لِزامُ

ما طائراتٌ غادياتٌ رُوَّحٌ ... ما ذلك الإسرارُ والإبْهامُ

أوَلَيْسَ من دورٍ لنا، نُلهى به ... إلاّ وداعٌ حافلٌ وسلامُ

وإذا يضلُّ السعيُّ، أنت معاتَبٌ ... وإذا يسوءُ الغيبُ أنتَ تُلامُ

ما حَكَّ جِلْدَكَ مثلَ ظُفْرِكَ يا فتى ... يا حُرُّ لا تَتَصَبَّكَ الأوهامُ

إصهرْ بنارِكَ، غُلَّ عنقكَ، ينصهرْ ... وعلى الجماجم تُرْكزُ الأعلامُ

هذي طريقُكَ للحياةِ، فلا تَزُغْ ... قد سارها من قَبْلكَ (القَسَّامُ).

---

(1) ألقيت في ذكرى وعد بلفور بتاريخ – 1946/11/2. ثم ألقاها الشاعر (معدلة) في مهرجان فلسطين الشعري في القدس في 1946/11/14. وفي مهرجان غزة، ومهرجان حيفا في يوم **الاحتفال بعيد الجامعة العربية**. ونشرت في مجلة (الغد) – المقدسية في 1947/4/25.

(2) النص – هنا – نُقلَ عن مخطوطة بخط يد الشاعر: وقورنت مع نسختين مكتوبتين على الآلة الكاتبة. **ونلاحظ** أن العنوان الذي اشتهرت به القصيدة (**عيد الجامعة العربية**) غير موجود في الأصل. وهو من وضع أصدقاء الشاعر، ولهذا اخترت عنواناً جديداً اشتق من قصيدة الشاعر نفسها. كذلك نلاحظ أن البيت رقم – 64 – ليس موجوداً في المخطوطة، بل أضيف بخط لا يتشابه مع خط يد الشاعر. **ويقال أيضاً**: إن مطلع القصيدة الأصلي، هو (حفي اللسان)، وأن الأبيات من (1–17)، هي التي أضيفت في التعديل.

(3) **لاب**: حام حول الشيء. **الأصغران**: القلب واللسان. **شعابذ**: مشعوذون. **الصمصام**: السيف القاطع. **أنشاص**: بلدة في مصر. **بلودان**: بلدة في سوريا. **القَسَّام**: الشيخ عزالدين القسّام، استشهد عام 1935.

4. بطلٌ شهيد:

أإذا أنـــشدتُ يوفيـــكَ نـــشيدي ... حَقَّكَ الواجبَ يـــا خـــيرَ شـــهيدِ
أيُّ لفـــظٍ يَـــسَعُ المعـــنى الـــذي ... منكَ أستوحيه، يا وحـــي قـــصيدي
لا يُحيط الشعرُ فيمـــا فيـــكَ مِـــنْ ... خُلُـــقٍ زاكٍ، ومـــن عـــزمٍ شـــديدِ
كَمُلَـــتْ فيـــكَ المُـــروءاتُ فلـــمْ ... تُبـــقِ منـــها زائـــداً للمـــستزيدِ
حـــسرتا للـــدينِ والمجـــد اللَّـــذي ... قد أصيبا فيـــكَ بـــالرُّكْنِ الوطيـــدِ
حـــسرتا للـــوطن العـــاني، ولـــلأَ ... مـــلِ الفاني، ويا تَعْـــسَ الجـــدودِ
أيُّهـــا القائـــدُ لـــمْ خَلَّفْتَنـــا ... ولمـــن وَلَّيـــتَ تـــصريفَ الجنـــودِ
أقفـــرَ الميـــدانُ مـــن فرســـانه ... وخلا من أهلـــه غـــابُ الأســـودِ
خَمَـــدَتْ نـــارٌ لقـــد أضـــرمتَها ... لعدىً، كانوا لها بعـــضَ الوقـــودِ
والحمى قد ريعَ يا ذُخْـــرَ الحمـــى ... وغدا بَعْـــدَكَ، منقـــوصَ الحـــدودِ
لم أكن قبلَـــكَ أدري مـــا الـــذي ... يُرْخِصُ الدمعَ ويُـــودي بـــالكُبُودِ
إنَّ يومـــاً قـــد رُزِئنـــاكَ بـــه ... جاعـــلٌ أيامَنـــا ســـوداً بـــسودِ
هَلَكَـــتْ نَفْـــسُ الأَوِدَّاءِ، أســـىً ... فيه، وارتاحتْ له نفْـــسُ اللّـــدودِ
كـــلُ بيـــتٍ لـــكَ فيـــه مـــأتمٌ ... يندبُ النـــاسُ بـــه أغلـــى فقيـــدِ
للمناحـــاتِ صـــدىً مُرتَجَـــعٌ ... في بلاد العُرْبِ: سَـــهْلٍ ونُجـــودِ
بَرَزَتْ فيهـــا المَـــصوناتُ ضُـــحىً ... صـــارخاتٍ قارعـــاتٍ للخـــدودِ
وَاحبيـــبَ الأُمَّتـــا، يتَّمتَنـــا ... يـــا أبـــا كُـــلِّ فتـــاةٍ ووليـــدِ
صَـــعَّدوا مـــن لوعـــةٍ زفـــراتهمْ ... فأذابت قاسيَ الـــصخرِ الـــصَّدودِ
جعلوا من كـــلِّ صـــدْرٍ مَـــسْكِناً ... لارتفاعٍ بكَ عن سُـــكنى اللُحـــودِ

كلُّ قلبٍ لكَ فيه مُصْحَفٌ ... فيه من ذكرِكَ، قرآنُ خُلودِ

سُوَرٌ قد فُصِّلَتْ آياتُها ... لم تزلْ تُتلى على الدهرِ الأبيدِ

أيُّها القائدُ هذى ميتةٌ ... طالما رَجَّيْتَها مُنْذُ بعيدِ

مصرعُ الأبطالِ ما بين الحديدِ ... في الميادين ورفّاتِ البُنودِ

هذه أعراسُهُمْ صَخّابَةٌ ... نَقْرَةُ الدَّفِّ بها قَصْفُ الرعودِ

فَيُروّونَ الثرى من دمهمْ ... وَيُحَنُّونَ بها، كَفَّ الصعيدِ

وَيُزَفّونَ، عليهمْ حُلَلٌ ... من نجيعِ الحربِ تُزْري بالبُرودِ

هُمْ تعاويذُ الحمى يُقصي بهمْ ... عنهُ، مكْرَ السوءِ، أو كيدَ الحسودِ

تُحرِقُ العاتيَ أنفاسُهُمُ ... ويذيبون بها غُلَّ القيودِ

وعلى أكتافِهِمْ، تُجْنَى المُنى ... ويُشادُ الصَّرْحُ للعيشِ الحميدِ

يا شهيداً قد تخذنا قَبَساً ... منه يَهْدينا إلى النَّهجِ السديدِ

مَثَلٌ أنتَ، وما إنْ تُنتسى ... لا تَني ترويكَ أفواهُ الوجودِ

مُتَّ في الحربِ شريفاً، لم تُطِقْ ... رَبْقَةَ الأسْرِ، ولا ذُلَّ العبيدِ

هكذا العارُ مريرٌ وِردُهُ ... والرَّدى للحُرِّ معسولُ الوُرودِ

واحَبيبَ الأُمّتا، قد أصبح العيـ ... ـشُ من بعدك لي جِدَّ نكيدِ

جَمَدَ الدمعُ بعيني جَزَعاً ... يا لنار القلبِ من دمعٍ جَمودِ

فَأَذَبْتُ الروحَ أبكيكَ بها ... بَدَلَ الدمعِ، فسالت في نشيدي

---

(1) انظر: مجلة (الأمالي)، سنة 1، عدد 32، سنة 1939.

(2) قيلت القصيدة في رثاء قائد منطقة جبل نابلس في الثورة الفلسطينية، الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد الملقب بأبي كمال، (من ذنابة، طولكرم)، استشهد في قرية صانور، بتاريخ 1939/3/26.

(3) الجدود: الحظوظ. الأوذاء: المحبّون. الغُلّ: طوق من حديد. ربقة: قيد.

5. أنشودة التحرير:

إنَّ أيامَنـــا ابتـــسامةُ ثَغْـــرٍ ... لم يَـدُرْ مثلـها بثَغْـرِ الـدُّهورِ
نشَرتْ ميِّـتَ الأمـاني وأَحيَـتْ ... أمـلاً عارمـاً بقلـب كـسيرِ
فَرِحَ الكونُ، حيث لاحتْ علـى ... الدهرِ، وريعت مُمرَّداتُ القـصورِ
ذاك أن الظلوم يكره فجرَ الحـ ... ـقِّ، كيلا يزول ليـلُ الفُجـورِ
قـومُ طـه بـين الخلائـق قـومٌ ... قد أعـدّوا لكـل أمـرٍ خطـيرِ
قـومُ حُريّـة، أعـدَّهُمُ اللـ ... ـهُ ليتْلُـوا رسـالةَ التحريـرِ
في عبيدٍ يَصُبُّ كـسرى علـيهم ... سـوطَهُ ظالمـاً وَجَـامَ الـنَّكيرِ
فاستجار الحـقُّ المـضيّعُ بـالعُرْ ... بِ، فكانوا الغيـاثَ للمـستجيرِ
صَرَفَتْ شِـدَّةَ الجـوارحِ فـيهمْ ... في الطريق السَويّ، تَقْوى الصُّدورِ
فـروى عنـهُمُ الزمـانُ حـديثاً ... ضَـمَّخَتْهُ فعـالُهُمْ بـالعبيرِ
لم تَـكُ القادسـيَّةُ الـشهيرةُ إلاّ ... أسـطراً في سِـفْرِ عـزٍّ شـهيرِ
هي لُغْزُ الألغـازِ، كيـف يكـونُ ... القِلُّ نصراً على العديـد الـوفيرِ
غـيـر أن الإيمانَ بـالحقِّ والـر ... وحِ، جديرٌ بالنصرِ جـدُّ جَـديرِ
واجتماعُ القلوبِ أضْمَنُ للأمـ ... ـر المرجَّى من الـشَّتيتِ النـثيرِ
عِبْـرَةٌ ليتنـا قـد قَبَـسْنا النـو ... رَ منـها في مُـدْلَهِمِ الأمـورِ
حين صـرنا إلى الخِـلاف، فَقَـدْ ... نـا سَرْبَنا ضَـلَّةً لـسوءِ المـصيرِ
من جديب الصحراءِ أوْفـى علـ ... ـينا الخصبُ من فيضِ حقٍّ وخيرِ
والخـصيبُ الغـنيُّ إنْ يَفْقـد ... الإيمانَ والروحَ، فقـيرٌ وأيُّ فقـيرِ

من صميمِ الصحراءِ طافتْ علـــ ـى الأرضِ، تُزيحُ الدجى مشاعلُ نورِ
فأنـارت ديجـورَ أفئـدةٍ عُمْـ ـيٍ، كانـت هَـيمُ في ديجـورِ
نحن لم نحمـل الـسيوفَ لِهَـدْرٍ بـل لإحقـاقِ ضـائعٍ مهْـدورِ
نحن لم نرفـع المـشاعلَ للحَـرْ قِ، ولكـن للهَـدْيِ والتنـويرِ
نحن لم نطعن الضعيفَ الـمُعَـ ـنّى، وانجبار المحَطَّـمِ المكـسورِ
وَرَحِمْنا عجزَ الـشيوخِ وضـعفَ الطفل، والعرضَ، عرضَ ذاتِ الخُدورِ
ورثينـا للعبـد، يُرغمـهُ الـذُّ لُ، وللحُـرّ في قيـود الأسـيرِ
وشَـفِقْنا علـى العقـولِ، فَـحَـلّـلْنا سمـاءَ الخيـال والـتفكيرِ
وأبحنا للنـاسِ مـا هـوى النـا سُ من الطُّرْقِ، إلاّ طرائقَ الـشرِّيرِ
وَسِعَتْ دارُنـا صُـهَيباً، وسـلما نَ، ولَبَّـتْ بـلالَ بـالتّكبيرِ
تلك أيد لنـا سَـبَقْنَ علـى الإ نسانِ، لكنْ يا ويحَهُ مـن كَفـورِ
عَقَّ كفاً كم لممـتْ مـن جـرا حٍ، وأَسَتْها، وكَفْكفَتْ من غزيـرِ

* * *

أُمَّتي إن تَجُـرْ عليـكِ الزعامـا تُ، فلا تيأسي، ذَريهـا وسـيري
إنها إنْ تَسُؤْ، تَشُلَّ قوى الـشعـ ـبِ، وتَبْـلُ الإقـدامَ بالتـأخيرِ
فتضيعُ الرياح، أدراجها، الجهـ ـدَ على شمألٍ، وصوْبَ الـدّبورِ
وتُلهّي الشعبَ المُضَلّلَ بالـسُّخـ ـفِ، وتُشْغلُهُ تُرَّهَـاتُ الأمـورِ

* * *

أمتي إن تَجُـرْ عليـكِ الزعامـا تُ، فلا تيأسي ذريهـا وسـيري

خوفَ أن يُقسِمَ المُقسِمُ، بالحظِّ بأدنى مُقدّرٍ مقدورِ
كنتِ خيرَ الوجودِ، قد شهد اللـ ـهُ، وأحرى الأنامِ في أن تصيري
القديمُ الجميلُ ريشُ جناحيكِ فَرِقّي في العالمين وطيري
أمتي رتّلي سورةَ السلامَ على الأر ضِ، وغنّي أنشودةَ التحريرِ.

(1) نقلاً عن مخطوطة. **كذلك**: نشرت في مجلة (الغد) المقدسية – 1945/8/10.

(2) ألقاها في المهرجان الذي أقيم في حيفا لإحياء ذكرى معركة القادسية.

(3) **ممرّدات القصور**: القصور العالية. **جام**: كأس. **الدَّبور**: الريح الغربية.

6. نداء الوطن:

دعا الوطنُ الـذبيحُ إلى الجهـادِ ... فطـار لفَـرْطِ فرحتـه فـؤادي
وسـابقتُ الريـاحَ، ولا افتخـارٌ ... أَلَيْسَ عَلَـيَّ أن أفـدي بـلادي
حملتُ على يَدي روحـي وقلـبي ... ومـا حَمَّلتـها إلاّ عَتـادي
وقُلْتُ لمـن يخـافُ مـن المنايـا ... أَتَفْرَقُ مـن مُجابهـة العـوادي؟
أتقعدُ والحمـى يرجـوكَ عَوْنـاً ... وتجبنُ عـن مُـصَاولَةِ الأعـادي
فَدونَكَ خِـدْرَ أُمِّـكَ، فاقتعـدهُ ... وحسبُكَ خِـسَّةً هـذا التـهادي
فللأوطـان أجنـادٌ شِـدادٌ ... يكيلـون الـدمارَ لأيّ عـادِ
يُلاقون الـصعابَ، ولا تَـشاكي ... أَشـاوسُ في ميـادين الجِـلادِ
تراهمْ في الوغى، أُسْـداً غِـضاباً ... مَعاوينـاً إذا نـادى المنـادي

* * *

بنى وطـني دنـا يـومُ الـضحايا ... أغَـرَّ علـى رُبى أرضِ المعَـادِ
وما أهلُ الفـداء سـوى شـبابٍ ... أبيٍّ، لا يقـيم علـى اضـطهادِ
ومَنْ للحرب، إنْ هاجتْ لظاهـا ... ومـن إلاّكُـمُ، قَـدْحُ الزنـادِ
فـسيروا للنـضال الحـقِّ نـاراً ... تُصَبُّ على العِـدى في كـل وادِ
فليس أحَطُّ مـن شـعبٍ قعيـدٍ ... عن الجُلّـى، ومَوْطِـنُهُ يُنـادي
بنى وطـني أفيقـوا مـن رقـادٍ ... فما بعـد التَعَـسُّفِ مـن رُقـادِ
قفوا في وجـه أيّ كـان صـفّاً ... حديـداً لا يـؤول إلى انفـرادِ
ولا تَجمـوا إذا اربـدتْ سمـاءٌ ... ولا تهنـوا إذا ثـارتْ بـوادي

ولا تقفــوا إذا الــدنيا تــصدّتْ لكُمْ، وتكــاتفوا في كــل نــادِ
إذا ضــاعتْ فلــسطين وأنــتمْ على قيدِ الحياةِ، ففــي اعتقــادي:
بــأن بــني عروبتنــا اســتكانوا وأخطأ سَــعْيُهُمْ نَهْــجَ الرشــادِ

(1) قيلت في حفلة الوداع التي أقامها (العقيد الركن طه الهاشمي) للكتيبة الأولى من المناضلين، الذين أنهوا تدريبــهم في **معسكر (قطنا) قرب دمشق**، وكان الشاعر من بينهم، حيث توجهوا إلى فلسطين في ربيع 1948.

7. شرقٌ وغرب:

قَــومي لأنــتُم عِبْــرةُ الأقــوامِ ... هــل تُنْــسبونَ ليافــثٍ أو ســامِ
أبناءُ عمّي مــن نــزارَ ويَعْــرُبٍ ... ليــسوا بــأغرابٍ ولا أعجــامِ
يترسَّمون الغَرْبَ، حتى يوشــكوا ... أن يعبــدوهُ عبــادةَ الأصــنامِ
ما قلَّــدوهُمْ مبــصرينَ، وإنَّمــا ... تبعــوا نظــامَهُمُ بغــيرِ نظــامِ
للغربِ عاداتٌ كغــازاتٍ سَــرَتْ ... في الشرق، مسرى الداءِ بالأجسامِ
لا تأمنوا المستعمرين، فكــم لهــمْ ... حــربٌ تقنَّــعَ وجهُهــا بــسلامِ
حربٌ على لغةِ الــبلادِ وأهلِهــا ... ليــستْ تُــشنُّ بمــدفعٍ وحُــسامِ
والشعبُ إنْ سلمتْ لــه أوطانُــهُ ... ولــسانُهُ لم يخْــشَ قطْــعَ الهــامِ
لا أعرف العــربيَ يلــوى فكَّــهُ ... إن هَــمَّ يومــاً فكُّــهُ بكــلامِ
إن فــاهَ تــسمعْ، لكْنَــةً ممقوتــةً ... مــن فيــهِ، سكــسونيةَ الأنغــامِ
لفظاً من الفُصحى وآخــرَ نابيــاً ... كالغــاز ممزوجــاً بكــأس مُــدامِ
لَهْفي على الفصحى، رماها مَعْشَرٌ ... من أهلها، شُــلَّتْ يمــينُ الرامــي
لم يهتدوا لكنوزها، فــإذا بِهــمْ ... يَرْمونَهــا بــالفقر والإعــدامِ
الــدرُّ في طــيّ البحــور مُخبَّــأٌ ... والتبرُ إنْ تَنْــشُدْهُ تحــت رغــامِ
لن يستعيد العُرْبُ سالفَ مجــدِهمْ ... ولسانُهُمْ غَــرَضٌ لرَمْــي سّــهامِ
إنْ يرفعوا ما انقضَ مــن بنيــانِهمْ ... فالــضادُ أوَّلُ حــائطٍ ودعــامِ

* * *

إنْ يُزْهَ شرقيٌّ بغيرِ العُـرْبِ مِـنْ ... أجـــــداده الأتـــــراكِ والأروام

فأنـا الفخـورُ بـأنني لا ينتمـي ... للعُجْـم أخـوالي، ولا أعمـامي

إن تسألوا عني: إلى مـن أنتمـي ... فـإلى رُعـاةِ النـوق والأنعـامِ

أبغيرِ مجـدِ بـني نـزارَ ويَعْـرُبٍ ... يُزْهى عراقـيٌّ، ويَفْخَـرُ شـامي؟

8. وعد بلفور:

العُرْبُ ما خَضَعوا لسلطةِ قَيْصَرِ ... يوماً، ولا هانوا أمامَ تَجَبُّرِ

لا يصبرون على أذى، مهما يكُن ... والحُرُّ إنْ يُسَمِ الأذى، لم يصْبرِ

والتركُ قد كبروا، وإنّا مَعْشَرٌ ... كُبْرٌ وفوقَ تكبُّرِ المتكبّرِ

وإذا به أمر نُبَيّتُهُ لَهمْ ... تحت الأسنّة والقنا والسَّمهَري

وأتى الحليفُ وقام في أعتابنا ... مَتَحَيِّراً، إنّا هُدى المُتَحَيِّرِ

واستنصرَ العُرْبَ الكرامَ، وإنَّهُمْ ... غوثُ الطريد، ونصرةُ المستنصرِ

وإذا عتاقُ العُرب ثُوري في الدجى ... قدحاً وتصهلُ تحت كل غَضَنْفَرِ

وإذا السيوفُ كأنّهنّ كواكبٌ ... تَهْوي – تَلامَعُ في العجاجِ الأكدرِ

رجحتْ موازينُ الحليف، ومن نَكُنْ ... معه يُرَجَّحْ بالعظيم الأكثرِ

وبَنَتْ له أسيافُنا صَرْحاً فلم ... يحفظ جميلَ العُرْب، يا للمنكرِ

في ذمّة الرحمن، صرعى جُدِّلوا ... وعلى ثرىً بدمِ الرجالِ مُعَصْفَرِ

غَدَرَ الحليفُ، وأيُّ وعدٍ صانَهُ ... يَوْماً، وأيّةَ ذمّةٍ لم يَخْفُرِ

لما قضى وَطَراً بفَضْلِ سيوفنا ... نسيَ اليدَ البيضا، ولم يتذكّرِ

وإذا الدمُ المهراقُ لا بِمُراقِهِ ... جدوى، ولا بنجيعه المُتحدّرِ

ياذا الحليفُ: سيوفُنا ورماحُنا ... لم تَنْثَلِمْ فاعْلَمْ، ولم تتكسَّرِ

بالأمس أبلتْ في عداكَ وفي غدٍ ... في كل قلبٍ غادرٍ مُتحَجِّرِ

تَغلي الصدورُ وليس في غَلَيانِها ... إلاّ نذيرُ العاصفِ المُتفجّرِ

ولقد تصبَّرنا عليك، فلم نُـطِـقْ منك المزيدَ، ولاتَ حـين تَـصَبُّرِ
هذي البلاد عرينُنـا، وفـدىً لها من نَسْلِ يَعْرُبَ كلُّ أُسْـدٍ هُـصَّرِ

---

(1) نشرت في الطبعات السابقة. وألقيت في اجتماع نابلس الكبير (تشرين ثاني، 1935) – ننشرها ،هنا، حسب نسخة بخط أحمد قريع (أبو علاء).

(2) **السمهري**: الرمح الصلب. **تُوري**: تقدح شرراً. **العجاج**: الغبار. **معصفر**: مصبوغ بالعصفر. **هُصَّر**: شديدة البطش.

9. ذكرى الزمان:

– 1 –

هاتِ من ذكرى زمان العزَ هـــاتِ ... حبّبَ الماضـــي لي مـــا هـــو آتِ
يـــا زمانـــاً كلّمـــا ذُكّرتُـــهُ ... ذهبتْ نفـــسي عليـــه حَـــسرَاتِ
حـــين كنـــا غُـــصَّةً غـــصَّ بهـــا ... صدْرُ أعدانا، وشـــوكاً في اللـــهاةِ

تلـــك أيـــام تقـــضَّتْ ... هـــل لها مـــن رَجَعـــاتِ
ليتـــــها لما تقـــــضَّتْ ... قد قَضَتْ فيهـــا حيـــاتي

– 2 –

هاتِ حَدِّثْ، حـــين كُنّـــا لَهبـــاً ... صَلِيَ المُحْرِقُ فيـــه كـــلَّ عـــاتِ
حين هال الكـــون منّـــا مـــا رأى ... مـــن إبـــاء ومَـــضاءٍ وثبـــاتِ
لَفَـــتَ الـــدهرَ زئـــيرٌ رائـــعٌ ... ورأينـــا ذُعـــرَهُ باللَّفتـــاتِ

ذاك عهـــد فـــارو عنـــهُ ... مـــا إذا يُـــروى يَهـــزُّ
هـــاتِ للـــسامع منـــهُ ... فَبِـــهِ مجـــدٌ وعـــزُّ

– 3 –

غـــضبةٌ للحـــقِّ كانـــت حبّـــذا ... عيشةُ المرء مَخُـــوفَ الغَـــضَباتِ
هَبَّـــةٌ للثـــأرِ كانـــت، إنّنـــا ... لذوو بطش، شـــديدو الفَتكَـــاتِ
لم نُطِقْ خَسْفاً، ولم نصبـــرْ علـــى ... عيشةِ الـــذُلِّ ولا كِبْـــرِ العُـــداةِ

نحـــن أذللنـــا الوجـــودا ... نحـــن للكِبْـــرِ مَثَـــلْ
وإذا رُمْـــتَ شـــهوداً ... فَـــسَلِ التـــاريخَ سَـــلْ

- 4 -

صيحةً كانت، فهاجتْ ساكناً ... نفحةٌ لله حلّتْ بمواتِ
أصغت الدنيا لنا وامتلأتْ ... أُذناها بدَويّ الزمْجَراتِ
عزّت العُرْبُ، وعزّتْ دارُها ... تُنْبتُ الآسادَ فيها كالنباتِ
أُمّةٌ ليستْ تَهونُ ... ولها متنٌ أَزَلّ
أرضُها غابٌ مصونُ ... وحِرامٌ لا يَحِلّ

- 5 -

قد عَجَمْتُمْ في الوغى أعوادَنا ... فإذا أعوادُنا، جِدُّ قُساةِ
فإليكم، أو لَمّا تعلموا ... يا بُغاةً، أننا رُغْمَ البغاةِ
يعربٌ أوصى بنيه أنّهُ ... دون حوض العار، أحواضَ المماتِ
قد عُجمتمْ وامتُحنتمْ ... أو لم تدروا اليقينا
قد أبينا حين شئتُمْ ... (أن نُقرَّ الذلَّ فينا)

- 6 -

قد وقفنا، أو لَمّا تذكروا ... لبنى يعربَ، تلك الوقَفاتِ
ورميتمْ لا حديدٌ نافعٌ ... حين ترمون، ولا النار تُؤاتي
هكذا الحقُ على قِلّته ... صادقُ العزم، وَثَبْتُ الخطواتِ
وهوى الباطلُ صعْقاً ... إنّه كان زهوقا
إن من كان مُحقّا ... كان بالنصر حَقيقا

- 7 -

لم تزلْ أسيافُنا مسلولةً ... للعوادي ماضياتِ الشَفَراتِ

فلقَـــتْ هـــامَ الأُلى مـــن قَـــبْلكُمْ ... وهْيَ في هامـــاتكُمْ في المُقـــبلاتِ
قد بَلَـــوْتُمْ مـــن شَـــباها ضـــربةً ... تقصمُ الظهـــرَ وتغـــدو بالحـــصاةِ
فَلْـــيرَ الظـــالمُ حَـــدَّهْ ... وليقـــــفْ لا يَتَعَـــــدَّه
إنَّ مـــن صَـــعَّرَ خَـــدَّهْ ... نتـــــولّى نحـــــنُ رَدَّه

- 8 -

أيهـــا العُـــرْبُ وأنـــتم أمـــةٌ ... لم تنمْ يومـــاً علـــى سَـــوْمِ الأذاة
قد تَـــصَبَّرْتُمْ طـــويلاً فاغـــضَبوا ... وتـــأَلَّيتُمْ، كفـــى لاتَ أنـــاة
فـــاتَكُمْ بـــالحلم بعـــضُ المبتغـــى ... فتلافـــوا بَعْـــضَهُ قبـــل الفَـــواتِ
مَنْ دَجـــا بـــالظلم ليلـــهْ ... فَـــلْـــيُـــنِـــرْهُ بـــالحرابِ
من شـــكا قيـــداً فَحَلَّـــهْ ... عند أطـــرافِ العِـــضابِ

- 9 -

أيهـــا العُـــرْبُ وأنـــتم أمـــةٌ ... مَضْرِبُ الأمثالِ في أَخْذِ الثِّـــراتِ
أتقيمـــونَ علـــى حَمْـــلِ الأذى ... أيُّهـــا العُـــرْبُ وايعـــادِ الجُنـــاة
دونكـــمْ فـــانتقموا، إن الـــدَّما ... تُطفئُ الغُـــلَّ، وتُـــدْني الرَّغَبـــاتِ
الـــدم الأحمـــرُ أشْـــفى ... بَلْـــسَمٌ عنـــدَ المُلمَّـــةْ
الـــدما تجـــرفُ جَرْفـــا ... صاحبَ الظُلمِ، وظُلْمَـــهْ

---

(1) مجلة (الأمالي) – عدد 44 – عام 1939، بيروت.

(2) **اللُهاة**: لحمة في أقصى سقف الفم. **شباه**: السيف. **العضاب**: السيوف القاطعة. **الترات**: الثأر.

10. إلى كل مُتَهاود:

يـــا مـــن تَوَلَّـــهَ بالحبيـــ ـــبِ، هناك قد رَجَـعَ الحبيـبُ
لقـــد انتظـــرتُ إيابَـــهُ شـــوقاً، فهـــا هـــو ذا يـــؤوبُ
في جيبـــه لُعَـــبُ الهـــوى يلـــهو بهـــا الـــصَبُّ اللَّعـــوبُ
لـــك في حقيبتـــه نـــصيـ ـــبٌ فـــاخرٌ، بِـــئْسَ النـــصيبُ
فلتنتظـــرْ غـــداً الكراســـي ســـاكتاً، وغـــداً قريـــبُ

* * *

يـــا شـــعبُ يـــا مـــسكينُ لم تُنْكَـــبْ بنكْبَتِـــكَ الـــشعوبُ
قَلَّـــدتَ أمـــركَ مَـــنْ بِهِـــمْ لا يرجـــعُ الحـــقُ الغـــصيبُ
لَهْفـــي عليـــكَ ألا تـــرى يا شعبُ حولَـــكَ مـــا يَريـــبُ !!

---

(1) قالها إثر عودة (المندوب السامي على فلسطين) السير آرثر واكهوب (Arthur Wakhope) من لندن، ومعـه مشروع المجلس التشريعي – المنشور بتاريخ، 1937/7/7.

11. أيام النضال:

كَشِّري ما شئتِ يا سودَ الليـــالي ... فأبو الطّيب، لا يخـــشى العَـــوالي
إنْ تقاعستُ عن الحـــرب، فـــإنّي ... مجرمٌ يَقْعُـــدُ عـــن شَـــأْو المعـــالي
غـــايتي ألقـــى المنايـــا عـــاجلاً ... في مجال العِلْمِ، أو ساحِ النـــضالِ
فابْـــسمي يـــا (أمَّ عبـــدٍ)، إنَّـــهُ ... زُفَّ للحـــور، وولّـــى للأعـــالي

---

(1) أبو الطيب: كنية الشاعر. وللشاعر عبد الرحيم محمود، ثلاثة أولاد: الطّيب، طلال، رُقيّة.

(2) أم عبد: هي (لطيفة) والدة عبد الرؤوف حمزة.

(3) مساجلة شعرية بين الشاعر، وابن أخيه **عبد الرؤوف حمزة محمود**. قال: عبد الرؤوف، الأبيات التالية:

آهِ مـــا أعـــذبَ أيـــامَ النـــضالِ ... وأُحيْلـــى المـــوتَ في نيـــلِ المعـــالي
لا تقُـــلْ لي وأنـــا أغـــشى الـــوغى ... حـــاذرِ الرَّميـــةَ تـــسْلَمْ في النـــضالِ
رُبَّ ســـاعٍ لم يَمُـــتْ في سَـــعْيـــه ... وقعيـــدٍ مـــاتَ في غـــيرِ نـــضالِ
مـــا جمـــالُ العـــيشِ إلاّ وقفـــةٌ ... في ســـبيلِ الحـــقِّ والـــرأي المثـــالي

– ثمّ ردّ عليه عبد الرحيم محمود بالأبيات **أعلاه**.

12. الحنين إلى الوطن:

تلـــكَ أوطـــاني، وهـــذا رَسْـــمُها ... في سُـــويداء فـــؤادي مُحتقَـــرْ
تتـــراءى لي علـــى بَهجَتِهـــا ... حيثما قَلَّبتُ في الكـــون، النظـــرْ
في ضياء الشمسِ في نـــورِ القمـــرْ ... في النسيم العذب، في ثغر الزَّهَـــرْ
في خرير الجـــدول الـــصافي، وفي ... صَخَب النـــهر وأمـــواج البَحَـــرْ
في هَتونِ الدمع من هَـــوْلِ النّـــوى ... في لهيب الشوق في قلـــبي اسْـــتَعَرْ
دَقَّـــةُ النَـــاقوسِ معـــنىً لاسمِهـــا ... واسمُهـــا مِـــلْءُ تـــسابيحِ الـــسَحَرْ
فكرةٌ قد خالطـــت كـــلَّ الفكـــرْ ... صورةٌ قد مازجتُ كـــلَّ الـــصُّوَرْ
هـــي في دنيـــاي، ســـرٌّ مثلمـــا ... قد غدا اسمُ الله، سرّاً في الـــسُوَرْ

* * *

يا بـــلادي يـــا مُـــنى قلـــبيَ، إنْ ... تسلمي لي أنـــتِ، فالـــدنيا هَـــدَرْ
لا أرى الجنـــــةَ إنْ أُدخِلْتُهـــــا ... وهـــي خِلْـــوٌ منـــكِ، إلا كَـــسَقَرْ
مُنْـــيَتي في غـــربتي قبـــل الـــردى ... أنْ أُملّـــي مـــن مجاليـــكِ البَـــصَرْ
ظمئـــتْ نفـــسي لمغنـــاكِ، فهـــل ... يُطفـــئُ الحرقَـــةَ بـــالعَوْدِ القَـــدَرْ؟
فَـــيُـــصلّي القلـــبُ في كعْبتـــهِ ... وتـــضمُّ الـــروحُ قُدْسِـــيَّ الحَجَـــرْ
وتَمُـــرّين بيُمنـــاكِ علـــى ... جسدٍ أضـــناهُ في البعـــدِ الـــسَهَرْ
ويـــغـــنّـــي الطـــيـــرُ في أشجارِهِ ... نَغَماً يُـــرْقِصُ، أعطـــافَ الـــشجر
خَـــبَـــرٌ تنـــقـــلُـــهُ ريحُ الـــصَّبا ... ويـــذيعُ الزهـــرُ أنغـــامَ الخـــبر
ويلاقـــي كـــلُ إلْـــفٍ إلفَـــهُ ... ويلُمَّـــانِ الـــشَتيتَ المُنتـــشِر

* * *

يـــا بـــلادي: أرشـــفيني قَطْـــرةً كلُّ ماءٍ غـــيرَ مـــا فيـــكِ كَـــدِرْ
ليتَ مـــن ذاك الثـــرى لي حَفْنـــةً أتملّى من شـــذا الـــتُربِ العَطِـــرْ

(1) كتبها وهو في البصرة – العراق عام 1940 – انظر: أبو يوسف الكـــافي، جريـــدة الـــرأي العـــام الكويتيـــة، 1963/8/15.

(2) **هتون**: تتابع الدموع. **استعرّ**: اشتعل. **المجالي**: المشاهد الجميلة. **هَدَرْ**: باطل.

13. سياستُنا تسالٍ!!

وقالوا: قادةٌ خَلقوا شُعوباً ... ولو عكسوا، لكان الأمر أَوْلى

فنحن الشعبَ، إن رُمنا انطلاقاً ... وجدناهمْ لدى الأزمات غُلاّ

أضلّونا عن المثلى وتاهوا ... وما كانوا ليَهدُوا الناس مُثلى

فكم فعلٍ لهمْ عَيْبٌ ولَهْوٌ ... وكم قولٍ لهمْ ما صحَّ عقلا

تَعَقَّدَ أمرُنا بِهِمُ وأضحى ... كذيل الضّبّ يُعْجِزُ أن يُحَلاّ

وكان الشعبُ سيفاً ذا مضاءٍ ... فَثُلّمَ حَدُّهُ منهم وفُلاّ

أسودٌ في مجال القول، حُمْرٌ ... مُنفّرةٌ لدى حربٍ وجُلّى

يُهْدّمُ بعضُهمْ بعضاً ويَبْني ... على جُثَثٍ له قصراً مُعَلّى

وليس يُضيرهم، وهُمُ بخيرٍ، ... إذا ما الشعب في نار تقلّى

بِعُرْفهموا سياستُنا تَسالٍ ... فمن لم يلق إلاّها تَسَلّى

وما الخُطَب الطوالُ الخُمْسُ إلاّ ... مصايدَ للظهور، وليس إلاّ

وإلاّ، ما الذي أورى زِناداً ... لِخُلْفٍ بينه والشعب يُجْلى

لعمرك ما نووا يوماً صلاحاً ... وهم في الناسِ أشباهُ القِرلّى

فإنْ تَرَ عينُه شراً تَعَلّى ... وإنْ ترَ عينُه خيراً تَدَلّى

ومن عجبٍ بقاءُ ثقيلِ ظلٍّ ... عليكَ، فلا يَريمُ له مَحَلاّ

---

(1) نقلاً عن مخطوطة كتبت بخط يد الشاعر. ونشر جزء من القصيدة في جريدة (الاتحاد) – حيفا، عدد 12– بتاريخ 1946/8/14: كما تقول (المخطوطة).

(2) **تفسيرات من الشاعر: العُل:** القيد. **ذنب الضب:** يضرب به المثل في التعقيد. **حمر منفّرة:** تشبيه قرآني يقال في القوم الرعاديد الجبناء. **جُلّى:** شدة. **القِرلّى:** طائر شديد الحذر يضرب به المثل لذي الأثرة، فيقال: فلان كالقرلّى، إن رأى شرّاً تعلّى، وإن رأى خيراً تدلّى. **يريم:** يترك.

14. رأيت ... فقلتُ ... :

رأيـــــت يومـــــاً أمَّـــــةً يـــسوقُها سَـــوْقَ الخُطَـــمْ
مُحكَّـــمٌ يحـــسبُ وقـــعَ الـــسوطِ والعـــصا، نَغَـــمْ
يطربُـــــهُ أنينُهـــــا ونوحُهـــــا، مـــــن الألمْ
إن لم يجـــدْ لحمـــاً لها يأكلـــهُ، عَـــبَّ بـــدمْ
يرفُـــلُ مـــن شـــقائها بـــثـــوب عـــزٍّ ونِـعَـــمْ
والأرضُ مـــن (بُكائِـــهِ)! تزلزلـــتْ مـــع الحَـــرَمْ

* * *

عـــاش علـــى حرمانهـــا وأسْلَـــسَتْ، ولم تُهَـــمْ
ولم تَثُـــرْ ولم تُجرِّعْـــهُ مـــرارَ مـــا اجتَـــرَمْ
فقلـــتُ هـــذي أمـــةٌ مـــن بـــشرٍ، أمْ مـــن غَـــنَمْ؟

* * *

رأيـــتُ يومـــاً للخطابـــاتِ زعيمـــاً قائمـــا
قـــد جَمَـــعَ النـــاسَ لكـــي يُســـمِـعَـهُـمْ شـتـائـمـا
وصـــبَّ في آذانهـــمْ مـــن عنـــده مزاعمـــا
وراح يَهـــوي مُعْـــولاً للمكرمـــات هادمـــا
أيقـــظ فـــيهم فتنـــةً أهـــاج حِقْـــداً نائمـــا
وبـــثَّ في نفوســـهمْ مـــن نفْـــسهِ سَـــخائما

وَقَسَّمَ النـاسَ لـدى خـوض الـوغى، قسائما
ولم يبـالِ، إن يَمـو تـوا، كـي يظـلَّ سـالما
وأن يغوصـوا في الرّزايـا، ويظـلَّ عائمـا
هـو الأمـينُ ظـاهراً وباطنـاً هـو العمـى
فقلـتُ: حتَّـامَ سـيبقى الـشعبُ لـيس فاهمـاً؟!!

* * *

رأيـتُ يومـاً... قاعـداً إن سـارتِ النـاسُ قَعَـدْ
كـأنّـهُ مُـكَـتَّـفٌ رَبـيطُ حبـلٍ مـن مَـسَدْ
يغـطُّ في رقدتـه والخَطْـبُ صـحّى مَـنْ رَقَـدْ
غرقـانُ، يـدني حُلْمَـهُ جَـزْرٌ، ويُقـصي عنـه مَـدّْ
يـصيحُ: إنّـي أسَـدٌ ومالَـهُ نـابُ الأسـدْ
وكـلَّ يـومٍ حَـدُّه يُـؤْتَـى، ولا يـحـفـظُ حَـدّْ
ولم يُجهِّـزْ عـدداً ولم يَـصُغ لـه العُـدَدْ
ولم يَـسِرْ في جَـدَدٍ فيهتـدي لما يَـوَدْ
ينظـر للغيـب، لعـلّ الغيـبَ يُعطيـه المَـدَدْ
وخـُطبـةً فـخُـطبـةً قـال ولـمَّـا يـرتـعـدْ
فقلـتُ: إن لم تـستفقْ يـا شـعبُ يومـاً تُفْتَقَـدْ

---

(1) نقلاً عن (مخطوطتين) مختلفتين، بخط يد الشاعر.

15. المسجد الأقصى:

نجمُ السعود، وفي جبينكَ مطلعُـهْ ... أنّى توجَّهَ ركـبُ عِـزّكَ يتبَعُـهْ
سهلاً وطئتَ، ولو نزلتَ بِمُمْحِـلٍ ... يوماً لأمرعَ مـن نزولـكَ بَلقَعُـهْ
والقومُ قومُكَ يا أمـيرُ إذا النـوى ... فَرَّقَتْهُ، أحـلامُ العروبـةِ تجمعُـهْ
مالوا إليكَ، وكـلُّ قلْـبٍ حُبُّـهُ ... يحدو به شـوقاً إليـكَ ويدفعُـهْ
كلُّ امرئٍ أصغى إليك، فَلَيْـتُهُ ... تَعِبٌ بما أصغى إليـك، وأخدَعُـهْ
ويرددون الطَـرْفَ فيـك محبـةً ... فيغُضّهُ نـورُ الجـلال ويُرجِعُـهْ
بغضي لديك مهابـةً، هيهـات أنْ ... يجدَ الشجاعُ لديكَ شيئاً يـشجُعُهْ

* * *

إن العفـاةَ لهـمْ بجـودكَ مرتـعٌ ... والسيفُ في هام الأعادي مرتعُـهْ
كم خائنٍ طلبَ الخـروجَ فَهالَـهُ ... عَزْمُ الأميرِ، ولم يَـسَعْهُ موْضِـعُهْ
كالليل أنت، وليس من إدراكـهِ ... بُدٌّ، ولـيس لمنتـأىً مـا يوسـعُهْ
أَفَتى رفادةَ، هـل علمـتَ بحالـهِ ... ما يومُه؟ ما شأنُه؟ مـا مـصرعُهْ؟
المُطمعُـوهُ، رُدَّ كيـدُ صـدورِهِمْ ... ومشى بـه نحـو المنيّـةِ مَطْمَعُـهْ
النصر للحـقّ المُـبينِ، وللـذي ... هو في الوغى، ثَبْتُ الجنانِ، وأصمَعُهْ

* * *

مثل الأميرِ ولستُ مـن مُدّاحـه ... عجْزاً يقلّ لديَّ ما قـد يَـسْمَعُهْ
لك في الفـؤاد، مكانـةٌ قُدسـيةٌ ... واسمٌ نقيشٌ فيـه، لـسنا نزعُـهْ
العُرْبُ جيشٌ لا يُفَـلُّ، عَرَمْـرَمٌ ... وأبوكَ في هـذا العرمـرم تُبَّعُـهْ

عَلِقَتْ به الآمــالُ، هــذا حبُّنــا ... هذا الوفــاءُ إلى سمائــكَ نرفعُــهْ
شَرْعُ العروبــةِ، لا نَــني عُبّــادَهُ ... وسواه – لا وَجلالكمْ – لا نَشْرَعُهْ

* * *

يا ذا الأميرُ، أمامَ عينــك شــاعرٌ ... ضُمَّتْ على الشكوى المريرةِ أضلُعُهْ
المسجدُ الأقصى. أجئــتَ تــزورُهُ ... أمْ جئتَ من قبل الضياعِ، تُودّعُهْ!!
حَرَمٌ يُبــاحُ لكــلّ أوكَــعَ آبــقٍ ... ولكــلّ أفّــاقٍ، شــريدٍ أربُعُــهْ
الطــاعنون. وبوركــتْ جَنَباتُــهُ ... أبنــاؤُه، أعظــمْ بطعــنٍ يُوجعُــهْ
وغداً، وما أدناه، لا يبقــى ســوى ... دمعٍ لنــا يهمــي، وَسِــنٍّ نقرعُــهْ
ويُقرّبُ الأمرَ العــصيبَ، أســافلٌ ... عجلــوا علينــا بالــذي نتوقعُــهْ
قوم تضلّ لدى الــسداد حــصاتُهُ ... ويسيطر العادي عليــه ويُخْــضِعُهْ
صِحْ يا أميرُ بــهِ، فرُبَّــةَ صَــيْحةٍ ... من فيكَ تُجدي إنْ تــشاءُ وتنفعُــهْ
سلْ سادني الأقصى: أقــومٌ مجمــعٌ ... في الحرب، أم متنــافرٌ لا تجْمَعُــهْ
سلْ سادني الأقصى: أيُعْهَدُ لامــرئٍ ... عَهْــدٌ أمــام الله، ثم يُــضَيِّعُهْ
شكوى وتحلــو للمــضيم شَــكاتُهُ ... عند الأمــير، وأن ترقْــرقَ أدمُعُــهْ
سِرْ يــا أمــيرُ ورافقتــكَ عنايــةٌ ... نجمُ السُّعودِ، وفي جبينكَ مَطْلَعُــهْ

---

(1) نقلاً عن مخطوطة بخط يد الشاعر.

(2) ألقيت في (عنبتا – فلسطين) – أمام **الأمير سعود بن عبد العزيز آل سعود** حين زارها يوم الخميس في 1935/8/14.

(3) للقصيدة – في عدة مخطوطات – عدة عناوين منها: (المسجد الأقصى) – (نجم السعود) – (سل سادني الأقصى). وقد رجّحنا عنوان (المسجد الأقصى) على غيره، لتكراره أكثر في المخطوطات.

(4) **أمرع**: أخصب. **بلقع**: قفر. **اللّيْت**: صفحة العنق. **أخدع**: عرق في صفحة العنق. **لا ني**: لا تتوقف. **أوكع**: لئيم. **آبق**: خائن. **سنّ نقرعه**: الندم. **الأصمع**: الذكي.

16. روضٌ... وإنّي عندليبُه:

روضٌ وإنّـــــيَ عندليبُـــــهْ يـــوحي لِـــيَ المعـــنى رطيبُـــهْ
ربّـــي علـــى حُـــسْنِ الوفـــا ءِ رَبـيـبَـهُ، فَوفَى ربـيـبُـهْ
لي كـــلَّ يـــوم فيـــه شـــعرٌ ســـائرٌ شـــتّى ضُـــروبُهْ
ويـــرنّ في جَـنَـبـاتـــهِ مـــن لحـــنيَ المُـوحى طَروبُـهْ
نـــورٌ قبـــستُ قـــصائدي منـــه، فـــشاعَ بـــها لَهيبُـهْ
ورمـــت أشـعَّـتُـــهْ ظـــلامَ الجهـــل فانهتكَـــتْ حُجوبُـــهْ
صَـــرْحٌ تهـــزّأَ بالزمـــانِ، ولم تَنَـــلْ منـــهُ صُـــعوبُهْ
مَـــرَّتْ بـــه كَلْمـــى خَوَاسِـــرَ، أنْ تُهدَّمَـــهُ حُقوبُـــهْ
فامتـــازَ مـــن حَـــسَدٍ ظلـــومٍ، وَدَّ لـــو قُطعـــتْ ســـبوبُهْ
ليـــسود في النـــاس العمـــى ويـــسودَ مِـــنْ جهْـــلٍ غبوبُـــهْ
والظلـــمُ هـــذا دابُـــهُ في الغـــدرِ لـــيس يَـــني دَؤوبُـــهْ
وسياســـةُ التجهيـــلِ ســـيفُ مُـــصْلَتٌ، تُـــرْدي نُدوبُـــهْ
والبغـــيُ أبطـــشُ إنْ يكُـــنْ فقـــراً وتجهـــيلاً حروبُـــهْ
فالـــسيفُ قـــامَ حريبُـــهُ والجهـــلُ لم يُبعـــثْ حريبُـــهْ
إنْ لَـــمْ تُـــرِبْ شـــعباً، جَهالَتَـــهُ، فمـــا شـــيءٌ يُريبُـــهْ
والعـــزّة القَعْـــساءُ بنـــتُ العلـــم غَـــذّاها حليبُـــهْ
والـــسيفُ لا يجـــدي بـــلا عَقْـــلٍ يُـــصرِّفُهُ لبيبُـــهْ

والجـــــاهلون إذا وَلُـــــوا أمـــراً تَـــشِتُّ بهـــم دروبُـــهْ
يتخبطـــــون فـــــلا الخطـــــا ءُ لَهُـــمْ يَـــبينُ ولا مُـــصيبُهْ
كتخـــــبط الأجنـــــاد في جلَـــلٍ، وقـــدْ أوفى عـــصيبُهْ
يتنـــــابزون، ونحـــــن ننتظـــــر الجـــــلاءَ دَنـــــا رهيبُـــــهْ
بـــاتوا علـــى ليـــل الخِـــصا مِ وشـــعبُهمْ قلقـــتْ جُنوبُـــهْ
أزجـــوْا إلى حَـــرْب، بِقَـــوْ مِهمُـــو، مُفَرّقَـــةٌ خُروبُـــهْ
فـــدنا مـــن الخطـــر، القـــصيُّ وضـــاع مِـــنْ أمـــل قريبُـــهْ
والخطْـــبُ لا يُلْقـــى بـــأحزابٍ، إذا يَـــدْهو خريبُـــهْ
إنّـــا تذوقـــنـــا الخـــلافَ، فـــلـــمْ تُـــرانا نَـــسْتطيـــبُـــهْ
والخُلْـــفُ بُـــومُ الـــشُؤمِ في الـــدنيا، وينعانـــا نعيبُـــهْ
هـــل منـــبرٌ يـــا نـــاسُ للإصـــلاحِ يـــدعونا خطيبُـــهْ
ويلُـــمُّ شمـــلَ قلـــوبِ قـــومٍ، أصـــبحتْ شـــتّى قلوبُـــهْ
ويعيـــد ذاهـــبَ مظهـــرٍ يُـــودي بأجمعنـــا ذهوبُـــهْ
فيقابـــل النـــاسُ الزمـــانَ، ومـــا خَفَتْـــهُ لهـــم عيوبُـــهْ
يـــا قـــومُ صـــاح بنـــا الـــصريخُ، فمـــا لَنـــا لا نـــستجيبُهْ
وجميعُنـــا يـــدري التَفـــرُّقَ في الـــشدائد مـــا عيوبُـــهْ
مـــا فـــاز قـــومٌ بينـــهم خُلْـــفٌ يـــدِبُّ بهـــم دبيبُـــهْ
والخُلْـــفُ حـــالٌ يُـــوئسُ الهمّـــاتِ مـــن قَـــصْدٍ كئيبُـــهْ
مـــرضٌ لـــشقوتنا تأوَّفنـــا أذاه، فمـــن طبيبُـــهْ؟

مـــن ينقـــذُ الـــوطنَ الحبيـــبَ، رمـــاه في البلـــوى حبيبُـــهْ
فيـــك الخـــلاصُ أيـــا شـــبابُ، وقـــد تخـــاذل عنـــه شـــيبُهْ
أنقِـــذهُ أنـــتِ فخيـــرهُ لـــك دونَهـــم وعليـــك حوبُـــهْ
كُـــنْ ســـيفَه في النائبـــات، وتُرسَـــه ممـــا يُـــصيبُهْ
واعنُـــفْ فلـــم يرجـــع بغـــيرِ العُنـــفِ مـــن حـــقٍّ ســـليبُهْ
إلـــبِسْ حديـــداً في النـــضال يزّنـــكَ في الـــدنيا قـــشيبُهْ
مـــا عـــاشَ مـــا بـــين الوحـــوش مُـــسالماً قَـــصُرَتْ نيوبُـــهْ
والقيـــدُ لـــيس لـــه ســـوى نـــارٍ مؤججَـــةٍ تذيبُـــهْ
والظلْـــمُ يجرفـــه الـــدمُ المهـــراقُ في حـــربٍ صـــبيبُهْ
فـــافهمْ ولا يَخْلِبْـــكَ مـــن غـــدرٍ لـــشرّيرٍ خلوبُـــهْ
واعلـــم ولا يخـــدعْكَ مـــن وعـــدٍ ومـــن عهـــدٍ كذوبُـــهْ
واغـــضبْ لعرضـــكَ إن ثُلبـــتَ يُخفـــك مـــن غـــضبٍ ثلوبُـــهْ
كـــنْ ذئـــبَ فَتْـــكٍ في الوجـــودِ، وإنْ وَدِعْـــتَ، فَـــراكَ ذيبُـــهْ
واهجـــمْ علـــى الميـــدان لا تُرْعَـــبْ، فمـــا أجـــدى رعيبُـــهْ
غـــامِرْ، فـــإني قـــد رأيـــتُ العِـــزَّ يُحرَمُـــهُ هَيوبُـــهْ
إنّ الـــشباب لظـــىً يُحَـــرّقُ دوحـــةَ العـــادي شُـــبوبُهْ
والعاصـــفُ الـــسَفّاعُ يهـــدم قُبّـــةَ البـــاغي هُبوبُـــهْ
إن قـــال كانـــت زأرةً فيـــضيقُ بالطـــاغي رحيبُـــهْ
أوْ صـــالَ كانـــتْ فَتْكـــةً فـــيلينُ مـــن قـــاسٍ صَـــلوبُهْ

هـــذا الـــشبابُ!! جحيمُـــهُ لعـــدىً وللقُـــربى شَـــنيبُهْ

ذو مِـــرَّةٍ سَـــجَدَ الزمـــان لـــه مُـــسلّمةً خطوبُـــه

غيـــثٌ بـــه يزهـــو الحِمـــى ويُغِـــلُّ مـــن عمـــلٍ جديبُـــهْ

هـــذا الـــشباب إليـــه نَـــسَبْتُ، وخيـــرُ تقـــصيدي نـــسيبُهْ

كونـــوه يـــا وِلْـــدَ (النجـــاح)، فقـــد أهـــاب بكـــم مُهيبُـــهْ

لا لا تـــدوروا كـــالرَحـــى في معـــشرٍ أنـــتم قطوبُـــهْ

لا ترجعـــوا مثـــلَ الـــصدى كَلِمـــاً تملككُـــمْ صـــخوبُهْ

أدّوا رســـالاتِ الـــشباب الحـــرّ، حاشـــاكم معيبُـــهْ

روضُ النجـــاح ثمـــارُه هـــذي، نـــضجن، وذاك طيبُـــهْ

روضٌ وإنّـــيَ عندليبُـــهْ يـــوحي إلى روحـــي رطيبُـــهْ

---

(1) ألقيت بفندق فلسطين في حفل توزيع الشهادات على الطلبة الخريجين بكلية النجاح الوطنية في نـابلس، بتـاريخ (1945/6/3).

(2) نقلاً عن نسخة بخط يد الشاعر، وصورة عنها.

17. قُمْ يا صلاح الدين:

غداً سنرفعُ رايات الفداءِ على ... هام الجبال، فيا مرحى بحطّينِ
قُمْ يا صلاح فقدْ هَمَّ القضاءُ بنا ... قم يا صَلاح فلن نبقى على الهونِ
قم يا صلاح، فَذا مسرى النبي غدا ... ملجا الذئابِ ومعدى كلّ مأمونِ
الخصمُ جمَّعَ أموالاً وأعتدةً ... وجنَّد الغيدَ في ساح الميادينِ
ونحن قحطانُ أُسْدُ الغابِ قد حفلتْ ... قلوبنا ونزلنا حمأة الطينِ
يا حسرةً لشباب العُرْبِ أسكرهمْ ... صوتُ العنادل في روض البساتينِ
وللمدافع في أشبالها نغمٌ ... يُنسي الجبان، ويُحيي كلّ محزونِ
يا فتية الجيل، قد عزَّتْ أوائلكُمْ ... وخَلّدوا كلّ مأمورٍ وميمونِ
لكُمْ ببغداد إخوانٌ تُظاهِرُكُمْ ... هُمُ أسودُ الوغى، شُمُّ العرانينِ
فليحذرنّ عدوَّ الشرق وَثْبَتنا ... فقد أفقنا، وإن غنا إلى حينِ
ولا تُغَرّوا بلينٍ في سياستنا ... لينُ السياسةِ من لينِ الثعابينِ
إن لم تردّوا ترابَ الأرضِ من دمكمْ ... ستخرجون بلا دنيا ولا دينِ

---

(1) نسخة بخط أحمد قريع (أبو علاء). ولم أعثر على أية نسخة أخرى.

18. ثورة دمشق وبيروت:

أبَتْ رَقّاً وحطَمتِ الصفادا ... وسارتْ فوق أمجادٍ تهادى
وناداها من التاريخِ صوتٌ ... فلبَّتْ لا تَقاعُسَ حين نادى
وما سوريةٌ إلاّ رقاةٌ ... رقَتْ عزّاً وعوّذتِ التلادا
وفيها قَبْسةٌ من عبْدِ شمسٍ ... ومن غسّانَ تُهديها السَدادا
تريدُ وإنْ قَصا عنها مرادٌ ... أنالتها ضحاياها المرادا
وتُقْدِمُ لا تبالي حين تلقى ... مصارعَها، جموعاً لا فُرادى
ومن لم يَبْنِ من صَرْعاهُ جسراً ... إلى بَرِّ المُنى، ضَلَّ الرشادا
وخيرُ بنائنا الباقي بناءٌ ... تكون له جَماجُمُنا عِمادا
ومن يخطبْ من الدنيا عظيماً ... به غالي لدى مَهْرٍ وفادى
سعت سوريةٌ وسعى بنوها ... لأمرٍ أحسنوا فيه الجِلادا
تَملَّكَ حبُّ الاستقلال منهمْ ... قلوباً قد عشقنَ له الجهادا
تعاندهمْ (فرنسا) في رغابٍ ... لهمُ، وهُمْ خلقوا العنادا
أُباةٌ لا يَقِرُّ لهم قرارٌ ... على خَسْفٍ كمفترشٍ قَتادا
إذا بخسوا يزيدون اعتزازاً ... وإنْ ظلموا يزيدون اعتدادا
وتخلقُ منهم الجُلى أُسوداً ... وتشحذ منهم الهِمَمَ الشدادا
ويستوحون تاريخاً مجيداً ... به تاهوا على الدنيا مجادا
ولّما أن طغت (باريسُ)، ثاروا ... ولم يرضوا لباريسَ انقيادا
وما باريسُ إلاّ دار قَهْرٍ ... بها وَهَنٌ، تطاوعُ من أرادا
غزاها من بني (برلينَ) ناسٌ ... وعاثوا في نواحيها فسادا

وأرغمت الأنوف لهم صفاداً ... وذللت الخدود لهم مهادا

وداسوا فوق أذيالِ العذارى ... ولم تغضب وأسلمت القيادا

ولّما أن قضى الرحمن أمراً ... غريباً فيه، قد وعظ العبادا

غدت تعدو على البرءاء ثأراً ... تسومهمو، ولم يخبوا اضطهادا

كذا إن يحكم المضعوفُ يوماً ... بَغى في حُكْمِه وطغى وزادا

وإن مَلَكَ اللئيمُ على رقابٍ ... غدا سيفاً لها، وقَسا فؤادا

وراحتْ تحشدُ (السنغال) حشداً ... لقومٍ لم تخف لهم احتشادا

وتحشر من وحوشِ الناس حتّى ... تعادى هَمَّ قومٍ لا يُعادى

إذا ما استهدف العلياء يوماً ... تمكن لا يُدار ولا يُرادى

يصون تراثَهُ ويصونُ غاباً ... كما العنقاء يكبر أن يُصادا

أيا باريسُ لستِ هناك إنّا ... لأحرارٌ، ونأبى أن نُسادا

وما كان الزنوج سوى رداءٍ ... لبستُهمُو على الماضي حدادا

وما يغنون في إرجاع ميْتٍ ... بكثرهم، ولو كانوا جرادا

هَبيهم دمَّروا ورموا شواظاً ... فهل يجدي توحشُهمْ مفادا

وهل يُدنون من أمرٍ، قصيّاً ... وهل يحيون من مجدٍ، مُبادا

سوى أن يملأوا سِفْراً دماءً ... وسِفْرُكِ فاض من عُهْرٍ سوادا

تَغيَّبَ نجمُكَ المنحوسُ عنّا ... وقدّرنا له ألا يُعادا

بذرتِ الشرَّ في الدنيا فذوقي ... ثمارَ الشر، إذْ بلَغتْ حَصادا

دمٌ أهرقتَه أوفى أبيّاً ... ولن تَجِد الملاذَ ولا المَحادا

وأبياتٌ حَرقتِ مُمَردات ... سَنَذْروها بعينيك رمادا

يَعِـزّ علـيّ أن أزجـي القـوافي ... ولا أزجـي المُثقّفـةَ الـصعادا

وفي قلـبي مـن الأحقـاد نـارٌ ... علـى بـاريسَ، تَتَّقِـدُ اتقـادا

فـلا يـروي غليلـي غـير غَمْـرٍ ... من الدَمِ، إنْ يَـرِدْ غـيري الثمـادا

أغهلُـها الغـداةَ، وقـد أقامـتْ ... قيامَتنـا بجلّـقَ والمعـادا

ولم تقـف الحيـادَ دمـشقُ حـتى ... لدى خطـب فـلا تقـفُ الحيـادا

وديغـولٌ أخـو جهـلٍ، وإنْ لم ... يَـذُق مـن مُـرِّ علْقَمِنـا تمـادى

تَـوهَّمَ أنـه أورى زنـاداً ... لنـصرٍ وهـو لم يُـوْرِ الزنـادا

وخـال رجالَـهُ فتحـتْ بـلاداً ... ونعلـم نحـن مـن فـتحَ الـبلادا

فـلا أُزجـي لميـدانٍ جنـوداً ... ولا أُزجـي لميـدانٍ عَتـادا

توارى مـن بـلاد النـاس حـتى ... إذا مـا حطّـت الأوزارُ عـادا

وعـاد ليرهـقَ الـدنيا صـعوداً ... وعـاد ليجـشم الـدنيا كبـادا

وطـاوع نفـسَهُ وبهـا غـرورٌ ... وَتُوّهَ عـن هـدى المثلـى وحـادا

ولما أن رأى الغـضبات تبـدو ... علـى أسـيافنا، ارتَـدَّ ارتـدادا

مطـامعُ للعِـدا قـد عَلّمتنـا ... محافظـةً وجـدّا واتّحـادا

بـني قـومي وكُلكُـمُ جـريحٌ ... فكونـوا للجراحـات الـضمادا

وإنّـا حـين نحيـا في وحـوشٍ ... نُعِـدُّ لها الأظـافيرَ الحـدادا

وفي سـوريةٍ شـعبٌ أبيٌّ ... يُكـافحُ دائبـاً كـي لا يُبـادا

ومـا أيـدي الأباعـد، مجـدياتٌ ... إذا لـك تلـقَ مـن أهـلٍ إيـادا

---

(1) كتبت هذه القصيدة عام 1944 في (ذكرى ثورة سوريا ولبنان). وألقيت في (مهرجان نابلس) لنصرة سوريا ولبنان، الذي أقيم بفندق فلسطين.

(2) النص نُقِلَ عن مخطوطة بخط يد الشاعر. وقورنت مع نسختين أخريين: إحداهما قديمة بخط أحد أصدقاء الشاعر. والأخرى بخط السيد: أحمد قريع – الموظف في البنك العربي في الدمّام بالسعودية سابقاً.

19. طوفان سوريا :

مصابٌ من الدهر أذكى الأسى ... وأصمى فؤاديَ لما دها
أُكفكفُ دمعي لدى ذكرهِ ... لكيلا أزيدَ خِضَمًّا طمى
عجبتُ لمطفئ حرّ القلوبْ ... يشبُّ بقلبيَ ناراً لظى
وما فيه سرّ حياة الوجود ... يفيض وفيه فناء الورى
لو أنّ الخيار لنا في الورود ... عليه، لأوثر وِرْدُ الصدى
بناتُ الزمان، خبايا الكفانِ ... فيا للزمان، وما قد خبا
يُراعي التكافؤَ في زوجهنَّ ... فهذا لهذي، وهذي لذا
وما العُرْبُ إلاّ فخار الوجودِ ... فللعُرْب فيهن ما قد علا
مصابٌ يُدكدِكُ شُمَّ الهضابِ ... ولو نيطَ بالنجم يوماً هوى
يهون الأنام إذا ما ابتلوا ... وتشمخ عِزّاً إذا تُبتلى
ولكنْ دمشقُ وجنّاتُها ... لها الروحُ والمالُ، منّا فِدا
دمشقُ الحبيبةُ زينُ الوجودِ ... وغابُ الأسود... ورغم العِدا
هي الجيدُ، عُطِّلَ عن عقدهِ ... وفيه السناءُ له والسنا
وكُنّ التعاويذَ من حوله ... ومن عَيْنِهِنَّ، سدينَ الرّقى
جنانٌ حسانٌ، ترى كالمهامهِ ... بين العَشيِّ وبين الضحى
فأين القصورُ وأهل القصورِ ... وأين الرياضُ وأين الشذا
تصاويرُ في صَفَحات الجمالِ ... محاها الزمانُ بما قد محا
بنفسي الصغارُ، حسانُ الوجوهِ ... كأنّهمو زهراتُ الرُبا

تَقَـــاذفهمْ جارفـــاتُ الأثـــى ... تقـــاذفهمْ في الحيـــاة الـــدمى
فَـــرأسٌ رضـــيخٌ علـــى جنـــدلٍ ... وقد كان معبـــثَ ريـــح الـــصبا
وثغرٌ هـــشيمٌ. كمـــا الأقحـــوانِ ... وخَـــدٌّ كـــورد الـــروابي ذَوى
ومـــا سمـــع المـــاءُ آهـــاتِهمْ ... ولا رحـــم المـــاءُ فـــيهمْ بُكـــا

وزيـــنُ البـــدورِ، حـــواكي البـــدور، ذواتُ العفـــافِ، ذواتُ التُقـــى

ينـــادين أيـــن حُمـــاةُ الـــضعافِ ... وأينَ الرجـــالُ، أســـودُ الحمـــى
وضاع النداء، فمـــا مـــن مجيـــبٍ ... يجيـــبُ نـــداهُنَّ إلاّ الـــصدى
نجـــومٌ حواهـــا ضـــميرُ الخِـــضمِّ ... فبـــاهى بهـــنَّ نجـــومَ الـــسما
بنفـــسيَ عقـــداً نظيمـــاً يُفـــضُّ ... وشَـــمْلاً تبـــدَّد أيـــدي سَبـــا
فمـــنْ صـــائحٍ يـــا أبي يـــا أبي ... ومن صـــارخٍ، وا أخـــا، وا أخـــا
ومـــن لائـــذٍ بـــذيول الفـــرار ... ولاتَ فـــرارٍ فلاقـــى النـــوى
تمنّى الذي قـــد أصـــاب النجـــاء ... بعيـــد التبـــصّر، أنْ لا نجـــا
وبُعـــد الـــديار وبُعـــد الأحبّـــةِ ... عـــن ذي الحيـــاة غـــنىً للفـــتى
مَـــراءٌ تُلـــيّنُ صُـــمَّ الـــصَفا ... مـــشاهدُ أفـــضل منـــها العمـــى
دمشقُ الجـــريحُ وأنـــتِ الفـــؤادُ ... جُرحتِ، وللقدس فيـــكِ الـــضَنا
دمـــشقُ الحبيبـــةُ لـــبّـــيكِ، لا ... يُرعْـــكِ الزمـــانُ، فإنّـــا الفِـــدا

---

(1) نقلاً عن مخطوطة بخط يد مروان الطاهر.

(2) قيلت في شتاء عام 1937، في كارثة طوفان المياه في سوريا. ويحتمل أن تكـــون قـــد نـــشرت في (الجامعـــة الإسلامية)، وفي (الرسالة).

20. في العيد تلتئم الجراح:

في العيـــد تلتـــئم الجـــراحُ وتُرْقَـــأُ العـــينُ القريحـــةْ
والعيـــدُ مـــن أهـــل الفنـــون يُـــزيّنُ الـــصُوَر القبيحـــةْ
جَلّـــى بريـــشته الحيـــاةَ، إذا بهـــا تبـــدو مليحـــةْ
وسَـــرَتْ يـــداه علـــى الوجـــوه النُكْـــد، فانقلبـــت سميحـــةْ
مـــن ســـحره رقّ الجليـــفُ، وجـــادتْ الـــنفس الـــشحيحةْ
وتناجـــت الأرواحُ، عَذّبـــهـــا الجـــوى، النجـــوى الـــصريـــحـــةْ
وَشَـــدَتْ شـــفاهُ العاشـــقين، علـــى الهـــوى القُبـــلَ الـــصَـــدوحـــةْ
وتـــسابقتْ تلـــهو النفـــوسُ بجنّـــةِ العيـــد الفـــسيحـــةْ
ورنَـــتْ إلى مُتَـــع الحيـــاة وحلْوِهـــا، العـــينُ الـــمُـــشيحـــةْ
العيـــد زَهْـــرُ الـــدهر ينـــضح بالـــشذا، فـــاقطف نـــضوحَـــةْ
العيـــد مـــن مِـــنَحِ الزمـــانِ الـــشحّ، فـــاغتنم المنيحـــةْ
يـــا ليـــت كـــلّ الـــدهر عيـــدٌ كي أطيـــلَ لـــه الـــمديـــحـــةْ

* * *

العيـــدُ في الـــدنيا رســـولٌ للـــــسلامة والأمـــــانِ
يحيـــا بـــه المحـــروم في دنيـــا رغائبـــهِ الحـــسان
وتُـــشيعُ أفـــراحُ الحيـــاةِ لُغـــى المثالـــث والمثـــاني
وتـــعُـــبُّ عـــطشـــى الأرض في راح الـــتـــعـــاطـــف والـــحـــنـــانِ

فتـــردد الأقطـــارُ نـــشوى فيـــه أســـحارَ البيـــان
ويهـــنىءُ الأقـــصى العظـــيمُ أخـــاً لـــه في القـــيروانِ
ويـــصافحُ النَجَـــفَ الكـــريمَ وكـــربلاءَ، المـــسجدانِ
وتُقبّل الـــشامُ الـــمُحبّـــةُ خَـــدَّ صـــنعاءَ اليمـــانِ
وتبـــوحُ بالحـــبّ الـــدفينِ البـــصرتان لتيطـــوانِ
العيـــدُ قَطّـــاعُ النـــوى جَمَّـــاعُ أســـباب التـــداني
في العيـــد لُقّـــيَ مـــا تَمنّـــى القلـــبُ مـــن بـــيض الأمـــاني
يـــا ليـــتَ كُلّـــك عيـــدُ أفـــراحٍ لقـــومي يـــا زمـــاني

* * *

في العيـــد يـــذكر كـــلُّ ذي حُـــبٍّ ولا ينـــسى حبيبَـــهْ
وأنـــا المحـــبُّ أخـــو العروبـــة تَيَّمـــتْ قلـــبي العروبـــة
هيمـــانُ في وطـــني الجميـــلِ وفي مَفاتنـــهِ العجيبـــه
وطـــنٌ فـــديتُ شـــعابَهُ وفـــديتُ في روحـــي شـــعوبَهْ
ورقَيْـــتُ مـــن عـــين الحـــسود جناحَـــهُ الريّـــا الخـــصيبه
عوّذتـــهُ مـــن طـــارق الحَـــدَثان يـــدهى بالـــشبيبه
وســـواعدٌ قـــدْ صَـــرَّفَتْها أرؤُسُ الفـــضل الأريبـــه
تبنّـــي وتعمـــر في جوانبـــه المنمقـــةِ الرحيبـــه
وطـــنٌ نـــسبت بـــه فكـــان زكـــيُّ أشـــعاري، نـــسيبه
بـــخّرتُـــهُ بـــبخـــور قلبـــي، واحـــتسبتُ عليـــه طيـــبَـــهْ

في العيـــــد ترفـــــل في النعـــــيم الأرضُ بالحُلـــــل القـــــشيبه
فارفـــل أيـــا وطـــني، وغـــنّ أغانـــيَ المجـــد الـــصَخوبه
لا زالـــت يـــا وطـــني بخـــيرٍ خـــالصٍ مـــن كـــلّ ريبـــه.

(أ) مخطوطة بخط يد الشاعر.

21. يقظة النيل:

أغفى وما قَرَّتْ جُنوبُهْ أنّى وغفوتُهُ تعيبُهْ
صوتٌ من الماضي المجيد علا يُؤَرّقُهُ صخوبُهْ
وغدُ الرجاء الحلو ناداهُ فلبّى يستجيبُهْ
ودمُ الشباب، دمُ الشباب الحُرّ يوقظُهُ صَبيبُهْ
الساهرين حَوالَهُ يحمونه مما يُريبُهْ
والقاذفين القيدَ في نارٍ مؤجَّجةٍ تُذيبُهْ
أشلاؤهمْ في صدرِهِ (الأحرازُ)، مما قد ينوبُهْ
والنيل كيف منامُهُ والفجر غرَّد عندليبُهْ
والماءُ بَكَّرَ بالسلامِ على الثرى، فربا جديبُهْ
والنَوْرُ أطربه شعاعُ النُور، فانشقّتْ جيوبُه
والأرضُ من سَكَر الصباح حَسَتْ فَدَبَّ بها دبيبُهْ
صورٌ تلذّ فهل تراه يفوتُهُ منها نصيبه
وهو المُتيَّمُ بالجمالِ يُريده أنّى يُصيبُهْ
والنيلُ شيخُ ذوي الفنونِ، وكلُّ مُفتّنٍ ربيبُهْ
مرّت على القفر الجديب يمينُه، فزكا خصيبُهْ
ومشى بريشته على ثوب البلى، فزها قَشيبُهْ
مِنْ فَنّهِ حبُّ الكمالِ النّزهِ عن نَقْصٍ يشوبه

سلمتْ يداه... شمألُهُ المرسومُ يكملُه جَنوبُهْ
من فنّه بَعْثُ الحياةِ بما يَفُنُّ، فمن ضريبُهْ
والنوم صِنْو الموت أو موتٌ، فأنّى يستطيبُهْ
أم يهنأ المشتاقُ في نومٍ وحاضرهُ حبيبُهْ
شعبٌ عيونُ النيل ترمقه وتعشقُهُ قلوبُهْ
بَعَثَ الحماسَ بشاطئيه فَشَبَّ بالعزمات شيبُهْ
ورمى بأرواح الشبابِ الطيبَ منه، ففاح طيبُهْ
من وحيه آيُ الجهادِ وبعضُ معناها لهيبُهْ
شعبٌ نسبتُ به، وأجملُ ما بتقصيدي نسيبُهْ
يا شعبُ، قلبُ العُرْب مجروحٌ وقد نَزَّت ندوبُهْ
فأدر عليه شَنيبَ عطفكَ يُشْفِه منها شنيبُهْ
إن لم تَطِبَّ له يداك فمن سواك إذن طبيبُهْ
أنفُخْ من الروح الكريمِ شجاعةً يَشْجعْ رعيبُهْ
وأمُرْهُ لا يَهَبُ الردى فالعزُّ يُحْرَمُه هَيوبُهْ

---

(1) (مخطوطة) بخطّ الشاعر، ويعتقد أن القصيدة قد كتبت عام 1946.

22. كان غازي...:

كان نجماً يَهْتدي الساري به ... في دياجير اللّيالي الحالكاتِ
كم قلوبٍ رقَصَتْ خفّاقةً ... حينما لاح، بديعَ الخَفَقاتِ
أدخلَ النورَ على أفئدةٍ ... كُنَّ من نور الأماني مُقْفراتِ

كان نجماً ثم غابْ
وتوارى في التّرابْ
لهْفَ قلبي

نَفَخَ الموتُ عليه فانْطفا ... وانطوتْ أنوارُهُ في الظُّلُماتِ
ورنتْ أبصارُنا كيما ترى ... مَأفلَ النجمِ، فَرُدَّتْ غَرِقاتِ

* * *

كان غصناً حِمْلُهُ زَهْرُ المنى ... طَيِّبَ النَّشْر، لذيذَ النَغَماتِ
بسمتْ أكمامُهُ عن أملٍ ... قد رجوناهُ وعن حَظّ مُوَاتي
غير أنَّ الدهرَ هبّتْ ريحُهُ ... تقصف الغُصْنَ وتذري الزَّهرَاتِ

راح والعُمْرُ شبابْ
والأزاهيرُ رطابْ
لهْفَ قلبي

قد حَسِبْنا الدهرَ غَفْلانَ ولَمْ ... تَكُ في الحُسبان، ريحُ الغَدَراتِ
هكذا إمّا ازْدَرَعْنا نَبْتةً ... للمنى أودى الردى بالنّبتَاتِ

* * *

كان غازي، كان غازي لـهـبـاً صليَ المُحْرِقَ منهُ كـلُّ عاتـي
شـعَّتِ القـوةُ مـن أنفاسـهِ وتمَلّـى صـدرُهُ بالعَزَمـاتِ
ورويـنـا عنـهُ آيـاتِ سَـنـا وأحاديـثَ ثنـاءٍ مُـسْـنَـداتِ

كـان للعـادي الـشهابْ
ولـه تُحـنى الرقـابْ
لـهْـفَ قلـبي

كـان كـالحلم قـصيراً عمـرُهُ تسعد الـنفس بـه في الغَفَـواتِ
وإذا النفسُ أفاقـتْ مـن كـرىً هَرَبَ الحُلْمُ فـذابتْ حَـسَراتِ.

---

(1) مجلة (الأمالي) البيروتية – السنة الأولى، عدد 33، سنة 1939.

(2) في 3/نيسان/1939 لقي الملك غازي – ملك العراق – مصرعه في حادث اصطدام سيارة. وكان من الخصوم الرئيسين لسياسة رئيس الوزراء نوري السعيد التي تشكلت في 1938/12/25. وشاع أن مصرع غازي كان مدبراً من الإنكليز وعملائهم. فقد عُيّنَ الأمير عبد الإله وصياً على العرش وكان معروفاً بولائه لبريطانيا وصلته الوثيقة بنوري السعيد. وقد أقيمت في فلسطين حفلات تأبينية كثيرة للملك غازي، شارك فيها شعراء كثيرون معتبرين أن غازي كان (أملاً وطنياً) – انظر: **طبعة مركز إحياء التراث – صفحة – 174.**

(3) **ازدرعَ:** افتعل من زرع. **الساري:** السائر في الغسق.

23. يا عاملُ...:

هـــذي القـــصورُ وأنـــتَ را ... فعُ سَـمْكِها، هـــل هُـــنَّ لـــكْ؟
والـــدوحُ أنـــتَ زرعتَـــهُ ... من حولـــهـــا، هل ظَـــلَّـــلَـــكْ؟
والنـــورُ مـــن يـــدك الـــصَّـــنَا ... عُ، فمـــا حياتُـــكَ في الحلَـــكْ
الـــحُـــسْـــنُ أنتَ خـــلـــقْـــتَـــهُ ... لكـــنْ ســـواكَ لـــهُ مَلَـــكْ
لا تـــأسَ فالـــدنيا تـــصيـــ ... ـرُ إليـــكَ، إن دارَ الفَلَـــكْ

يـــا عـــامـــلُ

أَلْبَـــستَ مـــن نَـــسْج اليديـــ ... ـــنِ، الكـــونَ، تَوْشِـــيَةً تَـــزينُ
ونظمـــتَ مـــن عَـــرَقِ الجبيـــ ... ـــنِ لآلـــئـــاً، عَـــزَّ الجـــبـــيـــنُ
مُتَحـــــركٌ تـــــبني المُـــــنى ... وبـــشَرْعِكَ: العـــارُ الـــسكونُ
ويهـــونُ عنـــدكَ كـــلُّ شـــيءٍ، غـــيـــرَ نفْـــسِكَ لا تَهـــونُ
مـــا شـــئتَ كـــان، وكـــلُّ مـــا تأبـــاه يومـــاً لا يكـــونُ

يـــا عامـــلُ

أرسُـــمْ طريقَـــكَ في الحيـــاةِ ... ولا تَـــشُذَّ عـــن الطريقـــهْ!!
واعـــرفْ رفيقَـــكَ إنَّـــهُ ... لـــكَ جُنَّـــةٌ في كـــلِّ ضـــيقَهْ
واحفظْ حقوقَـــكَ، ضـــاعَ مَـــنْ ... لم يَحْـــمِ مـــن جَهْـــلٍ حقوقَـــهْ
وأحـــبَّ في الـــدنيا الجمـــالَ، ولا جـــمـــالَ ســـوى الحقيقـــة!!!
حـــرِّرْ مـــن الأغـــلالِ نفـــسَكَ ... ولـــتكُنْ نَفْـــساً طليقَـــهْ

يـــا عامـــلُ

أُحـــصُدْ بمنجلـــكَ الرقـــابَ، إذا حَرَمْنَـــكَ مـــن مُـــرادِكْ!!
واطْـــرُقْ بمطْرَقِـــكَ الـــرؤوسَ، إذا تمـــادتْ في عِنـــادِكْ!!
واحكـــمْ بـــأمركَ في بـــلادكَ، لا تُغَـــرَّبْ في بـــلادكْ
أنـــت الـــذي زرع الحيـــاةَ، فَمَـــنْ شـــريكُكَ في حـــصادِكْ؟؟
قَعـــدوا وجاهـــدتَ الـــصعابَ، فمـــانِعُوكَ جَـــنى جهـــادكْ!

يـــا عامـــلُ

لا شـــيءَ غـــير لظـــى النـــضالِ، لـــه يكـــونُ البغـــيُ طُعْمَـــهْ
لا شـــيءَ غـــير ســـنا النـــصال يـــنير للطغيـــان ظُلْمَـــهْ
لا شـــيء يَـــجْـــرفُ كالـــنجيـــع الحـــرّ ظَـــلاّماً وظُـــلْـــمَـــهْ
لا مُـــستحيلَ عليـــكَ، فـــاحزمْ، أنـــت ذو حَـــزْمٍ وهِمَّـــهْ
والبُطْـــلُ بَيْـــتُ العنكبـــوتِ وَهَـــى، فمـــا أهـــونَ هَدْمَـــهْ!!

يـــا عامـــلُ

---

(1) نقلاً عن مخطوطة بخط يد الشاعر.

(2) نشرت في جريدة (الاتحاد) – عدد 22 – السنة الثانية – 7/تشرين أول/1945، كما هـو مـشار إليـه في المخطوطة. لكنَّ طبعة مركز إحياء التراث تقول: إنها منشورة في (الاتحاد) بتاريخ 1944/8/20.

24. نحن المصادر والموارد:

نحـــنُ المَـــصادِرُ والمـــواردْ وســـلاحُنا فُتْـــلُ الـــسواعدْ
هاماتُنـــا للمجـــد، يرســـو، حـــين نُبْدِعُـــهُ قواعـــدْ
وقلوبُنـــا نَبْـــعُ المكـــارمِ، لـــيس يَنْـــضَبُ والمحامـــد
ودماؤُنـــا الحمـــراءُ للحريّـــةِ العَلْيـــا روافـــد
ولنـــا الأيـــادي البـــيضُ، لا ينـــسى الأيـــادي، غـــيرُ جاحـــد
والـــشيءُ، إنْ كُـــنَّـــا الأســـاسَ بـــه، وإلاّ فهـــو فاســـد
ولظـــى النـــضال إذا بَعُـــدْنا عنـــه، أصـــبح جـــدُّ خامـــدْ
وبنـــا إذا تـــدهو الـــشدا ئـــدُ كـــان تفـــريجُ الـــشَدائدْ
إنَّ اســـمَـــنـــا، الـــعُـــمّـــالُ، نعملُ، ليس تِشْـــغَـــلُـــنـــا الـــمـــفـــائـــد
لا نـــستكينُ لظالـــمٍ وشـــعارُنا: ناضِـــلْ وجاهِـــدْ
نـــسعى لإســـعاد الأنـــامِ مـــن الأقـــارب والأبعـــادْ
ولـــو أنَّ خـــيراً في الأقاصـــي، جـــاء منـــا الخـــير رائـــدْ
كالوفـــد، وفـــدِ المخلـــصين، غـــدا وروَّحَ وهـــو راشـــدْ
نقـــضَ الـــذي غـــزل العـــداةُ هنـــاك مـــن زَغـــل المكايـــد
فـــد ذاد عـــن حـــقٍّ ســـليب، مـــا لـــه كالوفـــد ذائـــدْ
ورمـــى طواغيـــتَ الـــتحكّم منطقـــاً، فانهـــدّ واطـــدْ
وإذا صَـــحبْتَ الحـــقَّ قلـــتَ، ولـــيس تُعجـــزك الـــشواهدْ

والحـــق في الـــدنيا قـــديمٌ، لا يُمـــارى فيـــه، خالـــد
يخبـــو ولكـــنْ بالنـــضال يعـــود مَـــشْبوبَ المواقـــدْ
والحـــقُّ يـــصدأ كالحديـــد، ومـــا الكفـــاحُ ســـوى المبـــارِدْ
فيزيـــل عنـــه قـــذى الجهالـــةِ والمفـــاهيمَ الجوامـــدْ

إنّ اسمَنـــا العُمّـــالُ لا نلـــهو بلَغْـــوٍ عـــن مقاصـــدْ
نقـــضي علـــى حَـــدِّ الأســـنَّةِ لا الـــنَّـــمارقِ والوســـائدْ
ونخاطـــبُ البـــاغينَ في لُغـــةٍ، مَعاجـــمُها الحدائـــدْ
ونُقابـــل الظُلْـــمَ الفَـــرِيَّ، بِهِمَّـــةٍ تَفْـــري الجَلامـــدْ
ونُـــذيبُ في نـــار الجهـــادِ وحَرّهـــا عنّـــا الـــصَّفائدْ
لـــسنا كمـــنْ يهـــذي علـــى الأعـــوادِ بالخُطَـــب الرَّواعِـــدْ
ويريـــد أن يرقـــى إلى أوج المعـــالي، وهـــو قاعـــدْ
ويـــروح يَطْـــرحُ للظهـــور علـــى المنـــابر بالمـــصايدْ
ويبـــثُّ في الخطـــب الـــسمومَ، ودونَهـــا ســـمُّ الأســـاودْ
فيطيـــرُ مـــا بـــين الـــهتـــا فِ طريـــفُ أمجـــادٍ وتالـــدْ
بـــل يقتـــلُ الـــشعبَ المُـــضَلَّلَ، وهـــو عامـــدْ
يَهـــوي ويـــزعم أنّـــهُ بالـــشعبِ رقّـــاءٌ وَصـــاعدْ
فتـــرى الـــذين أضـــلّهمْ مـــا بـــين نعـــسانٍ وراقـــدْ
وعـــدوُّهمْ شـــاكي الـــسلا حِ، مُـــدَجَّجٌ، ســـهرانُ، راصـــدْ
ومـــن العجائـــب في المـــصا ئِـــب فُرْقَـــةٌ، والهَـــمُّ واحـــدْ

نقــضي الحيــاةَ علــى خــصا مٍ بــــين عَيَّــــاب وحامــــدْ
راجــــتْ أباطيــــلُ التَــــبَجُّحِ بينَنــــا، والفعــــلُ كاســــدْ
والخــــيرُ بــــاتَ ضــــحيةً مــــا بــــين هَــــدَّامٍ وناقــــدْ
خَربــــتُ ديــــارٌ أهلُهــــا عَمَــــرتْ قلوبُهُمــــو المحاقــــدْ
لكــــنَّ في عمالنــــا الأبــــرار، مفتــــاحَ الوصــــائدْ
مــــن نــــارهم قَبَــــسَتْ قــــضيتُــنا، الــــسلامَ، وغــــيظَ حاســــدْ
والحــــقُّ لــــيس بعــــادمٍ بعــــضَ الحُمــــاة، ولا بفاقــــدْ
يــــا أيهــــا العمّــــالُ تُــــو حــــي لي وجــــوهُكمُ القــــصائدْ
وبكــــم تطــــاوعني وتُــــسْلِسُ مــــن قوافيهــــا الــــشواردْ
فَلْتفخــــرونَ أعــــزَّةً وليحــــيَ وفــــدكمو المجاهــــد.

---

(1) نقلاً عن مخطوطة بخط الشاعر.

(2) ألقيت في حفلة جمعية العمال العربية في **طولكرم**، بمناسبة رجوع الوفد العُمّالي الفلسطيني من باريس، كما يقول أحمد قريع (أبو علاء) — مدير عام مؤسسة صامد الفلسطينية.

(3) **الوفد**: وفد الطبقة العاملة الفلسطينية في مؤتمري لندن وباريس عام 1945. **فُثِلُ**: مفتولة. **الفَـرِيّ**: الكـاذب. **تفري**: تقطع. **الجلامد**: الصخور. **الصفائد**: القيود.

25. إلى العُمَّال:

هو الفجر قد لاحت لعيني بشائرُهْ ... وزال من الليل البهيمِ دياجرُهْ
غداة رأيت القومَ تسمع أُذْنُهُ ... وبعد العمى والتيه أبصر ناظرهْ
وسلّم للعمّال قَوْدَ سفينهِ ... لدى مُزْبِدٍ غَمْرٍ، تهول أعاصرهْ
بُناة إذا شادوا بناءً لعزّةٍ ... تعزُّ على هدم العداةِ أياصرُهْ
وإنْ غَمَرتْ هماتُهم، أسعفتهمْ سواعدٌ ... ولم يَثْنِهمْ عن نيل أمرٍ شواجرهْ
كثيري فعال الخير، لا يعلكونه ... كما عَلَكَ الهذر المذمم، هاذرهْ
لهم مطلبٌ فردٌ: تَحرّرُ أمّةٍ ... ولم يزهُهُمْ من عيش ذلٍ أخاضرهْ
وكيف وعيشُ الذلِّ يأباهُ معشرٌ ... قلائدُه من صوغه وأساورُه
وما عَرَقُ الأتعاب إلا لآلئٌ ... تزيّنُ وضّاحَ الجبينِ نواضرهْ
يضحّون بالأرواحِ، والجهد نضرةً ... لموطنهمْ إذْ قلَّ في الناسِ ناصرهْ
فكم سقطوا صرعى، بواسلَ دونَه ... ولم يذكر الصرعى البواسلَ ذاكرُه
ولم يطلبوا عزَّ الكراسيّ كالذي ... تعلّق في عزّ الكراسي خاطرهْ
فيا عاملاً لم يرجُ أجراً، وإنّما ... الصبر على ما قد يلاقيه آجره
أطعْ وحيَ توجيهِ الضمير وما غوى ... على الدهر شعبٌ وجَّهتْهُ ضمائرهْ
ويا أيها العُمّال، قد هَلَّ يومكُمْ ... مَزاهِرهُ صَخّابةٌ ومزامرُهْ
وقفتُ وهذا اليوم، قد كان مطلبي ... بمنبره العالي، وإنّي لشاعرهْ
أُنقّلُ وجهي في وجوهِ أعزّةٍ ... فيوحى إليّ الشعر، يرفلُ ساحرهْ
فإنّكُموا صوتٌ، وإنّي لكم صدىً ... وإنّكُمُ روضٌ، وإنّي لطائرُهْ

أغرّد فـيكم في محاسـنَ مـنكمُ ... كما آثرَ الحُـسنَ المحَبّـبَ آثـره
إذا الحقُّ لم يلهمكَ شعراً تقولُـه ... ففي حِسّكَ المغلول، داءٌ يُخـامره
وما قـصةُ العمّـال إلاّ حقيقـةٌ ... طواها من الجهل المخـيِّم سـاتِرُه
كساها أخو ظلمٍ ثيـابَ خرافـة ... دخائلُـه معروفـةٌ وسـرائره
وأبرزُها للنـاس شـوهاءَ نكْـرةً ... وهل ضارَ حقاً أيها الناس نـاكرُه
وما الحق في أن يأكلَ الجَنْيَ قاعـدٌ ... ويُحْرَمَهُ يـوم الحـصادِ بـاذرُه
ويَعْمُرَ ذو الإجهاد قصراً مُمَـرّداً ... ولا يسكن القصرَ المُمَـرَّدَ عـامرُه
ويحمل وِزْرَ الناس من عَف مطمعاً ... وينجوَ من وِزْرٍ على الـدهرِ وازِرُه
أضاليلَ مشّاها على النـاسِ ظـالمٌ ... مهازلُـهُ لا تنقـضي ومـساخره
عريقٌ بفن الكِذْب، قد بان أصـلُه ... وقد لاح في الأفق المُخضّبِ آخره
وشيكٌ انهيار العرش زُلـزل أُسُّـهُ ... وإن يَبْدُ نطّاحَ الـسماكين هـائره
فلا تَخْدَعَنْكُمْ أيها النـاس قالـةٌ ... تُردّدهـا أسـلاكُه ومنـابره
فما مَفْجَرُ الإجحـاف إلاّ قلوبـه ... ولا مَقْبَرُ الإنـصاف إلا جزائـرُهْ
أيخدعنا بالقول من بعـدُ كـاذبٌ ... ويختلنا بالوعدِ من بعـدُ غـادره
كما خدعتْ (باريس) خَلْقاً مُرزّءاً ... بنـورٍ تـداعت دُورُه ومنـائرُه
تَمنُّ على الإنسان حقـاً وتـدّعي ... لها السبق في إحقاقه، وهي هادرُه
تجرّدُ من قـومٍ وحـوشٍ مؤدبـاً ... لشعبٍ شـهيراتٌ عظـامٌ مـآثرُه
جَرَتْ في الورى أمجادُهُ الغرُّ نغمـةً ... وسارت على هام الزمان مفـاخرُهْ
ومن جعل (السنغالَ) حاميَ عرضه ... تصير به نحـو الهـوان مـصائره
أباريسُ هلاّ كان جمعُـك للـذي ... على ذيل ثوب الطهْر، داست عساكرُهْ

ولم يبقَ أنــفٌ منــك إلاّ أذلّــهُ ... وأرغمهُ في طينكَ القَــذْر قــاهرُه
وما أنا يا بــاريس مــادحُ أمــرِه ... ولا قارئُ السفر القبيح وناشــرُهْ
ولكن بتعييريــك ذلــك عــبرةٌ ... وكم خاطئٍ، قد أصلحتهُ معــايرُهْ
أأنت خلقتِ العدلَ ما عدلُك الذي ... تباهيت إلاّ داعرُ الــذكر عــاهرُهْ
كعدل الذي في أدمع الناس أقلعَتْ ... وفي الدَّمِّ عبّت سُــفْنُه ومــواخرُه
رمانا جراداً جرَّ مَحْــلاً وأدمعــاً ... ولله مــا ســاقتْ إلينــا جرائــره
بَلانا بــذؤبان... نفايــا ممالــكٍ ... ورُبَّما أضــحى، وهُــنَّ بــواقرُهْ
ومن أضمر السَوْءى، تُردُّ لنحــرِه ... ودارتْ على ذي الكيد قُدْماً دوائره
تَغنّــي بألحــان الــسلام يُعــدّهُ ... ومــا فيــه إلاّ غــدرُه وتــآمرُهْ
وراح على أهل الزمــان مُكــابراً ... ينافرُ في العدل الــورى ويكــاثرُه
وما العدل؟ مات العدلُ من قبل وانقضى ... وما الحق؟ نامَ الحقُ وانفضَّ سامره
ويا أيها العمالُ ما الحقُ في الورى ... سوى شبحٍ ما نالــه قَــطُّ نــاظرُه
ومن رامَ ما بين الوحوش مَعيــشةً ... فلا تَقْصُرَنْ عند الكفاح أظــافره
أَلَمْ ترَ أن الوحش يَهبْــرُ بعــضَهُ ... ويعدو على مستضعفيه كواســره
ومــا حلمــاً بــالحقِّ إلاّ تَعلّــةٌ ... يُغَرّرُ فيها طائشُ العقــل قاصــره
ومــا الحــقُّ إلاّ قــوةٌ وعزيمــةٌ ... يُعَــوّذُهُ رمــحٌ، ويرقيــه بــاترُهْ
وسعيٌ بميــدان النــضال موفــقٌ ... يعود به من فائت الــسعد غــابرُهْ
ونارٌ تــذيبُ القيــد في جمراتهــا ... وليس يفُكُّ القيــدَ إلاّ صــواهرُهْ
ولا يجرف العادين جرفاً وظلمَهُــمْ ... كمثلِ دَم الأبطال يهــدرُ فــائرُهْ
ولا مثلَ توحيد الصفوف لُمبتلــىً ... به يدفع البلوى، ويمكــنُ خــائرُهْ

فيسمع أقصى الأرض، زأرةَ أُسْده ... وتَنْفَذُ في قلب الأصمِّ أوامرُهْ
وما وفدكم قد بارك الله وفدَكُمْ ... سوى مظهر التوحيد، أثمر زاهره
وساعَفهُمْ في لندنٍ، وحي روحكم ... وساعدَهُمْ من سلسل الحق زاخرُهْ
فغرّد (عصفورٌ)، وبلّغَ (بولسٌ) ... و(بولسُ) ذو أيدٍ، يروعك ثائره
إذا قال سال الحقُّ من كلماته ... ومخلصةٌ أفكارُه ومشاعره
وأعمل (طه) حُجةً في هرائهمْ ... فولّى مولّيه وأدبر دابره
ويا معشر العمال، طالت قصيدتي ... وواتانيَ العاصي وأسلسَ نافرُه
ومصدرُ تقصيدي المطوّلِ أنتمو ... وكلُّ قصيدٍ رائعٍ، ومصادره
وإن لم أقلْ في العاملين قصائدي ... فلا سار من شعري المُرقّصِ سائرُهْ
ولي مِقْوَلٌ وقفٌ على نصح أمتي ... وروحٌ على الأوطان، إنّيَ ناذِرُهْ
وصبَّرتُ قلبي بالتعاليل والمنى ... وقد ضاقَ عن دنيا التعاليل صابره
وقلت غداً قومي، سينهضُ راشداً ... وقوميَ لم يفتأ على الغيّ سادرُهْ
يسير على درب الضلالات، لا يَني ... ويعلم أن الأمر شتّى مخاطره
فقودوهُ يا عمّال أنتم إلى الهدى ... فيلقي عصا التسيار عنه مسافرُه
وأدُّوا رسالاتِ التحرّر عَلَّهُ ... يصيخُ لها سمعَاً، ويؤمنُ كافرُهْ.

---

(1) كتب الشاعر هذه القصيدة عام 1945، وهي: صورة عن الأصل بخط يد الشاعر.

(2) **عصفور**: حنا عصفور. **بولس**: بولس فرح. **طه**: سامي طه: (من قيادات الطبقة العاملة الفلسطينية) في الأربعينات.

26. ثورة العاملين:

- 1 -

إلامَ تَلَفَّتُ خَلْفَ القَطيعِ ... وَتَمْشي إلى أمَلٍ باطلِ
وَتَشْدو عَلى نَغَمٍ كالفَناءِ ... تَخَلَّفَ عَنْ أمْسِكَ الزائلِ
كَأنَّكَ لَمْ يَنْتَفِضْكَ النِضالُ ... فَلُبِّثْتَ في حُلُمٍ ذاهلِ
وَقَدْ سَحَقَتْ ثَوْرَةُ العَامِلينَ ... بِكَفِّ اللَّظى غَفْلَةَ الغافلِ
فَفي كُلِّ عِرْقٍ تَهيجُ الْحَياةُ ... وَتَجْري عَلى عَجَلٍ عَاجلِ
وَتَهْوي الْقُيودُ وَتَزْكُو الْجُهودُ ... وَيَقْضي الْجَديدُ عَلَى الآفلِ
وَيَسْتَضْحِكُ الْكوخُ تَحْتَ الدُّخانِ ... وَيَحْتَشِدُ الْفَوْزُ لِلْعامِلِ

- 2 -

أما وَاللَّيالي، الَّتي أرَّخَتْ ... بَلاءكَ في خَطْبِها الْقاتمِ
لأنْتَ عَلَى الدَّهْرِ حُرِّيَّةٌ ... أتَتْ لا تَذِلُ إلى ظَالمِ
وأمْلى لَكَ الْحَقُ نُبْلَ الصِّراعِ ... وَخَصَّكَ بالنَظَرِ الْحازمِ
فَإنْ كُنْتَ تَجْتاحُ هذي الْحَياةِ ... بِقَلْبٍ لَجُوجِ الْخُطى عَارمِ
فلا بِدْعَ، فالْهَدْمُ قَبْلَ البِناءِ ... لِبَيْتٍ، ضَعيفِ القُوى عائمِ
لقدْ أخطأوا فيكَ، مَعْنى الجِهادِ ... وَكَمْ يَجْمَعُ الوَهْمُ بالواهِمِ
فَظُنُّوكَ في فَوْرَةٍ لا تَجيشُ، إذا لامَسَتْ شَفْرَةَ الحاجِمِ

- 3 -

لَقَدْ هَرَقُوا مِنْكَ أزْكى الْدِّماءِ ... وَساموكَ بالسَّدَمِ النَّاقِمِ

وَبـــاتوا عَلَـــى جُرْحِـــكَ الْمُـــسْتَغيثِ يَمُـــدُّونَ بِـــالنَّغَمِ الْنـــاغِمِ

عَصيـــرُهُمُ مِنْ جَنَـــى راحَتَيْـــكَ ... وَخَمْـــرُكَ مِـــنْ بؤسِـــكَ الـــدّائمِ

وَتَعْجِـــنُ خُبْـــزَهُمُ بِالـــدُّمُوعِ ... وَتَأكُـــلُ مِـــنْ فَـــضْلَةِ الآدمِ

وَتَبْني عَلَـــى كَتِفَيْـــكَ الـــصُّرُوحَ ... وَتَقْبَـــعُ في لَهَـــبٍ حـــاجِمِ

وَتَنْـــسِجُ مـــا يَلْـــبَسُ الْمُتْرَفُـــونَ ... وَلَـــسْتَ بِـــذي مَلْـــبَسٍ نَـــاعِمِ

وَيَمْـــرَحُ غَيْـــرُكَ فِـــي الْطيِّبـــاتِ ... وَعَيْشُكَ فِـــي الـــضّيقِ كالْخـــاتَمِ

---

(1) نشرت هذه القصيدة بدون عنوان، وبدون توقيع صريح في مجلة (الغد) الفلسطينية (العـــدد 10، الـــسنة الأولى – بتاريخ 30/تشرين الثاني/1945) وقد قُدّمت على الشكل التالي: "في رياض الشعر" (وهو اسم الصفحة الـــشعرية في المجلة)، "لشاعر الرعاة". ونحن نرجح أن القصيدة من شعر عبد الرحيم محمود الذي نشر أكثر من مرة في تلـــك الصفحة من (الغد)، كما أن النسيج الشعري والموقف الاجتماعي يرجّحان ذلك، وتوقيع (شاعر الرعاة) له ما يؤيده في شعر عبد الرحيم محمود قوله: (إن تسالوا عنّي إلى مَنْ أنتمي ... فإلـــى رعاة النّوق والأغنام).

وقد سألنا الأستاذ عيسى شاكر – وكان صاحب امتياز (الغد) ومدير إدارتها، إن كان يذكر صـــاحب هـــذا التوقيع، فرجّح رأينا أيضاً – **نقلاً عن: طبعة مركز إحياء التراث – الطيبة، المثلث – 1985.**

27. رثاء حَمَّال:

قد عشتَ في الـدنيا غريبـاً وهـا ... قَدْ مُتَّ بين الناس، مـوتَ الغريـبْ
والناسُ مُذْ كـانوا – ذَووا قَسْوةٍ ... ولـيس للبـائس فـيهمْ نَـصيبْ
لـو كنـتَ في حَبْلـكَ شَـنَّاقَهُمْ ... لَوَلْولوا حزنـاً، وشـقّوا الجُيـوبْ
أو كُنـتَ مـن سَـلَّكَ رزَّاقَهُـمْ ... لقام عنـد الـسَلِّ ألفـا خطيـبْ
ونَزَّهـوا حبَلَـكَ عـن عيبـه ... وبلّلـوا الـسَّلَّ بـذوب القلـوبْ
لكنّـكَ الحمَّـالُ لم يطمعـوا ... فيكَ، ولَـمْ يخـشوْا أَذاكَ الرهيـبْ
رغيفُـكَ الطـاهرُ غَمَّـسْتَهُ ... في عَـرَقٍ ذاكَ، ودمـعٍ صَـبِيبْ
ما كنـتَ سَـلاّباً أخـا غَـصْبَةٍ ... بل كنتَ ذا حقٍّ سـليبٍ غَـصيبْ
فَرُحْتَ لم يـسكُبْ عليـك امـروٌ ... دمعـاً، ولا قلـبٌ رقيـقٌ يلـوبْ
ولم يُودّعْـكَ حبيـبٌ وقـد ... يُهـوِّنُ الـصَعْبَ، وداعُ الحبيـبْ

* * *

حَبْلُـكَ والـسَّلُّ لقـد أوْدَيـا ... بِهيبـةِ المـوتِ الوقـور المُهيـبْ
وفيهمـا لـو انـصفوا رفعـةٌ ... وشـاهدا فـضلٍ وخيْـرٍ وطيـبْ
لكـنْ بنـو آدم مِـنْ يـومِ أنْ ... كانوا لهـم رأيٌ سـخيفٌ مَعيـبْ
قد مـرَّ أهـلُ الـدربِ لم يحفلـوا ... بالمُهْمَلِ المطـروحِ فـوقَ الـدروبْ
كم قد سـألتَ النـاسَ مـاءً فلـمْ ... يُجبْكَ في النَّـزْعِ شـفيقٌ مُجيـبْ
أو اسـتعنتَ الطـبَّ، لكنَّمـا ... لم تـدفع الأجْـرَ، فَفَـرَّ الطبيـبْ
أو ربّمـا أوْصـيتَ أو شـئتَ أن ... تُوصي، فلم يسمعْكَ حـانٍ قريـبْ
رُبَّ صـغيرٍ لـكَ خَلَّفْتَـهُ ... مُنتظـراً إيـاكَ حتّـى تَـؤوبْ

يرجـــوك للجـــوع الـــذي شَـــفَّهُ يـــا غائبـــاً عنـــهُ، وطـــالَ المغيـــبْ

* * *

إنَّ قـــــوافيَّ علـــــى قَحْطِهـــــا تلقّـــى بمـــرآكَ الجمـــالَ الخـــصيبْ
بُـــرودُكَ الهـــادئُ قـــد هاجَهـــا فَجَرَّرتْ، غَضْبى، ذُيـــولَ اللَّهيـــبْ
يـــا مـــوقظَ النقْمـــةِ في أضـــلعي بَشَّعتَ في عيني الجمـــالَ العجيـــبْ
لثوبـــكَ الـــرَّثِّ وإخلاقـــهِ كرهتُ أثـــوابَ الحريـــرِ القَـــشيبْ
والجـــسدُ الجامـــدُ في يُبْـــسِهِ كَرَّهَ لي الغُصْنَ الطـــريَّ الرطيـــبْ
وصـــمتُكَ الرائـــعُ يـــا موحـــشي بَغَّضَ لي الصوتَ الحنونَ الطـــروبْ
زَهَّـــدتني بـــالعيشِ في مَعْـــشرٍ عارٍ مـــن الرحمـــةِ، خـــاوٍ جَـــديبْ
حياتُـــكَ المأســـاةُ مَثَّلْتَهـــا ذِرْوتُها الفـــصلُ الحـــزينُ الكئيـــبْ
وراقَـــبَ النـــاسُ تفاصـــيلَها لكنّـــهُ مـــا إنْ وَعاهـــا رقيـــبْ
يـــا حـــسْرتا، قـــد فـــاتَني بَـــدْؤُها وأسدلتْ، قبلـــي عليهـــا الحجُـــوبْ
أوْ... لا، فَلَـــوْ أبـــصرتُها كلَّهـــا لكنتُ من وجـــدي وحـــزني أذوبْ
إنّـــي مِـــنَ النـــاسِ ولكـــنّني في رقّـــتي عنـــهمْ بعيـــدٌ جَنيـــبْ
أبكـــي علـــى الظـــالمِ مـــن رِقّـــةٍ وخنجـــرُ الظـــالمِ منّـــي شَـــريبْ

* * *

فـــراقُ هـــذا النـــاسِ عيـــدٌ فـــلا تجزعْ... وَذي الراحةُ بعد اللُّغـــوبْ

---

(1) نشرت هذه القصيدة عام 1947 في مجلة (القافلة)، عدد27.

(2) "على قارعة الطريق بالقرب من سوق الخضار في حيفا... (رأيته ميتاً) وبجانبه سَلّةُ وحبله، يمر به الناس فلا يأبهون" – (عبد الرحيم محمود).

(3) أخلَقَ: بلي. **القشيب**: الجديد الزاهي. **جنيب**: غريب. **شريب**: كثير الشُرب. **اللغوب**: التعب الشديد.

28. في حالة غضب:

هـــل غـــيرُ ســـيلٍ في دمٍ دافـــقِ ... يـــروي غليـــلَ الـــساخطِ الحـــانقِ
أمْ غـــيـــرُ لألاء الظُّبـــا والقنـــا ... يُزيلُ مـــن قلـــبي دجـــى الغاســـقِ؟
كرهـــتُ ذا العـــالم، هـــل مَـــأبقٌ ... في عـــــالم آخـــــرَ للآبـــــقِ
ضاقت بـــيَ الـــدنيا، وإنّـــي بهـــا ... أضـــيَقُ يـــالي مـــن فـــتىً ضـــائقِ!!
روحـــيَ عـــبءٌ، مثقـــلٌ عـــاتقي ... أيانَ ألقي العـــبءَ علـــى عـــاتقي؟؟
تغلـــو علـــى النـــاس، ولكـــنّني ... أبيعُهـــــا للنـــــاس بالـــــدانقِ
يـــا ليـــتني أشـــلاءَ في مَهْمَـــهٍ ... مَناشَـــــةُ النّاعـــــبِ والنّـــــاعقِ
أوْليـــتَ لي نـــاراً، فـــأكوي بهـــا ... وأنـــشوي في جمرهـــا الحـــارقِ
مـــتى أراني بِـــتُّ طَـــيَّ الثـــرى ... يَـــسحقُني بالكَلْكَـــلِ الـــساحقِ؟
وأُغمـــض العيـــنين عـــن عـــالمٍ ... لا يعتلـــي فيـــه ســـوى الفاســـقِ
يحظـــى بـــه الكـــذّابُ بالمُـــشتهى ... والـــتَعْسُ للمخلـــصِ والـــصادقِ
الخيـــرُ والخبـــزُ غَـــدا حِكْـــرَةً ... لبعـــضهمْ والويـــلُ للـــسارقِ
هم أوجدوا الـــسارقَ مـــن حاجـــةٍ ... وقيـــل هـــذي قـــسمةُ الخـــالقِ
يـــا منطقـــاً لم يُـــرْوَ عـــن عاقـــلٍ ... العَـــيُّ خـــيرٌ منـــهُ للنـــاطقِ
قـــد مُحِـــقَ العـــدلُ فـــلا عـــادلٌ ... أمـــا لهذا النـــاسِ مـــن مـــاحقِ؟
مـــتى أرى الحـــقَ وأصـــحابَهُ ... يعلـــون مـــن أدنى إلى شـــاهقِ؟
وأبـــصُرُ البُطْـــلَ وأربابَـــهُ ... يَهـــوونَ مـــن أعلـــى إلى ســـاحقِ.

---

(1) نقلا عن مخطوطة بخط الشاعر.

(2) **العي**: عدم المقدرة على الكلام. **الدانق**: أحس النقود. – (عبد الرحيم محمود)

29. حجر في كثبان الرمل:

فـــيمَ انفـــرادُكَ، لا أنيـــ ـــسَ تـــراه في القَفْـــرِ المُخيـــفِ
في رِبْقَـــةِ الـــوهَجِ الحَـــرو رِ، وغُـــلٍّ عاصـــفةٍ عَـــصُوفِ
وصَـــبَرْتَ للـــهُوجِ اللـــوا فحِ في الضحى، صَـــبْرَ الأَنـــوفِ
أرَضِـــيْتَ بالـــصحراءِ عـــنْ ظِـــلِّ المُنمَّقَـــةِ الغَريـــفِ
ورأيـــتَ وَحْـــدَةَ راهـــبٍ فيهـــا، وعزلـــةَ فيلـــسوفِ

* * *

هـــل كنـــتَ يومـــاً في القـــصو ر، وَعُفْـــتَ ضـــافيةَ القُـــصورِ
وأبيـــتَ أن تُـــبنى عليـــ ـــكَ، صـــروحُ بُهْتَـــانٍ وزورِ
فنجـــوتَ للـــصحراءِ مـــن صَـــخَبِ المزاهـــرِ والزُّمـــورِ
تعلـــو علـــى نغـــمِ الأنيـــ ـــن، ونَشْجةِ القلـــبِ الكـــسيرِ
أم كنـــت شـــاهدَ مـــصْرعِ الأ خـــلاقِ في البيْـــتِ الكـــبيرِ
فهربـــتَ إنَّـــكَ في الجمـــا د إذنْ، لـــذو أسمـــى شُـــعورِ

* * *

هل كُنـــتَ قَـــطُّ مِـــجَنَّـــةً مـــن كيْـــدِ بـــاغٍ ظالـــمِ؟
وَحـــمَيْتَ هامـــةَ مُـــبْتَـــلىً وَفَلَقْـــتَ هامـــةَ غاشـــمِ
وجثمـــتَ فـــوقَ عظامـــهِ فَـــصَرَخْنَ تحـــتَ الجـــاثمِ
هـــل كنـــتَ سَـــدّاً فوقَـــهُ تكبـــو مطايـــا القـــاحمِ؟
وعلـــى المهامـــهِ صُـــوَّةً تَهـــدي ضـــلالَ الهـــائمِ

إن كنـــتَ ذاك بّـــذَذْتَ في الإ ... حـــــسانِ خِلْفَـــــة آدمِ

* * *

أنـــتَ الوحيـــدُ هنـــا ومـــالي ... لا أقـــولُ أنـــا الوحيـــدُ؟

تَـوْهـــانُ لا أدري الـغـــدا ... ةَ، طريـــقَ مَنْجاتـــي – طريـــدُ

وإذا قعـــدتُ كمـــا قعـــد ... تَ، أضـــرَّ بـــالروحِ القُعـــودُ

والـــروحُ يـــا بعـــضَ الجمـــا ... دِ – عَـــنـــيً ومَحْمَلُهـــا يَـــؤودُ

تـــأبـــى الجمُـــودَ حَـــصافـــةً ... منـــها ويأباهـــا الجُمـــودُ

قـــل لي: أذلـــك مَـــسْلَكٌ ... جَـــدَدٌ، ومُطَّـــرَقٌ سَـــديدُ.

---

(1) كتبت عام 1941. (نقلاً عن مخطوطة بخط يد الشاعر).

(2) (بين العراق وتدمر مَهْمَهٌ قُدّر لي أن أفلوه طريداً، ووجدتني غريباً غربة حجر هناك. وأسندتُ رأسي عليه وفكرت فيه. وأوكد أنه دلني على الطريق وهداني). – **عبد الرحيم محمود.**

(3) في بعض المخطوطات: متعفر الوحنات، مصفعَ كل قاحفة قَذوف... (يأتي الرابع في الترتيب). وفي مخطوطة ثالثة، يأتي ترتيب أبيات الفقرة الأولى كالتالي: 1. فيم انفرادك. 2. وصيرت. 3. في ربقة. 4. متعفـــر الوحنـــات. 5. أرضيت. 6. ورأيت.

(4) **القاحفة:** الريح التي تقحف الرمل. **والقذوف:** الريح التي تقذفه. **الغريف:** الجنة الملتفة الأغصان. **المهمه:** الصحراء. **الصُوَّة:** إشارة توضع على الطريق للدلالة. **مجنّة:** درع. **مُطَرّق:** طريق. **(من شـــروح الـــشاعر: كمـــا وردت في المخطوطة).**

30. جفّت على شفتي الأماني:

دعْ عنكَ رائعةَ الأغاني ... جفَّتْ على شَفَتي الأماني
(أرفوسُ) ليس بمستطيـ ... ـعٍ أنْ يُهدهِدَ لي جناني
أدر الكؤوسَ مليئةً ... وَذَرِ المثالثَ والمثاني
بل بالدنان فعاطني ... لا أرتوي بسوى الدِّنانِ
هات اسقني حتّى أُحلّـ ... ـقَ مِنْ سمائي في العنانِ
وأَفِرُّ من شَرَكِ الزما ... نِ، ومن أحابيل المكانِ
أتسلقُ النورَ الشُّعا ... عَ إلى كواكبَ لي رَوانِ
أنا مِنْ هناك من السما ... ءِ، فمَنْ على الدنيا رماني
من دَنَّس القدسَ الطهو ... رَ، وحطَّ بالعَفِّ الحَصَانِ
أو فاسقني بالقُبَّة الـ ... ـزرقاءِ، كأسُكَ ما رواني
هو من ثَرى التُرْب الخسيـ ... ـسِ، فما أفادَ، وما شَفاني
وأراه لم يَبْعثْ بقلبـ ... ـي بَعضَ أحلامي الفَواني
أدنى لي الألمَ القَصِي ... وأضاعَ آمالي الدّواني

* * *

هات اسقني واجعل كؤو ... سَ الراحِ أقواهَ الحِسانِ
فأذوقَها ممزوجةً ... بشذى الهوى ولُغَى الحنانِ
أو فاسقنيها بالعيو ... نِ الموحياتِ لِيَ المعاني
أو في النحور البيضِ ثُغْـ ... ـري فوق أغصانٍ لِدانِ

أو في كِمـــام الـــورد رَيَّـــــ ـــــا أو ثغـــورِ الأقحـــوانِ
هـــــذي أوانٍ، والجمـــــا لُ يزيـــــدُه حُـــــسْنُ الأوانِ
والـــراحُ روحٌ لـــيس يجلـــو هـــا، ســـوى حُـــسْنِ المبـــانِ

* * *

هـــات اســـقني واحلُـــلْ بـــرا حـــكَ عُقْـــدةً زَمَّـــتْ لـــساني
إنـــي أرانـــي إنْ ظـــمـــئـــ ـــتُ إلى الطِّـــلا، عَـــيَّ البيـــانِ
شـــفتي وكأسُـــكَ عاشـــقا نِ عـــن الهـــوى يتحـــدثانِ
غنمـــا مـــن الـــدهر الخـــؤو نُ مُـــنىً فباتـــا في قـــرانِ
دقّـــاتُ قلـــبي والحَبَـــا بُ مـــن الجَـــوى يتـــشاكيانِ
هـــاتِ اســـقني كأســـاً لأُغْـــ ـــرِقَ فيـــه، أثْقَـــلَ مـــا أعـــانِي
جـــسمي وروحـــي في سعيـــ ـــرٍ ســـرمدٍ يتحرّقـــانِ
يـــوحي إلـــيَّ الكـــأسُ مـــا يـــوحي، فَعَـــزِّزْنِي بِثـــانِ
لتـــشيع في قلـــبي الحزيـــ نِ، رؤىً رَجاهـــا مـــن زمـــانِ
أطْفِـــئْ صـــدايَ، فـــإنَّني جَفَّـــتْ علـــى شَـــفَتي الأمـــانِي

---

(1) نقلاً عن مخطوطة بخط يد الشاعر.

(2) كتبت هذه القصيدة في العام 1945 (هذا التاريخ غير مؤكد). ونشرت في مجلة المنتدى.

(3) **Orpheus** في الأساطير اليونانية. وهو: رب القيثار تأنس له الوحوش. **لُغى الطائر**: تغريده. **الحَصَان**: العفيف. **الحباحب**: الفقاقيع. **الطِلا**: الخمر. **المثالث والمثاني**: الأوتار.

31. رهين المحبسين:

أعمـــــى، ولَـــــوْ خُيِّـــــرَ في أمريـــــه، لاختـــــار العَمـــــى
كـــــيلا يـــــرى ذئبـــــاً ظَلومـــــاً وضـــــعيفاً ظُلمـــــا
ولَـــودَّ لـــوْ لـــم يَـــسمعِ الأنّـــاتِ تعلـــو لـــلـــسما
مـــــن عـــــالمٍ تحـــــت فـــــؤوس الغـــــدْرِ، خَـــــرَّ مُحطّمـــــا
مـــــا قيمـــــة الأبـــــصار تُبـــــصر في الوجـــــود جهنمـــــا

* * *

أعمـــــى، ولكـــــنْ بَـــــزَّ بالإحـــــساس، أصـــــحابَ البَـــــصرْ
كـــــانوا همـــــو العميـــــان، عـــــن أفعـــــالهم ينبـــــو النظـــــر
تـــــاهوا بـــــصحراء الـــــضلال ومُرغـــــوا في طـــــين شَـــــرّْ
ورآهمـــــو في البغـــــى والطغيـــــان غرقـــــى في بَحَـــــرْ
فتـــــساءل القلـــــبُ الكـــــبيرُ: أهـــــؤلاء هـــــمُ البَـــــشَر؟!!

* * *

أعمـــــى، وشـــــاهدَ في الوجـــــود مـــــشاهداً هـــــزَّتْ يَقينَـــــهْ
مـــــا الملـــــكُ يـــــستلب الـــــضعاف لآلئـــــاً زانـــــت جبينَـــــهْ
ومُزَهَّـــــدٌ تَخـــــذَ الـــــشراكَ لـــــساقطِ الرغبـــــات دينَـــــهْ
والـــــزوج يغـــــدرُ زوجَـــــهُ والخِـــــدْنُ لا يرعـــــى خدينَـــــهْ
أو لـــــيس في هـــــذا، لِـــــذي الوجـــــدان مـــــا يُـــــشجي شـــــجونَهْ

* * *

نـــــادى بإصـــــلاح الفـــــسادِ، فقيـــــل: ذاكَ تـــــشاؤُمُ
وأراد تعلـــــيمَ العبـــــاد فقيـــــل: ذاكَ تعـــــالُمُ
ودعـــــا لرفـــــقٍ بالبـــــهامِ فـــــصدَّ عنـــــه القـــــارمُ
وأراد حكْـــــمَ العقـــــل في الـــــدنيا، ونعـــــمَ الحـــــاكمُ
لكـــــنْ تَـــــساوى ضـــــلّةً بـــــانٍ بـــــنى والهـــــادمُ

* * *

نَـــــصَحَ الـــــورى لكـــــنّهمْ لم يقبلـــــوا نُـــــصْحَ النـــــصيحِ
أســـــدى لهـــــم عُرفـــــاً فـــــردّ القِـــــرمُ بـــــالردِ القبـــــيحِ
ســـــخروا مـــــن العلـــــمِ الغزيـــــر، يـــــسيلُ في اللفـــــظِ الفـــــصيحِ
وتـــــضاحكوا مـــــن جـــــرأةٍ ولـــــدتْ مـــــن الـــــرأي الـــــصحيحِ
والنـــــاسُ مـــــن ضـــــعفٍ يـــــضيقون بـــــذي القـــــول الـــــصريحِ

* * *

أعمـــــى وشـــــاهدَ أنّ ذاك النـــــاسَ عـــــاش بُظلْمـــــتينِ
في ظلمـــــةِ القلـــــب الغلـــــيظِ، وظلمـــــةٍ في النـــــاظريْنِ
فـــــأدار عنـــــهم ســـــاخطاً بـــــصراً يهـــــيمُ بكـــــلّ زيْـــــنِ
فرمـــــوه... مـــــاذا ضـــــرَّ لـــــو نَـــــبَحَ الكـــــلابُ النيّـــــريْنِ
إمـــــا تَعِـــــشْ في معـــــشرٍ نَـــــذْلٍ، فَعِـــــشْ في مَحْبـــــسينِ

---

(1) نقلاً عن مخطوطة بخط الشاعر.

32. أحـاجـي:

زعمـــوا أنّ بخـــيلاً لم يجـــدْ ... في حيـــاةٍ لفقـــيرٍ بـــنقيرِ
عاش في الناس غَـصوباً حقّهُـمْ ... ورمـــاهُمْ بخـــرابٍ وثُبـــورِ
جـاءه الـشحّاذ يومـاً سـائلاً ... بعضَ ما يملكُ مـن مـالٍ وفـيرِ
فـأراه مُعْـوزاً ذا كِـسْـرَةٍ ... قال: خذها منه من فضلي وخيري
وهب الـشحّاذ مـا لـيس لـه ... يا لطيب النفس والقلب الكـبير!!
لا أُسـمّيـه، فمـن يحـزُرُه ... إنّ من أعـني هنـا جـدُّ شـهير
كُلكُـمْ يَحْـزِرُهُ، فهـو غـدا ... عَلمَا للكـذب، عنوانـاً لـزور

* * *

وانثنى الـشحّاذُ فيمـا ذكـروا ... عندما عزّت علـى فيـهِ الأمـاني
يطلـبُ النـصرةَ مـن سَـيّده ... قائلاً: مـالي بمـا شـئتَ يـدان
حبـذا الكـسرة، لكنّـي أرى ... نيلَهـا إمّـا أحـاول غـيرَ دانِ
صاحبُ الكسرةِ لا يـسخو بهـا ... لـسواه، ذو حفـاظ مُبتغـانِ
هـاتِـهـالي منه، إنّـي عاجـزٌ ... أنْ أُعاني في مُـرادي مـا أعـاني
فـانبرى الظـالم يُـدنيها لـهُ ... وهو لم ينفـكَّ يُـدني غـيرَ وانِ
من هو الـشحّاذ؟؟ مـا أوقحَـهُ ... لا يـرى أوقـحَ منـه الـثقلانِ
كلكـم يعرفـه، فهـو غـدا ... مـثلا للـذلّ، رمـزاً للـهوانِ

* * *

طفق المظلومُ يشكو أمرَهُ ... فأتى يشكو إلى مَنْ ظَلَمَهْ
قال: فالكسْرةُ حقّي ردّها ... غير أنّ الظلمَ دنيا مظلمه
يرحمُ القوّةَ أو يرهبُها ... هل رأيتم من ضعيفٍ رَحِمَه
قسَّمَ الظالمُ، مَنْ عَلَّمهُ ... قسمةً عادلةً، من علَّمَه؟؟
قال للشحّاذ: خذ نصفاً وخُذْ ... أنت نصفاً يا لَهُ، ما أظلمه
وحكى الشحّاذ: بل لي كلّها ... حقّيَ الموروثُ، لا، لن نقسمه
فبكى المظلومُ كي يرحَمَهُ ... أوَ تُجدي العبرة المنسجمة
ما الذي يجدي إذن في مثله ... ما الذي ينصفُ أهلَ المظلمة
ذاك سِرٌّ فاكتموه عندكمْ ... إنّ من أودع سراً كَتَمَهْ

* * *

زعموا الشحّاد نال المبتغى ... وهو لا يقنع بالشيء القليلِ
طَمَعٌ لّما يزل من آدمٍ ... وصمةً تُورَثُ من جيلٍ لجيلِ
مَدَّ عينيه لأقصى ما يرى ... ليس في ما نال مُروٍ للغليلِ
قال للسيّد أجهزْ لي على ... صاحبِ الكسرة ذي الظلّ الثقيلِ
لا أرى الكسرةَ تحلو لي إذا ... لم يكن ذو الحق فيها بالقتيلِ
ردّه السيّدُ عن هذا ولم ... يرضَ، والعَلاّمُ أدرى بالدخيلِ
قال: يا شحّاذُ نُقصيه إلى ... مَهْمَهٍ ليس له حدٌّ قحيلِ
قال: هذا نصفُ حَلٍّ خاطئٍ ... وأنا أكرهُ أنصافَ الحلولِ
منطقٌ أعوجُ مَنْ يفهمه؟؟ ... أين قل لي، أين أصحابُ العقولِ
من تُرى يعرف ذا الرأي الذي ... قيلَ قدماً؟، أزْرِ بالرأي المقولِ

هكذا الوجـدان، إمَّـا يـشترى ... ليس للرحمـة فيـه مـن سـبيلِ

* * *

وروَوْا أن كـسيحاً مُقعَـداً ... رام أن تدعَمَـهُ يومـاً دعامـهْ
فـرأى الـشحّاذَ في بنيتـه ... فـتمنى لـو شَـفاهُ وأقامَـهْ
قال يـا شـحّاذُ أقرضْـني يـداً ... إن مَنْ يُقرضْ يـداً يلـقَ أمامـهْ
غـنني صـوتاً وسـاعدني، أقُـمْ ... فلقد قامت على عهـدي القيامـه
ولـك الـدنيا ومـا تبغـي إذا ... قمتُ من بلوى كساحي بالسلامه
وحكى الشحّاذ: خُـذْ عكـازتي ... ثُمَّ أَقْطعني غـداً دار إقـامـه
فـانبرى المقعـدُ يهـذي كَلِمـاً ... هل فهمتُم يا أولي الفهـم كلامـه
هل عرفتم من تُرى أعني؟ نعـم!! ... إنني قلـت لكـم فيـه علامـه
إن يُـردْ فلـيقطعَنْ مـن دارهِ ... ليس من دار سـواه، لا كرامـه.

* * *

ذكـر الـراوي وطالـتْ قـصةٌ ... أمهلـوني، أروِ عنـه مـا ذَكَـرْ
نـسي الـشحّاذ والكفـرُ بـه ... شيمةٌ. كم أنعُـمٍ كـبرى كَفَـرْ
نـسي المعـروفَ مـن أسـيادهِ ... إنَّ نسيانَ يـدٍ، إحـدى الكُبَـرْ
ورد البئرَ صَـدٍ، حـتى ارتـوى ... ثُمَّ ولّى، ورمـى فيهـا الحجـرْ
كـان كالـذئب تغـذّى حلبـاً ... مـن شـياهٍ فتعـدى فَبَقَـر
أعمـل المخلـبَ في سـيّدهِ ... أمـا في طريـق العقـال عـبر
من ترى يعرفُ ما أعني؟. نعـم!! ... إنهـا ليـست بحـاجٍ للفِكَـرْ

إنهـــا أحجيـــةٌ مكـــشوفةٌ كلكُمْ يعرف مثلي ما الـخـبَـرْ

* * *

ومشى المحـرومُ في روضِ المـنى واشتهى لو نالَ من بعض الثمـارِ
كُلّمـا مَـدَّ يـداً يجـني انثنـتْ يـدُهُ مـلأى بِغُـرمٍ وخـسارِ
قال: فَلأُصْعِدْ على هـامي فـتىً يُقْرب القاصي ويحمي لي ذمـاري
فـامتطى ذاك الفـتى أكتافَـهُ واستوى مثل مليـكٍ في اغتـرارِ
واسـتطاب القَعْـدَةَ العليـا ولم يجن شيئاً غـير صـيتٍ واشـتهارِ
قال: فانزلْ أنت لم تجـن جـنىً ولقد طال اصـطباري وانتظـاري
لا أرى لي فيـك جـدوى إنمـا أنـت مَـضَّاغُ كـلامٍ وفَخـارِ
فأبى الراكـبُ أن ينـزلَ عـن عرشه، وهو كمـا تعلـم هـارِ
من ترى يعـرف هـذا؟ كلكُـمْ عالمٌ بعضَ الـذي أعـني وداري
يحكـم الأمـةَ مـن يخـدمُها حسْبَ ما تـأمر يمـشي ويجـاري
أيهـا القـوم وهـذي قـصةٌ وبِهـا وجـه لفكـرٍ واعتبـارِ
فَـسّروها مثلمـا شـئتمْ ولا تسألوني واقبلوا مـني اعتـذاري

* * *

غير أنّـي قبـل تَرْكـي سـائلٌ عن ضياءٍ لاح في حُلك الـدياجي
حينمـا أبـصره (كـوهين) لم يهنَ عيشاً، فهو منه غـير نـاجي
كـان يرجـو بـسواه دولـةً وغـدا لما رآه غـير راجـي
إن نـشأْ نجعلْـهُ سـيفاً صـارماً يذبحُ الغُمـةَ والكـرْب المفـاجي
نبتـةٌ لما تـزل ريّانـةً أنتجـتْ خـيرَ ثمـارٍ ونتـاج

كُلّمـــا زدنـــا بـــه زيتـــاً يـــزدْ نورُهُ الوهَّـــاجُ نـــوراً كالـــسراجِ

من ترى يعرف ما أعـــني؟ نعـــم!! إنكم تدرون تفـــسيرَ الأحـــاجي.

---

(1) نقلاً عن مخطوطة بخط يد الشاعر.

(2) ألقيت القصيدة في فندق فلسطين بمناسبة ذكرى وعد بلفور. ويعتقد مروان الطاهر أنها قيلت عام 1947.

(3) يرمز الشاعر إلى: الإنكليز – اليهود – روزفلت – رئيس حزب العمال البريطاني – الزعماء الفاسدين – صندوق الأمة... الخ.

33. تَبَسَّمْ:

(من رسالة إلى صديق عبوس)

إنْ تجدْ بابَ الأماني مُغْلَقاً ... لا تُكَشِّرْ وتَلُمْ من سَكَّرَهْ
إن بوّابَ الأماني مَرِحٌ ... يُبغضُ اليأسَ ويخشى الكَشَرَهْ

فَتبسَّمْ يا عزيزي

يا عزيزي، هل ترى الكشْرَةَ قدْ ... أرجَعَتْ من فائتٍ بعد فَوات
بينما البسمة، أدْنَتْ قاصياً ... أوَما جربتَ سِحْرَ البسمات؟

فَتَبَسَّمْ

إنّ دنياك رياضٌ خيرُ ما ... تتجلّى في ثُغورٍ تتضاحَكْ
لا يكنْ ثغرُكَ ثغراً زمَّهُ ... ما تُلاقي منْ أَلامٍ، فتَماسَكْ

وتبسَّمْ يا عزيزي

فلْيفضْ وجهُك بِشْراً مُدّعىً ... كَرِهَ الناسُ على الدهر العَبُوسا
هل ترى التقطيبَ حَلّى مُرةً ... أم تراه رفَّهَ العيشَ البَئيسا

فَتبسَّمْ

قد كَفَتْ أهلَ الورى أشجانُهمْ ... لا تزِدْهُمْ شَجناً فوق شَجَنْ
شاركَ الناسُ ضَحوكاً ضِحْكَهُ ... ونأوْا لم يِشْرَكُوا أهلَ الحَزَنْ

فتبسَّمْ يا عزيزي

والمُنى كالطفل لا يَقْرُبْ من ذي عبوس مُتَمادٍ في دلالِ
وذوو الفنِّ قديماً جعلوا فاتنَ البَسْمةِ سِرّاً في الجمالِ

فتَبسَّمْ يا عزيزي

إنَّ للعيش طريقين، هُما الجدُّ في ضحْك، وجدٌّ في بكاءْ
لا تَقُلْ أُجْبِرتُ في شرّهما فَلَكَ الخيرةُ، فاخْتَرْ ما تشاءْ

يا عزيزي

ثُمَّ: ما ساءَكَ من هذي الدُنا ما الذي، ردَّلكَ الطَرْفَ كَليلا؟
إنّ دنياكَ... التي تَصْنَعُها فَسِّر الأشياءَ تفسيراً جَميلاً

فتَبسَّمْ يا عزيزي

إن يكنْ ساءَكَ ظلمٌ فادحٌ كمْ جَهولٍ ظالمٍ لا يَعلمُ
يَتقاوى كي ترى قُوَّتَهُ ليس إلاّ... فهو جَهلاً يظْلِمُ

فتَبسَّمْ

إن يكنْ خانكَ خِلٌّ في هوىً وتذوقتَ مريراً غَدْرَهُ
فهو أعفاكَ وأخلى عامداً شُقَّةً في القلبِ، أَسْكِنْ غيرَهُ

وتبسَّمْ، يا عزيزي

إن يكنْ راعكَ قَصْرٌ نقصُهُ فهو قد أُنقِصَ كيلا يَنْهَدِمْ
أو يكُنْ راعَكَ وجهٌ قُبْحُهُ فهو مشروعٌ لوجهٍ لم يتمْ

فتبسَّمْ يا عزيزي

في كفاح الناس لا تَعْبسْ فما آبَ بالغُنْمِ عَبوسٌ في كفاحْ

رُبَّمـــا قُـــسِّرتِ البَـــسْمَةُ إنْ تبتسم للفوز، أوْ حُـــبِّ الـــصَّلاحْ

فـــتـــبـــسَّـــمْ

أرأيـــت المـــوتَ في شِـــدّته كم بأنظـــار الـــورى قـــد قَبُحـــا

حـــين تلقـــاه تَبـــسَّم كيـــف لا وهـــو مجهـــولٌ، وســـرٌّ فُـــضِحا

فتبسّمْ يا عزيزي

تُـــشبِهُ البـــسمةُ تكـــشيراً وقـــد خافَ كلُّ الناس، تكشيرَ الأسَـــدْ

فتبـــسم عَـــلَّ بغْيـــاً يَرْعـــوي وتَبَـــسَّمْ عَـــلَّ ظَلاَّمـــاً يُـــرَدّْ

وتبسَّم يا عزيزي

---

* – راجعنا النص على ثلاث نسخ:

1. **النسخة الأولى:** بخط يد الشاعر... وهي لا تحتوي الفقرة رقم (2) في ترتيب النص.
2. **النسخة الثانية:** صورة لنسخة أخرى بخط يد الشاعر، احتوت على الفقرة رقم (2) من النص. وهي تخلو من الفقرة رقم (3) في ترتيب النص... والفقرة رقم (4) والفقرة رقم (5) والفقرة رقم (9).
3. **النسخة الثالثة:** انظر: **مجلة (المهماز) – عدد 37 بتاريخ 22/كانون أول/ 1946 – حيفا، فلسطين.** وهي ناقصة، لأنها تخلو من الفقرات: 2، 3، 4، 6، 7، 12.
4. إن وجد خلاف في بعض الكلمات، لجأنا إلى حَلّين:
   1. اعتماد النسخة الأولى، أي التي بخط يد الشاعر وتفضيلها.
   2. كلما وجدت الكلمة مرتين في النسخ الثلاث، فضلناها على الرواية الثالثة.
5. وقع هذا الخلاف في الأبيات التالية:
   1. الشطرة الأولى من البيت الأول في الفقرة الثامنة: (ثم ساءك من هذي الـدنى) وردت في النـسخة الأولى والثانية... بينما وردت في نسخة المهماز على النحو التالي: (ما الذي أشجاك من هذي الدُنا). فقمنا بتفـضيل الصيغة الأولى لسببين: لأنها وردت في النسخة الأولى بخط يد الشاعر. وثانياً: لورودها مرة أخرى في النـسخة رقم (2) وهي صورة عن نسخة ثانية بخط يد الشاعر.
   2. في الشطرة الأولى من البيت الأول من الفقرة رقم (10) نجد: (إن يكن خانكَ خلّ في هوى) موجـودة في النسخة الأولى ونسخة المهماز أيضاً. بينما نجد في النسخة الثانية المصورة: (إن يكن خانك إلفٌ في هوى).

3. في الشطرة الأولى من البيت الأول من الفقرة رقم (11) نجد: (إن يكن راعك قصر نقـــصه) في النـــسخة الأصلية الأولى... كذلك نسخة المهماز. بينما نجد في النسخة الثانية: (إن يكن ساءك...).

4. في الفقرة الأخيرة من القصيدة: (خاف كل الناس تكشير الأسد) موجودة في النـــسخة الأولى الأصـــلية... كذلك في النسخة الثانية المصورة... بينما نجد في نسخة المهماز: (خاف أهل الأرض تكشير الأسد).

6. في نسخة المهماز (**مقدمة نثرية كتبها الشاعر**) عن مناسبة القصيدة... وهي مقدمة طويلة آثرنا تلخيصها... والرواية تتلخص في أن الشاعر ذهب مع صديق له وقرينته (يعتقد أنه **الدكتور أحمد كمال**) إلى تل أبيـــب لكـــي يـــشتري الصديق كتاباً علمياً من إحدى المكتبات. وكان الشاعر يرتدي لباساً عربياً في أيام العطلة بدلاً من الملابس الإفرنجية. فدخل الصديق وقرينته إلى **المكتبة** أولاً وأخبرا صاحب المكتبة أن الشاعر (نشال يلاحقهما من يافا). ثم دخل الشاعر بلباسه العربي وأخذ يقلب الكتب الإنجليزية. وصاحب المكتبة يراقبه حذراً ولم يكن الشاعر على علم بمقلب صديقه. فتقدم صاحب المكتبة من الشاعر وأمره بالخروج وإلاّ فسيستدعي قوات الأمن. فانتبه الشاعر لمقلب صديقه وكـــان بين يديه كتاب شعري لأحد الشعراء الإنكليز المعارضين (فقلت لصاحب المكتبة: هل تقرأ العربية وتفهمها؟!. قال: نعم... قلتْ: والإنكليزية؟! قال: نعم... قلت: إذا أترجم لك بعض ما جاء في هذه القصيدة الإنكليزية إلى العربيـــة شعراً... فما صَدَّقَ... فترجمت له بعض أبياتها، فصعق لساعته!!. وأخذ يعتذر لي. أما صاحبي الظريف فقد صحب قرينته الفاضلة وراءه راكضاً خوفاً من تغرير صاحب المكتبة).

34. الـغـد:

أراهـــا تَمثّـــلُ في خـــاطري ... وقـــد أبـــدعَ الفـــنُّ ألوانَهـــا
وروحُ الحيـــــاةِ بأرجائِهـــــا ... تَـــدِبُّ وتُلْهِـــمُ فتّانَهـــا
ففيها الجمالُ، وفيهـا الـضياءُ... ... أَهَـــلَّ يُنَـــوِّرُ أركانَهـــا
هو الغَـدُ لـوحتُكُمْ يـا شـبابُ ... فَـشِدّوا العـزائمَ – شُـبّانَها
خذوا ريشةَ الفـنِّ خُطّـوا لنـا ... سـهولَ الـبلادِ ووديانَهـا
مِنَ الدّمِ خُطّوا رؤوسَ الجبـالِ... ... وَهَـامَ الـروابي وكُثبانَهـا
مِنَ العَرَقِ العَذْبِ رَوُّوا السهولَ... ... ورَوْضَ الـبلادِ وبـستانَها
هو الغـدُ لـوحتُكُمْ يـا شـبابُ ... فخُطّـوا مـن العـزمِ عُنْوانَهـا
غدٌ لوحَـةٌ في أيـادي الـشبابِ ... فـلا تُـسْلِموا الأمـرَ عُمْيانَهـا.

---

(1) أنظر: مجلة (الغد) المقدسية – 1945/7/6. والقصيدة مهداة إلى (أسرة تحرير مجلة الغد). وهـي مجلـة تقدميّـة أصدرها رابطة المثقفين العرب. وكان يرأس تحريرها المناضل اليساري، الشيوعي، الشهيد (مخلص عمـرو) – مـن الخليل.

35. أخاف من العيد:

أخافُ مـــن العيـــدِ روحـــي بِـــهِ ... أحِـــسُّ بها مـــن أســـىً رازحـــهْ
وأبكي بـــه مـــن مآســـي الحيـــاةِ ... ومـــن ســـخريات لها فاضـــحهْ
به يرتدي النـــاسُ ثـــوبَ الريـــاء ... حَقيقـــتُهُمْ تحتَـــهُ واضـــحهْ
فهـــذا يُغنّـــي وفي لحنـــهِ ... مقـــاطعُ مـــن نَوْحـــةِ النائحـــهْ
وذاك تَهلّـــلَ عـــن بـــسمةٍ ... بعيـــدةِ عهـــدٍ بـــه كالحـــهْ
وذلـــك راضٍ بِمَقـــدورِه ... وفي الصدرِ نفسٌ نَـزَتْ طامحـهْ
وذاك اطمـــأن إلى يومـــهِ ... وفي روحـــهِ قَلَـــقُ البارحـــهْ
وكلّهمـــو في حنايـــاه نـــارٌ ... أكولٌ لما قـــد حَـــوَتْ جائحـــهْ
ولكنّنـــا نحـــنُ أهـــلُ الـــشعور ... نـــرى الحـــبَّ باللفتـــةِ اللامحـــهْ
فصدّقْ: إذا قلـــتُ – لا فـــارحٌ ... بعيـــدٌ هنـــاكَ، ولا فارحـــهْ

* * *

ومـــاذا هنـــاك؟؟ هنـــاك جيـــاعٌ ... لقد شَبَّ فـــيهم سُـــعارُ الجَـــسَدْ
ومـــاذا هنـــاك؟، هنـــاك العبيـــدُ ... يَـــضِجّونَ تحـــت قيـــلِ الـــصَفَدْ
هنـــاك الثكـــالى فكـــم والـــدٍ ... دهـــاهُ الزمـــانُ بثكْـــلِ الولـــد
هناك القلـــوبُ الـــتي حُطِّمَـــتْ ... على صخرةٍ مـــن جفـــاءٍ وصـــدّْ
هنـــاك، هنـــاك الألى يرهبـــونَ ... غداً أن يجـــيء، وأقـــربْ بغـــد!!
هناك الـــدموع، هنـــاك الأنـــينُ ... هناك القنوطُ، هنـــاك الكَمَـــدْ...
أفي العيد شـــيءٌ يـــسرُّ النفـــوسَ ... ويـــأتي إليهـــا بمـــا قـــد تَـــوَدْ؟

وإن كان... ما نعمةٌ لا تَعُمُّ ... فَتُوريَ نارَ القلا والحسد؟
وما فرحةٌ مثلُ ومضِ البروقْ ... وليستْ تدومُ دوامَ الأبدْ

* * *

إذا رَقَّ إحساسُنا في الوجودِ ... وأضحتْ نفوسٌ لنا شاعرَهْ
إذا هدأتْ نزواتُ الحياةِ ... التي في جِبِلَّتِنا ثائرهْ
إذا ائتلفَتْ في طريقِ المحبةِ ... أرواحُنا النَكْرةُ النافرهْ
إذا ما صهرنا قيودَ العبيدِ ... بنارٍ من القُوّةِ القاهرَهْ
إذا الذئبُ عَفَّ وألقى الأمانَ ... على الشاةِ من فَتْكَةٍ غادرهْ
إذا ما نعمنا بلُقيا المُنى ... وقرَّتْ رغائبُنا الحائرهْ
إذا أُطْعِمَتْ من لذيذِ الكرى ... عيونٌ على رُغْمها ساهرهْ
إذا نحنُ لم نذكر المحزناتِ ... بفَقْدِ التذكّرِ والذاكرهْ
إذا كان هذا، فثمَّةَ عيدٌ ... وتلك مظاهرُهُ الساحرهْ
وثمة يَحْسُنُ وجهُ الحياةِ ... فتصبحُ فتّانةً ناضرهْ
وتَجْملُ دنيا، زهدنا بها ... وإلاّ.. فموعدُنا الآخرهْ

---

(1) أذيعت هذه القصيدة من دار الإذاعة الفلسطينية بالقدس بتاريخ – 1947/10/26م، وقد أذاعها الشاعر بنفسه. وقد اعتمدنا على نسخة مكتوبة بالآلة الكاتبة (حديثة جداً) تعود للثمانينات.

(2) في البيت الثامن والعشرين، ورد ما يلي: إذا لم نَحنُ نذكر المحزنات. والأصح هو: (إذا نحنُ لم نذكر المحزنات).
وفي البيت الثاني والعشرين ورد ما يلي: (التي في حيلنا...) والأصح: جِبِلّتنا، لكي يستقيم الوزن والمعنى.

36. لزوميّات:

1. مُدّعي الشرف:

عجبتُ لمدَّعِ شرفاً رفيعاً ... وفيه سُبَّةُ الشرفِ الرفيعِ
يضرُّ، كما أضرّ له جدودٌ ... ويفخر، نِعْمَ مفخرةُ النفيعِ
يُشَفِّعُ أصلَهُ المذمومَ جهلاً ... وليس سوى المحامدِ من شفيعِ

2. هكذا قَسَم الإله !؟

بَغى في قسمة الأرزاق ناسٌ ... وقالوا: هكذا قَسَمَ الإلهُ
وقالوا: إنْ أحبَ اللهُ عَبْداً ... برزْقَتِه المُقدَّرَة ابتلاهُ
دعونا إنْ يكُنْ هذا صحيحاً ... يَرَ الفُقَراءُ معبوداً خَلاهُ
رأيتُ القلبَ، إما ضاقَ صبراً ... بمحْبوبٍ لحرمانٍ سَلاهُ
لقد وصفوا الإلهَ بِشَرِّ ظُلْمٍ ... بما كذبوا. تَنَزّهَ في عُلاهُ

3. نحنُ إلى الجُرَحاء بحاجة:

يُحاجينا أخو جُبْنٍ بقَوْلٍ ... ولو عَرَفَ الجراءَةَ لَمْ يُحاجِ
يخافُ فلا يَبينُ ونحنُ قومٌ ... إلى الجَرْءاءِ في حقٍّ بحاجِ
فَدَعْنا نُلْهَ عنك بحَلِ قَيدٍ ... وعالجْ أنت خَرْبَصَةَ الأحاجي

4. أنصفني فأنا أخوك:

أتينا للحياة فَلي نصيبٌ ... كما لَكَ أنتَ في الدنيا نصيبُ
فَلمْ تَعْدو وتغْصِبُني حقوقي ... وتطلبُ أن يُسالمكَ الغَصيبُ

أَعَدْلُكَ قــال أن أســعى، وتجــني ... وأطْلــبُ المعــاشَ فــلا أُصــيبُ
فأنــصِفْني ولا تُجْحِــفْ، فــإنّي ... أخوكَ إذا دهى الخَطْبُ العَــصيبُ

5. غريب بين الناس:

ألا مَــنْ هــادمٌ جِــسْمي فُتاتــاً ... فَجابلُ طيــنتي، فَمُعيــدُ سَــبْكي؟
فَيعْــبكُني بِهــذا النــاسِ، إنّــي ... غريبٌ بينــهمْ، فَيُجيــدُ عَبْكــي
فــإنَّهُمُ رأوْا ورأيــتُ شــيئاً ... فراحو يضحكون، ورُحْتُ أبكــي
كــأني مــن روايتــهمْ (نَــشازٌ) ... سَها الراوي، فلم يَحْفَل بِحَبْكــي

6. سأفلقُ قلبَ الظلم:

لغير فؤادي بابنَــةِ الكَــرْم سَــكْرةٌ ... وسَلْوى، وغيري هامَ في عَطِرِ الريقِ
وما سَكَري إلاّ دمُ الظلــم مُهْــدَراً ... ومن لحمه نُقْلي، وفي القَحْفِ إبريقي
ولم يكُــن الظــلُّ الــذليلُ بِمَقعَــدٍ ... لنفسي، ولكنْ عِثْيرُ الحرب مِشْريقي
سأفلق قلبَ الظلــم أبغــي طريقــةً ... إلى الحقّ كيما يسلكَ الناسُ تَطْريقي
يُحاول تفريقي عــن الحــقّ مُبْطِــلٌ ... وَحَقّكَ لن يَسْطيعَ ذو الحَوْلِ تَفْريقي
ســأطلب حقّــي لا أكِــلُّ مجاهــداً ... ولو كان تمزيقي هنــاكَ، وتَحْريقــي

7. النضال شيءٌ يُحَبُّ لذاته:

جعلتُ نضالي الظُلْمَ هَمّاً ودَيْــدَناً ... لأنّي به حُلّــتْ لــديَّ المَعاضِــلُ
فأحْبَبْتُــهُ حُــبَّ الحيــاةِ بفــضله ... عَلَيَّ، ولا تُنْسى لَــديَّ المفاضــلُ
فواعجبا، إن نلتُ غايــةَ مطلــبي ... غداً، فيمَ ألْقاني، أعودُ أناضــلُ؟؟
وإن وصلتْ أرضي رغابي مُطيعــةً ... فهلْ لسمائي عن وصالِيَ عاضلُ؟؟

8. أمَمٌ تباع !!

رأيتُ الظالمينَ سِباعَ غدرٍ ... لعمرك دونَهم غدْراً سِباعُ
سباعُ الوحشِ، قد تعدو جياعاً ... وهُمْ أكلوا الحرامَ وهُمْ شِباعُ
وقد منعوا الرقيقَ على خداعٍ ... فَدونَكَ هذه أممٌ تُباعُ

9. هل هذا كلام؟

وقال الظالمونَ وقد تَمادوْا ... بظُلم الناسِ: غايتُنا السَلامُ!!
وإمّا رامَ طَرْحَ القيدِ عَبْدٌ ... وفكِّ قُيودِه، غَضبوا ولامُوا
وقالوا: ثائرٌ يبغي اهتداماً ... لعالمهمْ، فهلْ هذا كلامٌ؟
فإنْ ننظرُ إليهمْ باحتقارٍ ... وإن نَحْقِدْ عليهمْ، هل نُلامُ؟

10. مُضَلّلٌ !!

عذيري من جريحٍ راح يَشْفي ... جراحاتٍ تَنزَّت بالطلاسمْ
يَرَى نَجْعَ البَلاسم لاشتفاءٍ ... ويُعْرِضُ لَيْسَ تُعجبُه البلاسمْ
يَطِّبُ لدائه لَسَماً ويغضي ... على خَسْفٍ يَمرُّ لَدى الملاسمْ
إذا لم تضطربُ في أخذ حقٍّ ... إليك بقوةٍ، فالعارُ لاسِمْ

11. يا راحم الحيوان:[1]

يا راحم الحيوانِ من آلامِه ... هَلاّ رحمتَ من العَناءِ أخاكا

---

(1) (عرفته كريماً على الحيوان، بخيلاً على الإنسان. وهو يكرز دائماً للرفق بالقطط، وينهر السائل، ويدعُّ اليتيم) — عبد الرحيم محمود.

قاسمتَ قِطّكَ في رخاكَ ألَمْ يكُـنْ ... أَولى ابنُ آدمَ في اقتسامِ رخاكا
يشقى ببخلِكَ عُرْبُ دارِك، لم يذُقْ ... إلاّ القِطاطُ العُجْمُ، طعمَ سَخاكا
أسفي على من يغسلون بدمعهمْ ... عن طيلسانكَ إن صَخيْتَ صَخاكا
تَلْخى بآياتِ التراحُمِ كاذباً ... فَيُؤمِّنون على كّذوبِ لَخاكا

12. آفة الشعب الرئاسة:

أرى شعباً تنوءُ به الرزايا ... فيقتلني التأسُّفُ والرثاءُ
كأن شبابَه الريّانَ لَمّا ... تَأوَّفَهُ أخو ظُلَمٍ، غُثاءُ
وآفتُه الزعامةُ، وهي شَرٌّ ... أما للشرِ يا ناس انفشاءُ

13. الشعور الرقيق يعذّب:

لماذا فظَّ هذا الناسُ قلباً ... ورقَّ لكي يُعَذِبَني شُعوري؟
يروْنَ فلا تَهيجُ لهم دماءٌ ... مشاهدُ ناكئاتٌ بي نَعُوري
ولي أذنٌ ذَعورٌ، ليتَ أُذْني ... من النَشَجاتِ لَيْسَتْ بالذَّعُورِ
رَمَتْ نفسي سُهولَتُها ... وأنفُسُهمْ نَجَوْنَ من الوُعورِ

14. مشكلة القوافي...!!

أرى المعنى بقلبي جدَّ وافٍ ... وإنْ أَنْظِمْهُ يصبحُ غيرَ وافِ
فأبحثُ عن بقاياه فَأَلْقى ... بقاياهُ بأسنانِ القوافي
فواتعباً، تَعَوَّفتِ المعاني ... ولم تتعبْ وعَبَّتْ في عُوافي
وإمّا كنتُ في جنّاتِ عدْنٍ ... تُجرّرْ بي لصحْراءِ السَّوافي

أتحشُرُنا القوافي في قصيدٍ ... كما حُشِرَ الحَجيجُ على طوافِ؟؟
فهل من شارع شرعاً صحيحاً ... يُوافينا الحقوقَ على توافِ

15. بلاء النصوص بالتفسير:

جعلوا حجَّةَ الأمورِ نصوصاً ... وبلاءُ النصوص بالتفسيرِ
أي نصٍ يقولُ في ربحِ قُلٍ ... وبقاء الكثير في تَخسيرِ
ونفوسٍ قد نُوِّلتْ شهوات ... ونفوسٍ باتت على تحسيرِ
ما نصوصٌ تيسيرها لقويٍّ ... والضعيفُ الضعيفُ في تَعْسيرِ

16. جاهل يتعالم:[1]

تَعالَمَ كي يُقال له عليمُ ... ورأسكَ، ليس حرفاً من عليمِ
تَنبأ أنّ حقاً سوف يفنى ... أتلك نبوءةُ العقلِ السليمِ؟
جنونكَ قد أضلّكَ لا ملامُ ... إذا ما شُكَّ في عقل المَليمِ
وليس بضائقٍ عن طيش طفلٍ ... ولا عن هَذْرِهِ، صدرُ الحليمِ

17. البصرة:

يُقال: البصرةُ اشتهرتْ بتَمْرٍ ... سَلُوا، هل يملكُ الفقراءُ تَمْرَهْ
هناك على جناحِ العِزّ ناسٌ ... وناسٌ من معاوزِهِمْ بِغَمْرَهْ
فهلْ أمرُ الزنوجِ له مَعادٌ ... وكم شَيئاً كرهتُ، حَمِدْتُ أَمْرَهْ

---

(1) (في جاهل، قال العقاد: إن الحق صائر إلى الفناء) – عبد الرحيم محمود.

18. رؤوس تمكّن منها العنكبوت:

أحـــاول أن أصـــلح الفاســـدينَ ... فـــأَلقى محـــاولتي كالعَبَـــثْ
تأصَّـــلَ فـــيهم خبيـــثُ الفـــسادِ، ولـــن تـــستطيع جـــلاءَ الخَبَـــثْ
فكيـــف ودون الـــذي تبتغيـــه، سمـــومُ التفـــرقِ فـــيهم تُبَـــثْ
فكم ذا تَـشَبَّثتُ كـي تـصلح الـرأس، لكـنَّ تَمكّـنَ فيهـا الـشَبَثْ
تـــسير علـــى نَبَـــثِ الظـــالمينَ وليـــست تحيـــد عمـــيً عـــن نَبَـــثْ

19. الحقيقة الضالة:

حقيقتُنـــا علـــى أرضٍ ولكـــنْ ... دُهينـــا نبتغيهـــا في الـــسماءِ
كمـــا سَـــمَكٌ لـــه عـــيشٌ بمـــاءٍ ... يُحـــاولُ أن يعـــيشَ بغـــيرِ مـــاءِ
ولم تـــسق الـــسماء لنـــا نَميراً ... فيطفـــئُ غلّـــةَ القـــوم الظمـــاءِ
سينكشفُ الغِشاشُ الزيفُ عنـــها ... ويبلُغُهـــا القمـــيءُ علـــى قمـــاءِ

20. الوضعُ الجائرُ جلّاد:

أُجالدُ وَضْعاً قام في الناس واقفـــاً ... على أمّ رأس الخير وِقْفَـــةَ جـــلّادِ
وأهتكُ ستراً عـــن بـــشاعةِ سُـــنَّةٍ ... وشِرْعَةِ بُطْلٍ لا ترى الحقَّ مِـــصْلادِ
وإن لم أُبدّلْ فيه سَوْءَى بـــضدّها ... فكيف اعتذاري أن تُلوَّمَ أولادي؟؟
حوى البغيُ مِقلادَ المعايش ظالمـــاً ... وضربُكَ وجهَ البغي أَوْقَعُ مِقْـــلادِ

21. إنّ التظاهر بالتُقى شِرْكٌ... !!

يحـــاول أن تـــدين لـــه رقـــابٌ ... بـــنَفْسٍ، في قباحـــاتٍ، وَديـــنِ
يصلي الخمـــسَ يُتبعُهـــا انتفـــالاً ... وديـــني، إنّهـــا شِـــرْكٌ وديـــني

فليس يَعِفُّ عـن مـال اليتـامى ولا عن عِرسِ ذي الفقـر المُـدينِ
يُكَفّـرُ عـن خطايـاه بحـجٍ وهَـدْيٍ للأضـاحي بالبَـدينِ
وما نفعي إذا ما استَلّ روحـي أخـو ظلْـم، فينـدمُ أو يَـديني
ويَـسْـتَـدنُ المـصلّى غـير أن الفـضائلَ دونَهـا صُـفْقُ الـسَّـدينِ

22. برمت بهذا الناس:

برمتُ بهذا الناس، حـتى كـأنني أقمت مُقامي فيهمو بـين حيَّـاتِ
وزهّدني فـيهم قلـوبٌ حقـيرةٌ حُشينَ بـأهواء وأخبـث نيّـاتِ
ولي نفسُ حرٍّ لا ترى العيشَ لـذةً بخلطـة أخـلاطٍ ودنيـا دَنيّـاتِ
فعدتُ بشعري لا أراهم كراهـةً لأوجههـمْ، ثم انعزلـتُ بأبيـاتي
هناك بـأجواء الخيـالات ملجـأٌ لـنفسٍ عَلـيٍّ أُولعـتْ بعليّـاتِ

---

(1) دققنا نصوص اللزميات على ثلاث نُسخ:

- **النسخة الأولى: صورة طبق الأصل عن خط الشاعر**، وهي مكونة من أربع صفحات في الأصل، لكن الصفحة الثانية ناقصة. وتحتوي النسخة كلها على (12) لزومية كما يبدو من ترقيم الشاعر. أما الصفحة الثانية الناقصة فتحتوي على الأرقام: 4، 5، 6 كما في الأصل. ويبقى منها: تسع لزميات هي: مدعي الشرف – كذا أقسم الإله – نحن إلى الجُرَعاء بحاجة – مضلل – هل هذا كلام – أمم تباع – الشعور الرقيق يعذّب – غريب بين الناس – آفة الشعب الرئاسة. وجميعها بعنوان (بعض اللزوميّات). **والملاحظة الثانية** هي أن الشاعر كتب بخطه على اللزومية: (غريب بين الناس) وعلى اللزومية: (هكذا أقسم الإله) ما يلي: **نشرت في مجلة (الغد) – عدد 37 – السنة الثانية – في 21/شباط/1947.**

- **النسخة الثانية:**

1. انظر: مجلة (الغد) – العدد 37 بتاريخ 21/شباط/1947: أفكار في لزوم ما لا يلزم للشاعر الحر عبد الرحيم محمود. وعنوان فرعي: (من مجموعة: لو كنت ذا مال لطبعتُها) وهي تشمل أربع لزوميات: هكذا قسم الإله – غريب بين الناس – النضال شيء يحب – مشكلة القوافي.

2. انظر: مجلة (الغد) – بتاريخ 16/نوفمبر-تشرين الثاني/1945، حيفا – فلسطين: في رياض الشعر: عبد الرحيم محمود. وقد نشرت ثلاث لزوميات هي: أنصفني فأنا أخوك – سأفلق قلب الظلم – يا راحم الحيوان...

- **النسخة الثالثة: نسخة حديثة العهد مكتوبة على الآلة الكاتبة،** وتشتمل على عشرين لزومية لكن اللزومية رقم (20) ناقصة وهي (يا راحم الحيوان) فقد احتوت على بيتين. وهذه النسخة تشمل نفس اللزوميّات في النسختين السابقتين. ولكن هذه النسخة أضافت اللزوميات التالية: **(بلاء النصوص بالتفسير – جاهل يتعالم – البصرة – رؤوس تمكن منها العنكبوت – الحقيقة الضالة – الوضع الجائر جلاد – برمت بهذا الناس).**

كذلك لابدّ أن نشير إلى أن لزومية (آفة الشعب الرئاسة) موجودة في النسخة الأولى بخط الشاعر بدون عنوان. بينما أخذنا العنوان من النسخة الثالثة وهو مكتوب بخط السيد مروان راضي الطاهر. ويبقى أن نقول إن النسخة الأولى والثانية هي الأكثر وثوقاً. بينما نعتمد في النسخة الثالثة المكتوبة على الآلة الكاتبة، والتي تضيف ستّ لزوميات، نعتمد على ثقتنا بالسيد مروان راضي الطاهر باعتباره أحد أصدقاء الشاعر.

(2) استبدلنا في اللزومية رقم (1) كلمة (المذؤوم) بكلمة المذموم ما دام المعنى نفسه في الكلمتين. **وثانياً:** في لزومية (أمم تباع) وردت الشطرة الأولى من البيت الثالث على وجهين بخط الشاعر: (وقد منعوا الرقيق لِما خداع) وهي أيضاً بخط الشاعر. وآثرنا استخدام الوجه الثاني.

وثالثاً: في لزومية (سأفلق قلب الظلم): ورد في الشطرة الثانية من البيت الأول التالي: (وسلوى، وغيري هام في عطر الريق) وقد وردت في نسخة (الغد) مطبوعة وفي النسخة الثالثة. ثم وجدنا في طبعة (مكتبة بلدية نابلس العامة) – 1975 أن كلمة (الريق) استبدلت بكلمة (الرمق) وهذا الاستبدال خاطئ تماماً لأنه يخالف إيقاع اللزومية.

ورابعاً: ورد في لزومية (هل هذا كلام)، في الشطرة الأولى من البيت الأخير كلمة (بامتكارٍ) وقد استبدلناها بكلمة (احتقار) بدلاً من الكلمة الأولى التي وردت بخط مروان الطاهر.

وخامساً: ورد في لزومية (رؤوس تمكّن منها العنكبوت) – في النسخة الثالثة – في الشطرة الأولى من البيت الثالث (وكيف دون الذي تبغيه). وقد صححناها على النحو التالي: (فكيف ودون الذي تبتغيه...).

سادساً: لاحظنا ضعفاً في صياغة الشطرة الأولى من البيت من لزومية (بلاء النصوص بالتفسير) ومع هذا أبقيناه كما هو.

(3) تُوجد في النسخ الثلاث شروح لمعاني بعض المفردات. ومع أننا ضد إثقال النص بالشروح، إلاّ أننا أبقينا على **الشروح التي وضعها الشاعر بنفسه فقط:**

1. **المذؤوم:** المذموم. 2. **يحاجينا:** يحزّرنا. 3. **خربصة:** حل. 4. **النقل:** ما يؤكل مع الشرب. 5. **القحف:** عظمة الدماغ. 6. **العثير:** غبار الحرب. 7. **المشريق:** المكان الذي يجلس فيه في الشتاء لمواجهة الشمس. 8. **التفريق:**

الفصل. 9. **التفريق** (في لزومية سأفلق قلب الظلم: البيت الخامس: الشطرة الثانية) بمعنى: الإخافة. 10. **صخي صخاً**: اتسخ. 11. **يلغي لغاً**: يريد في الكلام الباطل. 12. **الطلاسم**: السحر والشعوذات. 13. **لَسَما**: خجلاً وَعَيّاً. 14. **الملاسم**: المذاقات. 15. **لاسم**: لازم. 16. **الجُرح النَعور**: الذي ينزف بكثرة. 17. **الذعور**: التي تُذعر لسماع القبيح. 18. **النشجات**: البكاء بصوت. 19. **يَعْبِكْ**: يخلط. 20. **الحبك**: هو تساوق القصة وانسجامها كما يقول فن القصص. 21. **الشَبَكْ**: العنكبوت. 25. **النَبَشْ**: الأثر. 26. **تعوفت**: تعبدت. 27. **تعشرنا**: تأخذ العشر. 28. **تواف**: تام. 29. **الغشاش**: السحاب المرتفع. 30. **القميء**: الصغير الحقير. 31. **مصلاد**: الناقة لا حليب لها ينتفع به. 32. **مقلاد**: مفتاح. 33. **يستدن**: يحرس. **والسَدين**: الستر الكثيف الصفيق. **عاضل**: مانع. **ديدن**: عادة.

(4) لزومية (النضال أمْرٌ يُحبُّ لِذاته). وجدنا كلمة (لذاته) في العنوان في نسخة قصيدة (تبسم) مكتوبة بخط يد الشاعر بشكل منفصل عن القصيدة. بينما نشرت في نسخة مجلة (الغد) بعنوان (النضال شيء يحب). وفضلنا استخدام العنوان الأول لأنه بخط الشاعر.

(5) لزومية (برمت بهذا الناس) بخط أحد أقرباء الشاعر.

37. كتابٌ... أضاء الظُلُمات:

كتـــابٌ أضـــاءَ ديـــاجي الظُلَـــمْ ... ودلَّ الأنـــــامَ لأهـــــدى أمـــــم
أشـــاعَ الجمـــالَ بقُـــبْحِ الحيـــاةِ ... وأفـــشى الحيـــاةَ ببـــالي الـــرمَمْ
وســـلَّ الـــسخائمَ مـــن أكبُـــدٍ ... غلاظٍ، وبـــيَّضَ منـــها الـــسَخَمْ
وألقـــى الـــسلامَ علـــى العـــالمين ... فـــذاقوا حـــلاوةَ طعـــم الـــسلم
أَنـــاغيمُ، لمّـــا شـــداها الـــشُداةُ ... أصـــاخَ الزمـــانُ لحُـــسْنِ الـــنغم
وصحَّى النيـــامَ، نيـــامَ القلـــوبِ ... فقـــام الأذانُ، وخـــرَّ الـــصنم
أقـــال عـــثـــارَ الخصال الملاحِ ... ورسّـــخَ للمكرُمـــاتِ القَـــدَمْ
مَعـــين الفـــضائلِ للنـــاهلينَ ... فإما يخوضوا، يخوضـــوا الخـــضمّْ
كتـــابٌ حكـــيمٌ فمـــن فيـــضه ... علـــى العـــالمين لأهـــل الحكـــم
ومـــن يمتلـــئْ حكمـــةً قلبُـــهُ ... أصاب من الخـير شـيئاً عَظُـمْ
أقـــام الـــسيوفَ بوجـــه البغـــاةِ ... فلمّـــا أنـــابوا أقـــام القلـــم
وقلَّـــمَ أظفـــارَ شَـــرْسِ الـــذئابِ ... فلم تخشَ بطشَ الـــذئابِ الـــنغم
وقـــاد الرعـــاةَ، رعـــاةَ الـــشياهِ ... فـــصار الرعـــاةُ، رعـــاةَ الأمـــم
كتـــابٌ تركنـــاه يـــا حـــسرتا ... فـــصرنا نَعُـــضُّ بَنـــانَ النـــدم
وهان علـــى النـــاس مـــن بعـــده ... فَعـــرضٌ أُبـــيحَ وأُهريـــقَ دم
وقد كان يَبْعَثُ فينا الـــحـــفـــاظَ ... ويبعـــثُ فينـــا القـــوى والهمـــم
وقد كان يجمـــعُ منّـــا القلـــوبَ ... فأيـــان مـــن بعـــده المُلتَـــئَمْ
فخـــارتْ عـــزائمُ مـــن بعـــدهِ ... وصرنا ســـلابَ الـــوغى نقْتَـــسِمْ

وكانت لنا عِزّةُ المؤمنينَ ... فصرنا العبيدَ، وصرنا الخدم

فتلطمُ منا عزازُ الخدودِ ... وندعو بخير لمن قد لطم!!؟

وكنا الرّغامَ لأنف العُداةِ ... فصارتْ أنوفُ لنا تُرتَغَمْ

وكنا الأباةَ فلا نُحتذى ... فأين الإباءُ، وأينَ الشَمَمْ؟!

حيينا بغير الكتاب الحميدِ ... حياةً وأفضلُ منها العدم

وما رغبةُ الحُرّ من عيشةٍ ... هضيمَ الحقوق، مُباحَ الحرم

إذا لم تكن ذا زئير يُدوّي ... ففيك بأُذْن الأعادي صَمَمْ

وإن رمتَ تشكو الذي قد أصابكَ ... قالوا تَجَنَّى، وقالوا ظَلَمْ

تَيقّظْ ويكفيكَ هذا الرقاد ... فمن رام نيلَ العُلى، لم يَنَمْ

ويكفي تشكي العذاب الأليم ... فقلبُ المعذّب، ما إن رحم

يسُنُّ التألمُ حدَّ النفوسِ ... فهل سَنَّ نفسَك هذا الألم؟

إذا لم تزاحمْ لنيل الحياة ... أصبتَ فناءَكَ في المزدحم

إذا لم تكنْ رحماً في الطيوب ... تُنشْكَ غداةَ الصراع الرحم

تدججْ سلاحاً فحولك ناسٌ ... تدجَجَ من رأسه للقدم

وخيرُ السلاح كلامُ الإلهِ ... فَجَلَّ الإلهُ، وعزَّ الكلم

فإما اتبعتَ أزالَ الكروب ... وإما تلوت أزاح الغمم

وقال لنا اعتصموا يا عبادُ ... وليس سوى حبلهِ مُعتصَمْ

وقال تآخوا أيا مؤمنينَ ... ولكنّنا قد قطعنا الرحم

وقال لنا، وأعدّوا لهم ... فماذا ادّخرتُمْ، لما قد ألَمّْ

بما قد عصينا كلامَ الإلهِ ... جنينا السُباتَ، وسوءَ الندم

فيـــا قـــومُ عـــودوا إليـــه يَعُـــدْ ... إلينـــا الفخـــارُ ومجـــدُ القمـــم

كتـــابٌ مـــنيرٌ فمـــن نـــورِه ... أنـــيروا غياهـــبَ هـــذي الظُلَـــمْ

وداووا بمـــا فيـــه أســـقامَكُمْ ... ففيـــه دواءٌ يُزيـــلُ الـــسَقَمْ

كلامُ العظـــيمِ، عظـــيمُ الكـــلامِ ... فعـــزّ العظـــيمُ، وعـــزّ الكَلِـــمْ

---

(1) نقلاً عن مخطوطة بخطّ الشاعر.

(2) أُلقيت في احتفال كلية النجاح (العام الدراسي 1943-1944) بحفلة ختم القرآن.

38. ليلة ذات فجرين:

ليلةٌ هبّتْ بها ريحُ الخزامى ... فَسَرتْ راحاً بأرواح النّدامى
نقلتْ بُشْرى بفجر طالما ... قد تَمنّتْهُ الدياجيرُ القدامى
حلم لابت عليه أنفسٌ ... مُلئَتْ جَهْلاً وظلماً وظلاما
كم تمناه الحيارى في الدجى ... وتمناه ضعافٌ ويتامى
راقبوا الصحراء تأتيهم به ... بلسمَ الجرح، شفاءً وسلاما
من رأى أُمّيّةً قد علّمتْ ... كلّ هذا الناس، عدلاً وذماما
علّمتهمْ، إنما الحُسنى هي الروحُ، ما الحسنى شراباً وطعاما
ليس بالخبز حياةٌ وحدَهُ ... لا وليس المجد في الدنيا حطاما
هذه الصحراءُ في إعجازها ... عزّت الصحراءُ فعلاً وكلاما
لا تعجَّبْ!! فهي نبعُ الروحِ كمْ ... أنبعت عزّاً وأمجادا فخاما
حملتْ (طه)، فلمّا ولدتْ ... أطرقَ الكونُ جلالاً واحتراما
ولد الآس فطابت أنفسٌ ... قد تَنَزَّيْنَ جراحاً وسقاما
هلّ والدنيا جحيمٌ قاتلٌ ... يحرقُ الفَضْلَ لهيباً واضطراما
جاء طه والليالي حُلَّكٌ ... فبدا في مَبْسَمِ الدنيا ابتساما
وَدَّ ماضٍ فرَّ لو يشهدُهُ ... والغدُ الوامقُ لو كرَّ أماما
سوَّدَ العرفَ، وأعلى رحمةً ... وأقال العقلَ من كَبْوٍ فقاما
حمل القرآنُ نوراً في يدٍ ... واليدِ الأخرى بها هزّ الحُساما
والحسام العضْبُ أجدى حيلةً ... في الذي يُبصرُ لكنْ... يتعامى

هلَّ فارتاحتْ قلوبٌ شغفتْ ... من سخيماتٍ هباباً وسخاما

فمحا عن أوجهٍ قَتْرتَها ... وجلا عن أنفس قَتْماً، قتاما

وأشاع العدل لا شاء ولا ... أذؤبٌ ترقبُ للشاءِ... انتقاما

قال: يا إنسانُ لا تزهدْ وكنْ ... بين أُخراكَ ودنياك قواما

وأحبَّ الناسَ لا تغدر بهم ... إنَّ من يغدرْ بهم، يلقَ إثاما

شِرْعةٌ لو وردتْ ما ... أنفسٌ تردى، وهام تترامى

من رأى من قبل هذي ليلة ... ذاتُ فجرينِ ينيران الظلاما

من رأى الصحراءَ يروي ماؤُها ... الخِصْبَ إذا اشتدت أُوامَا

من رآها فَتَقَتْ أكمامَها ... عن أزاهير يُزينَّ الكماما

من رأى الصحراءَ تُهدي تائهاً ... حادَ عن قصدِ سبيلٍ، فاستقاما

---

(1) نقلاً عن مخطوطة بخط الشاعر.

(2) يحتمل أن تكون قد نشرت في جريدة (الدفاع). وقد قيلت بمناسبة عيد المولد النبوي.

(3) كتب إليّ مروان راضي الطاهر، يقول: هناك صدر بيت ضاع عجزه، ويأتي ترتيبه بعد البيت الرابع عشر. يقول صدر البيت: (ودموع تغرق الروح أسىً...).

39. لـمّا اكفهرَّتْ أوجه الليالي:

لَمّـا اكفهـرت أوجـهُ الليـالي ... وساد في الناس عمـى الـضَلالِ
وحَكَّـمَ القيـصرُ في البرايـا ... حكومـةً ليـسَتْ علـى مثـالِ
وراح كسرى بـهيـر الأوانـي ... ينوشُـهُمْ بمخلـب... القتـالِ
وقـسَّم النـاسَ إلى مطايـا ... وسـادةً تظلـمُ، لا تبـالي
وانعـدم الـضميـرُ في البرايـا ... وأجـبر العقـلُ علـى العقـالِ
واشـتبه العـدلُ فـلا جـريءٌ ... تُقـرُّهُ بقطعـة العـدال
واقـتَـلَ الناسُ على خطـام ... أحقـرُ مـن قتـلٍ ومـن قتـال
رآهـم اللهُ وهـم عيـالٌ ... والله ذو الرحـمة بالعيـالِ
فقـيّضَ العُـرْب لهـم دلـيلاً ... يهدونـهم لأوضـح الـدلالِ
والعُرْبُ خيرُ الناس، منـذ كـانوا ... رُسُلٌ مـن الرحمـان ذي الجـلالِ
كلّفهـمْ، وهـو بـهم علـيمٌ ... حَمْلَ رسـالاتِ الهـدى الثِقـالِ
إنْ يستجـرْ حـقَّ بـهم يكونوا ... حوالـه الأسـيافُ والعـوالي
قد نبعـوا والحـقّ مـن معـينٍ ... فمـا لـه عنـهم غـنىً بحـالِ
ألا تـراه ضـائعاً مُـضاعاً ... بـين أعـاجم الـورى الـرذّالِ
نحـن نُحِـقُّ الحـقَ إنْ نُـصرنا ... وإنْ خُـذلنا صـيبَ بالخـذالِ

* * *

وقـام (طـه) داعيـاً إليـه ... يهيـبُ بالنـساءِ والرجـالِ
دعا لإطـلاق النُهـى، وكانـتْ ... مغلولـةَ الأطـرافِ بـالأغلالِ

دعـــاهُمُ لما اســـتوتْ لـــديهم ... مَحـــارةٌ، وصـــادقُ اللآلـــي
فعبـــدوا الأصـــنامَ مـــن ضـــلالٍ ... كـــذا تكـــون غفلـــةُ الجهّـــالِ
دعاهـــمـــو إلى الذي يـــحيـــيهمْ ... مـــن فـــاخر الخـــصال والخِـــلالِ
فلـــم يجـــب غـــيرُ قليـــلِ نـــزرٍ ... قـــد تُغْلَـــبُ الكثـــرةُ بـــالقلالِ
فناضـــل النـــاسَ علـــى اعتقـــاد ... والعـــزّ والمنعـــة بالنـــضالِ
لم يكفـــه نـــصحٌ لهـــم وقـــولٌ ... فالقـــصدُ لا يُـــدركُ بالمقـــالِ
يـــا سُـــنَّةً شـــرّعها فعـــولٌ ... فاعتبروا يـــا ماضـــغي الأقـــوالِ

* * *

يا أســفاً يــرى الفــتى شــراراً ... آلـــوا بنـــا لأســـوأ المـــآلِ
يـــرى شـــراراً ضـــيّعوا بـــلاداً ... وحَلّـــوا مـــا لـــيس بـــالحلالِ
فَـــيَغُضُّ الطـــرفَ علـــى أذاهـــم ... يقول: دعهمْ، مـــا لهـــم ومـــالي
إن عشتُ في الخير وكان غـــيري ... يَـــسْدُرُ في الـــشرِّ فَلِـــمْ أُبـــالي!
كمُمْهـــلٍ لخـــارقٍ ســـفيناً ... يهـــوي بها لأهـــوال المهـــالِ
يـــسأله كـــي يرعـــوي ســـؤالاً ... واللطـــفُ والرقـــةُ بالـــسؤالِ
لا يرعوي الـــسفيهُ مـــن عتـــابٍ ... بـــل يرعـــوي بالـــصفْعِ بالنعـــالِ
تـــذكّروا الجـــلاءَ وهـــو مـــوتٌ ... طاحتْ حظوظُ المـــستكينِ الحـــالِ
فَـــصاولِو فيمـــا تـــرون حقـــاً ... لا يمنـــع الحـــقَّ ســـوى الـــصيالِ
ولترأبـــوا صـــدوعَكُمْ للقُيـــا ... ما خبّأتْ في رحـــمها الليـــالي
لا يرأبُ الصدعَ قلـــوبُ هـــوجٍ ... تغلـــي بها مراجـــلُ التغـــالي
عـــوامرٌ بالكـــذب والـــدنايا ... عـــوامرٌ مـــن التقـــى خـــوالي

موحلـــةٌ إذا تبـــقَ جفّـــتْ ... وانفرجتْ عـن أقـذرِ الأوحـالِ

تريـدُ دّكَّ الـصِرْحِ، وهـو راسٍ ... مـاذا يُلَقّـى نـاطِحُ الجبـالِ

ظلّت صُـروحاً شُـمَّخاً وأوهـى ... قَرْنَيْـهِ فيهـا أحمـق الأوعـالِ

حـارب (طـه) أهلَـهُ حروبـاً ... شـابتْ لها مفـارقُ الأطفـالِ

يـا مـثلاً يـضربه قويـماً ... والدين، أحلى الدين في الأفعـالِ

إنّ الأُلى عـدَّوكَ أهـلَ قـربى ... لـيس الأُلى عـادوك بالأهـالي

وأي أهـل طغمـةٌ سـفالٌ ... بـاعوا الحمـى وأهلَـهُ بمـالِ

نقرضـهم ألـسنةً رقاقـاً ... وهُـمْ نـذيرُ الـشؤمِ والوبـالِ

ونـسلق المحسنَ وهـو أحـرى ... بالمـدحِ والتبجيـل والإجـلالِ

يا لي مـن الـذبيح كيـف راءى ... ذابحَـهُ لم يحتقـرهُ يـالي

* * *

يـا قـومُ أيّـانَ أراكـمْ قومـاً ... يكيـلُ نفـسَ الكيـل للكيّـالِ

يقـوم بيّـاعٌ بكـم خطيبـاً ... يخطـبكم في منطـق الأطفـالِ

يـشتم أذيـالاً لكـم طهـاراً ... وذيلُـهُ مـن أنجـس الأذيـالِ

فَـتُـشـقَبُ الأيدي لـه اصطفاقاً ... ويخـرقُ الأُذنَ، الهتـافُ العـالي.

والعامل الـصامتُ لـيس بحـزبي ... يعـيش فـيكم عيـشةَ الغـزالِ

والعابـثُ اللاهـي يريـد دنيـا ... ينـال مـنكم أجمـلَ النـوالِ

تقلونـه لقالـةٍ هـذاها ... وهـو أحـقُّ النـاس بـالإنزالِ

غرقـان في الحمـأة راح يغلـو ... يُلفـتكمُ عـن نفـسه كـالآلِ

يـا خَبَـراً، لم يـروهِ رواةٌ ... ليست سـراةُ النـاس كالـسفالِ

يا حانثَ الأثـلاث وهـو طهـرٌ ... ما أنـت مـن مفـاخر الأثـالِ
أبو الحُصينِ سَـبَّ قَطْفـاً لـمّا ... رآه صـعبَ الأخْـذِ والمنـالِ
لو قُـسّمَ الإخـلاصُ في ثيـابٍ ... لنلـت منـها هَلْهَـلَ الأسمـالِ
في بلـدٍ سـارت بـه ركبـانٌ ... أغنيـة ومـضرب الأمثـالِ

* * *

وظـلَّ (طـه) داعيـاً صـبوراً ... يهـدي غُـواةَ القـوم غـير آلِ
وكم حَـسا مـن غـيّهم ثفـالاً ... وعلْقـمَ الأكـؤس في الثفـالِ
مـن يحمـلُ العظـائمَ احتـساباً ... مـا آده عظـائم الأحمـالِ
حـتى إذا مـا أيأسـوه صـبراً ... آذنهـمْ بهجـرةِ القتـالِ
هاجرَ كـي يرجـعَ في جيـوشٍ ... مـشحوذةِ النفـوسِ والنـصالِ
إنّ الذي قد صُـمّ عـن كـلامٍ ... تـسمعه طوالـقُ النبـالِ
هم أضرموا عليـه نـارَ حـربٍ ... لم يخبـها... مـشبوبةِ الـشعالِ
ومَـنْ كطـه أسـداً هـصوراً ... إن قيـل يـوم الملتقـى نـزالِ
ومـن كأصـحابٍ لـهُ شـداد ... يلـوون بـاليمين والـشمالِ
ضحّوا لـه أرواحَهُـمْ رخاصـاً ... من يطلب الغالـيَ، ضحّى الغـالي
فقطّـرتْ دمـاؤُهُمْ وهـاداً ... ضاع شـذاها في ذرى الأعـالي
كـم عقـدوا عنـدهم سمـاءً ... ثم انجلـت عـن أجمـل المجـالي
وانكـشفتْ حقـائقٌ حـسانٌ ... قـد أشـبهتْ عـرائسَ الخيـالِ
إنّ رعـاةَ الـشاءِ والجِمـالِ ... أضحوا رعـاةَ الحـقِّ والجَمـالِ
وأمّـةٌ أميّـةٌ تـصدَّتْ ... تُعلّـمُ المـنحطَّ مـا التعـالي

تغرف مـــن بحـــر كتـــابٍ فيـــهِ معـــادنُ الإيمـــان والكمـــالِ

* * *

والتـــفَـــتَـــتْ تحـــسدهم يهـــودٌ أهـــلُ الخنـــا والـــذلِّ والختـــالِ
ونقمـــوا أن أرســـلوا وربّـــي أعلـــمُ مـــن أجـــدر بالإرســـالِ
وكـــان لابُـــدّ مـــن احتكـــامٍ والسيفُ أملـــى خـــبرةَ الأمـــالي
عـــداوةٌ لّمـــا تـــزل تنـــزّى ثورتُهـــا الأجيـــال للأجيـــالِ
وعـــادتِ الحـــربُ لنـــا عَوانـــاً يـــا للـــشدادِ البـــأسِ والأبطـــالِ

* * *

قُريظـــةٌ عـــادت لكـــم فعـــودوا وأرجعـــوا أيامهـــا الخـــوالي
وخيـــبرٌ قامـــتْ لكـــم فَـــدُكّوا ولا تُقيمـــوا دارسَ الأطـــلالِ
قد حسبوا الغـــابَ غـــدا مُباحـــاً وأنّـــه مـــن الأســـودِ خـــالي
فـــاتلوا علـــيهم سُـــوَراً صـــعابا تظـــلُّ تُتْلـــى عـــبرةً للتـــالي
قـــد مـــات فرعـــونُ ولم نرثْـــهُ غـــيرَ ســـياطٍ مُـــرَّة النكـــالِ
نعملـــــها في أظهـــــر ذلالٍ كـــأظهر الحمـــير والبغـــالِ

* * *

طافوا على الدنيا وما اســـتراحوا ولم يَـــسَـــعْـــهُـــمْ من فلاها فالي
عَقّوا فعاشـــوا في الـــورى نفايـــا كذاك عقبى منكـــري الأفـــضالِ
حتى إذا ضـــاقت بهـــم رحـــابٌ ودوفعـــوا كمُـــبغضِ الـــصلالِ
عـــادوا لنـــا وقعتـــهمْ ســـوداءٌ وعـــاد ســـنحاريب، حزقيـــالِ

* * *

يا قوم في هجرة (طـه) ذكـرى ... لأمجـــد الأمجـــاد في الأوالي
فهـاجَروا مـن مكّـة الأقـوالِ ... ليـشرب الأخـلاق والأعمـالِ
وهاجروا مـن بطّـلات سـؤلٍ ... وبـــئسَ داراً دارةَ الإبطـــالِ
يا قوم لـيس الحـقُّ في هنـدامٍ ... ولا بقطـع الأرقـبُ الحـوالي
ولا بتـــشتام الألى تنـــادوا ... للمَّـــة الأبـــداد والأفـــلال
ولا بتـــهويش ولا خطـــاب ... الحـقُّ كـلّ الحـقِّ في الفعـالِ
فكـم مريـرٍ حلـيَ ادعـاءً ... ولـن تـدوم دولـةُ التحـالي
الحـقُّ سـلطانٌ لـه دوامٌ ... وسـلطةُ الباطـل للـزوالِ
وجاهـدوا في معـشرٍ أنـذالِ ... باعوا الحمـى للمعـشر الأنـذالِ
وقـدَّموا الأمـوالَ، لا كلامـاً ... أمامَـهُ، مـا قيمـة الأمـوال!!

---

(1) نقلاً عن مخطوطة بخط الشاعر.

(2) ألقيت في قاعة بلدية نابلس في ذكرى الهجرة النبوية.

40. كتابٌ لا يفيه المدح:

كتـــابٌ لا يفيـــه المـــدح قـــولُ ... وذكـــرٌ مـــن قوافينـــا أَجَـــلُّ

ولو سلك الكواكـــبُ في قـــصيدٍ ... بـــذاك النـــسجِ جانبـــه، يَقِـــلُّ

خصيبُ النثر، إنْ بـــاراه حَـــدْبٌ ... وبحرُ الشعر، إنْ جـــاراهُ ضَـــحْلُ

تنـــزَّلَ والـــضلالُ لـــه خيـــامٌ ... أنـــاخَ النـــاسُ فيهـــا واســـتظلّوا

بليلٍ حالـــكِ الجلبـــاب، جـــونٍ ... إذا ثُقلـــتْ بـــه قـــدمٌ تـــزِلُّ

قضى في الأرض، بطشٌ واعتسافٌ ... وحُكِّمَ في أمـــور الخلـــق جُهْـــلُ

يُصال على الضعاف، ولا يُراعـــى ... بمـــضعوفٍ هـــوى ذمـــم وإلُّ

وضاع الحق في الـــدنيا، فـــروحٌ ... تُـــسَلّ بريئـــةً، ودمٌ يُطَـــلُّ

وسار النـــاس في صـــحراءِ شـــرٍّ ... وتاهوا في المسير، ومـــا اســـتدلّوا

ودارت أعينُ الضُلاّلِ حَـــيْـــرى ... علـــى نجـــمٍ بـــه أمـــلٌ يُطـــلُّ

يضمون الأكـــفَّ علـــى صـــدورٍ ... بلا ما قد حـــوت ســـخمٌ وغُـــلُّ

وهـــلَّ (محمـــدٌ) مَعَـــهُ كتـــابٌ ... فيـــا للنـــورِ مـــن نـــورٍ يَهِـــلُّ

فَقـــرَّت أعـــينٌ وارتـــاحَ بـــالٌ ... وطابتْ أنفسٌ، والتمَّ شـــمْـــلُ

وطبّ الآي، فانـــدملت جـــراحٌ ... بغـــير الآي، لـــيس لهُـــنَّ دَمْـــلُ

وأُشربت النفوسُ تُقـــىً وكانـــتْ ... هواهـــا قبلَـــهُ، بغـــيٌ وبُطْـــلُ

وحـــقَّ الحـــقُّ في شـــاءٍ وذئـــبٍ ... ورفرفَ في سمـــاء الأرض عَـــدْلُ

فـــلا حِـــلٌّ يُحَرِّمُـــه قـــويٌّ ... بقوّتـــه، ولا حَـــرَمٌ يَحـــلُّ

تَرسَّـــم نهجَـــهُ نـــاسٌ فعـــزّوا ... وكان لهـــمْ بثـــوب المجـــد رَفْـــلُ

أطـــاعوا أمـــرَهُ فعلـــوا عُلُـــوّاً ... ومـــن يعمـــلْ بـــأمر اللهِ يَعْـــلُ
وطاف به علـــى الآفـــاق عُـــرْبٌ ... هُمو للخيـــــر والإيمـــان رُسْـــلُ
فمـــا إن صَـــدَّهمْ بحـــرٌ خِـــضَمٌّ ... ومـــا إن ردّهُـــمْ حَـــزْنٌ وســـهلُ
إذا قُـــسمتْ رســـالاتٌ بخلـــقٍ ... تحمَّلَ قومُ أحـــمـــدَ مـــا يَجِـــلُّ
هم القُضُبُ المواضـــي مُغْمـــداتٌ ... وإمّـــا حاقـــت الجُلّـــى تُـــسَلُّ
تُـــسَلُّ علـــى أبالـــسةٍ ســـفاراً ... شـــفاراً لا تَكِـــلُّ ولا تُفَـــلُّ
وسادوا الناسَ ما شـــدّوا علـــيهمْ ... ولا تـــاهوا بعـــزّتهمْ ودَلّـــوا
لهـــم بـــالله والقـــرآنِ حبـــلٌ ... به اعتـــصموا، ولا يحكيـــه حَبْـــلُ
وكانوا المورِدَ الـــصافي لعطـــشى ... لهم مـــن عَذْبِـــه نـــهلٌ وَعَـــلُّ
وجاءوا بـــالروائع مـــن عقـــولٍ ... وبالآيـــاتِ لـــيس لـــهُنَّ مِثْـــلُ
وجاء وراءَهُمْ نـــسْـــلٌ أضـــاعوا ... جنى أتعابـــهمْ فلبـــئسَ نـــسْلُ
تنـــافرت القلـــوبُ فـــلا ودادٌ ... وفُـــرِّقَ شملُهُـــمْ بَـــدَداً فـــذلّوا
وهـــانوا لا تعـــزُّ لهـــم قنـــاةٌ ... على الأعداء، فانكسروا وغُلّـــوا
ونـــاموا لا تفـــيقهُمُ خطـــوبٌ ... ولا نبـــأُ الجِـــلاد المـــضمئلُ
يدوس حـــرامَهُمْ طيـــرٌ بُغـــاثٌ ... ويقهـــرهُمْ مـــن الأقـــوامِ سُـــفْلُ
عجبـــتُ لمعـــشرٍ فـــيهمْ كتـــابٌ ... به طرقُ الهدايـــةِ، كيـــف ضـــلّوا
تُبـــاع بلادُهـــمْ، وهُـــمُ عليهـــا ... وأيـــديهمْ بها شُـــحٌّ وبُخْـــلُ
أعـــدَّ لهـــم أعـــاديهمْ ســـلاحاً ... وعـــدَّتْهُم لها خُطَـــبٌ وقـــولُ
فـــأين حدائـــدٌ تزجـــي، ونـــارٌ ... وأيـــن عرمـــرمٌ لَجِـــبٌ وخيْـــلُ
وأين الناس؟ قد صـــاروا لـــسوءٍ ... ولا بـــأسٌ، ولا حَـــوْلٌ وَطَـــوْلُ

إلى القرآن عـودوا يـا حيـارى ففـي طيّاتـه عِبَـرٌ تَـدُلُّ
تَـدُلّ إلى المَحجَّـة، فاتبعوهـا تفكّـروا رِبْقَـةَ العـاني وتَعْلـوا
هو القرآن، لـيس يفيـه قـولٌ جليـلٌ مـن قوافينـا أجَـلُّ.

(1) النص: نقلاً عن مخطوطة بخط الشاعر.

(2) ألقيت هذه القصيدة في مهرجان ختم القرآن في كلية النجاح الوطنية في نابلس.

41. نـــارثـــورة :

يوْمُ مجدٍ فاتَ ما أجـــمَلَ ذِكْـــرَهْ ... فيه لـــو نفطـــنُ آيـــاتٌ وعِبْـــرَهْ
فيـــه أنّ الحـــقَّ بـــانٍ حِـــصْنَهُ ... قوةً، لم يستطع ذو البُطْلِ قَهْـــرَهْ
فيـــه أن الفعـــل أجـــدى للفـــتى ... من كلامٍ ما حمـــدنا قَـــطُّ أمْـــرَهْ
فيـــه أن المـــالَ والأهـــلَ إذا ... لم يجودا ضُحّيَا من أجـــل فِكْـــره
فيـــه إنْ هَـــمَّ فـــتىً، فليقـــتحمْ ... لا يَخَفْ ضَحْضَاحَ ما ينوي وغَمْرَهْ
شـــرْعةٌ علّمَناهـــا المُـــصطفى ... ليتنا نمشي علـــى الـــشرعةِ إثْـــره
فلْيَحـــلَّ الـــسيفُ مـــا عقّـــدَهُ ... غـــادرٌ بيَّـــتَ للأوطـــان غـــدْرَهْ
ليس مثل البطش في الدنيا، فكُـــنْ ... باطشاً يرهبُ أهـــلُ الأرض شَـــرَّهْ
ضُيِّع المـــضْعوفُ، لا ظُفْـــرٌ لـــهُ ... ونجا المضعوفُ لو طَـــوَّل ظُفْـــرَهْ
ودمـــوعُ الـــذلِّ مـــا رقّ لها ... قلبُ ظُلمٍ، إنّ قلبَ الظلم صخْره
قـــوَّةُ المـــرءِ لـــه حُجَّتُـــهُ ... وهي إن يظلمْ تقفْ في الناس غدره
(وأعدّوا...)، لم يقُلْهـــا ربُّـــكم ... عبثاً، فلتحسنوا في الذكر نظـــره
لم تكـــن هجـــرةُ (طـــه) فَـــرَّةً ... إنما كانت علـــى التحقيـــق كَـــرَّه
كانقباض الليـــثِ ينـــوي وثبـــةً ... وانقباضُ الليث في الوثبة سَـــوْره
ورمى في الـــسُّوح أبطـــالاً لهـــم ... فوق ساح الموت، تمراحٌ وخَطْـــرَهْ
وانجلـــى العثْيَـــرُ عـــن هامـــاتهمْ ... كلّلت بالغار مـــن مجـــدٍ وفَخْـــره
نـــصروا الله فلـــم يخـــذلْهُمُ ... بل جزاهمْ ربُّهُمْ فـــوزاً، ونُـــصْره

فمشوا في الناس نوراً وهدى ... وبدوا فوق جبينِ الدهر غُرَّه

ركزوا أرماحَهُمْ فوق العُلا ... وحدا الحادي بِهِمْ عِزّاً وشُهْره

وأتينا نحنُ من بعدهُمُ ... وأضعنا ما جنوا طيْشاً وغِرَّه

يُثْغَرُ السورُ علينا ونرى ... ثم لا نرتقُ بالأفعالِ ثَغْرَهْ

ونرى الماكرَ في أمجادنا ... ثم لا نُفْسدُ للشقوة مكْره

ونرى حَدَّ حمانا ناقصاً ... كلَّ يومٍ شَطْرَةً من بعد شطره

ولنا في كلِّ يومٍ قالةٌ ... فأرونا فعلَةً في العُمْر مَرَّه

لا يصونُ الحَدَّ إلاّ حِدَّةٌ ... ويذيبُ القَيْدَ إلاّ نارُ ثوره

ومذاقُ الموتِ أحلى في الوغى ... من حياةٍ ضَنْكَةٍ في القيد مُرَّهْ

ونفوسُ الخلق أعلاها التي ... إن تعشْ عاشتْ وماتتْ وهي حُرَّه

لا تقولوا ما لنا من قدرةٍ ... إن تُريدوا يَنْخَلِقْ عَزْمٌ وقُدره

إن فيكم لبقايا طيبةٍ ... لم يزلْ في الدّم مجراها وخيْرَهْ

فانهجوا نهجاً قويماً واعملوا ... واعملوا لا تبخسوا مثقالَ ذرَّهْ

ما أضرّ الشعبَ كاليأس، فإنْ ... يئسَ الشعبُ يكون اليأسُ قَبْرَه

هكذا نقضي ولم تبدرْ لنا ... غضبةٌ في حقّنا، أيّةُ بَدْره

ولنا ثأر على الناس وما ... نام من يطلبُ أن يدركَ ثأره

هاجرَ الهادي إلى رُجْعى، فإنْ ... نحنُ هاجرنا، فماذا بعدُ هجره

قد خرجنا أمسِ من أندلسٍ ... ودخلنا بعدُ في نيرانِ حَسْره

وإذا نحن خرجنا في غدٍ ... هل يَحِنُّ الناس للأقصى بِزَوْرَهْ

لا يخافُ الناسُ إلاّ ظالماً ... فاظلموا، كونوا ذوي بأسٍ وجَسْرَه

لـــيس يحمـــي الحـــقَّ إلاّ فَتْكَـــةٌ ويُعيدُ الحـــقَّ فينـــا غـــيرُ قَـــسْرَه

(1) نقلاً عن نسخة بخط يد الشاعر.

(2) ألقيت في جامع النصر بتاريخ 1947/11/14. بمناسبة اتحاد جميع الأحزاب في يوم الهجرة. وتحمـــل القـــصيدة – أصلاً – عنوان (ذكرى الهجرة) ولكن بسبب تشابه هذا العنوان مع قصائد أخرى، فنحن نقترح عنوانين: العنوان الأول هو: (وأعدّوا...)، والعنوان الثاني هو (**نار ثورة**)... وكلاهما مشتق من قصيدة الشاعر.

(3) **ضحضاح**: الماء السطحي. **الخطرة**: الزهوّ.

42. الفَلاح

وتنادوا لفَلاحٍ تَلْبَسوا ... من لُجَيْنِ العِزّ درعاً سابغَهْ
لا تلاغوا كالزعامات، التي ... جعلتْ غاياتِها الدنيا لُغَهْ
وأقيموا حُجَّةَ الإخلاص في ... الفعل، فالأفعال دعوى دامغَهْ
كلُّ أقوالٍ بلا فعلٍ، وإنْ ... تَبْدُ كالبلسم ليست سائغهْ
ظلّت الآمالُ تَثْرى دائماً ... بالتمنّي نافراتٍ زائغَهْ
بين كَلْمٍ وكلامٍ نَسَبٌ ... ولذا نشكو الكلوم البالغَه
وقريبٌ من خُطوب خُطَبٌ ... كلُّها فيض الرزايا النابغه

* * *

فلتكن نذْرتكمْ دنياً لها ... تقتلُ النذرةَ والشرَّ الفضيلهْ
وميولُ الخير فيكم شيمةٌ ... والطباعُ المستطاباتُ أصيلهْ
عزَّت القريةُ هل تغرسُ في ... النفسِ، إلاّ كلَّ أغراسٍ جميلهْ
قَدَّمتْ للوطن الغالي الأضاحي ... كانت لدى الجُلّى نجيله
سبقتْ بالبذل من سابقها ... من رآها في الورى غَيْرَ بذوله
وإذا نادى المنادي أقدمتْ ... ومَشَتْ في الناس للردع دليله
هي سيفٌ فَلَّهُ الضربُ وقدْ ... يشتكي السيفُ من كبْرٍ فلولَهْ
كم بغى الباغون إذلالاً لها ... فأبتْ لم ترضَ أن تحيا ذليله
ورسَتْ كالطَوْدِ ما زَعْزَعَها ... جللُ الخطب، فعاشتْ من قليله

أنتُمُ منها فروعٌ يُنَمِّعٌ ... وقديماً أشبهَ الفرعُ أُصولَهْ
فاطلبوا عيشَ الكرامات ولا ... تتركوا في نيل مرجاكُمْ وسيله
إنّما العاجزُ لا قولَ له ... وأخو الهمّاتِ لا يُعْدَمُ حيله
بورك الرزقُ إذا كانَ ... التُقى معه، لا كان رزقٌ في رذيله
ليس للإنسان إلاّ ما سعى ... وليكُنْ عين التقى ما تستعي لَهْ

* * *

ضاق عنه الحظُّ في قريته ... فانثنى يطلبهُ في المُدُنِ
وأتى يسعى وفيه قُوّةٌ ... تبتني صَرْحَ العُلا إذْ تَبْتَني
ولَيكن مُغتربـاً في سَعْيِه ... فالقُرى والمُدْنُ بعضُ الوطنِ
وله كالطير، حَقٌّ أن يرى ... شادياً عن فَنَنٍ في فننِ
وبلادُ العُرْبِ أوطانٌ له ... من ذُرى (طوروسَ) حتى اليمنِ
حقُّهُ هذا وما مِنْ مِنَّةٍ ... إنه يرفضُ حمل المِنَنِ
روضُهُ هذا، فمن حرَّمَهُ ... وأباحَ المعتدي، الروضَ الجَني
لم يجيءْ مُستَجدياً بل مُعطياً ... فهو من روحٍ ومن عَزْمٍ غني
وإذا غُرُّ الأماني رَجَعَتْ ... طَفِقَتْ تنشد رحْبَ السكنِ

* * *

أيها السامعُ منّي كَلِمي ... لا تَقُلْ للناس إنّي مُغْتَرِبْ
هذه دارك، فاعمُرها ولا ... تَبرمنْ ولتلقَ فيها ما تحبّْ
وخُض الدنيا على أهوالها ... وَاسْعَ في نيْلِ المعالي واضطرِبْ
وإذا صاح بك الداعي إلى ... نصرةِ الأوطانِ يوماً، فاستجبْ

إبقِ أسبابَ الهوى موصولةً ... أبداً لا تَقْطَعَنْ منها السَبَبْ
فهناك القوم، كالقوم هنا ... وإذا شَطَّتْ نواهمْ فاقتربْ
كُنْ رسولَ الأهل للأهل وَخُذْ ... بيد المغلوب منهمْ إنْ غُلِبْ
لا تكن كالبدر رَجَّتْهُ القرى ... للهدى ثم تَوارى واحتجَبْ
جَدِّدِ الذكرى إذا رثَّتْ ولا ... يطمسِ الهجرانُ منها ما كُتِبْ
يسعدُ الإنسانُ في شَقْوته ... بادّكاراتِ التصابي واللعِبْ
وإذا لُقِّيَ حظاً زاده ... من نعيمٍ، ذكرَ أيام النَصَبْ
قد رأيتُ الطيرَ إنْ لاحتْ لهُ ... ذكرياتِ العُشِّ غَنَّى وطَرِبْ
ورأيتُ الشِبْلَ، إن ريعَ الحمى ... وبه شَبَّ تأبَّى وغَضِبْ
وذميمٌ بالفتى نِسْيانُهُ ... مَنْهلاً منه تروّى وشَرِبْ

* * *

أيها السامعُ منّي قالتي ... استمعْ لحنَ القرى عن مقْوَلي
لم تكُ الندوةُ كي تعزلكمْ ... وتعيشوا عيشةً في معزلِ
عن بلادٍ أنتُمُ أجنادُها ... وبكمْ تبلغ حلْوَ الأمل
عن قطيعٍ طامعٍ في عطفكمْ ... معْوزٍ منكم لخير العملِ
بل لكي تدخلكم في مَعْرَكٍ ... خاسرٍ فيه مَهولَ المدخلِ
لم يفكّرْ من بناها عبثاً ... لا ولم يبتنها كي يعتلي
بل رأى الأيام تُرجي للوغى ... بشباب لم يُعدُّوا عُزَّلِ
فيضيعون رخاصاً ما اهتدوا ... للعلا أو تُوّهوا في السُبُلِ
والمنى حلمٌ بعيدٌ، إنْ تَسِرْ ... للمنى غيرَ الطريق الأمثلِ

والـــذي يرنـــو بعينيـــه إلى مَثَـــلٍ فَلْيَـــدْرِ مَـــأتى المثـــلِ
إنّ مـــن يطلـــبُ الحـــقّ ولم يَرتَـــشِدْ يَقْـــضِ، ولَمّـــا يـــصلِ

* * *

لا تَـــكُ النـــدوةُ حزبـــاً هَمُّـــهُ إلاّ دعـــاءات البـــوالي الفارغـــه
مثـــل أحـــزابٍ لنـــا قاصـــرة ســـاقطاتٍ بـــدمانا والغـــه
ذاهبـــاتٍ بقوانـــا بُـــذَّراً عالكـــاتٍ لكـــلامٍ ماضـــغه
أنـــتم الإبريـــزُ طِبْـــتُمْ مَعْـــدناً فاجعلوا النـــدوةَ هـــذي صـــائغه
قَوّمـــوا الأنفـــسَ، فيهـــا عُـــوَّجٌ وأصِـــحُّوا مـــن ميـــولٍ زائغـــه

* * *

هـــذه النـــدوةُ معـــنى إسْمُهـــا في الملّـــات التـــداعي والتنـــادي
لا تكُـــنْ آذانكُـــمْ مغلقـــةً إن يَصِحْ فيكم غداً داعي الجهـــادِ
كلُّ تَـــشكيلٍ بـــلا جـــدوى إذا لم يكن مُـــستَهْدِفاً خـــيرَ الـــبلادِ
نحـــنُ لا يقتلنـــا مثـــل الألى ظهروا فينـــا علـــى هـــام العبـــادِ
ركبوا الـــشعبَ وقـــد أطمعهُـــمْ فتمـــادوا أنـــه سَـــلْسُ القيـــادِ
تَوَّهونا عـــن ســـدادٍ، مَـــنْ فـــتىً منـــهمُ دَلَّ إلى هَـــدْيِ الـــسَدادِ؟
غـــير مـــن أَوْحَـــشَ داراً نأيـــهُ وهُـــوَ الحاضـــرُ في كـــلّ فـــؤادِ
أرجـــع اللهُ لنـــا أيّامَـــهُ وابتلى بـــالقَطْع أســـبابَ البعـــادِ

* * *

هـــذه النـــدوةُ عنـــوانُ القـــرى فاجعلوا عنوانَها خـــيرَ العَمَـــلْ
ولتكنْ مَلْقـــى البطـــولاتِ بكـــمْ ولتكونـــوا كلّكُـــمْ ذاك البطـــلْ

ولتكونـــوا مَـــثَلاً في عِـــزَّة ... عَلَّـــةُ أن يُحتـــذى ذاك المثـــلْ

ينظـــر النـــاسُ إلـــيكمْ أمـــلاً ... لا يُخِبْ مـــنكمْ لملـــهوفٍ أمـــلْ

فاعرفوا الدربَ وسيـــروا إنّـــه ... (كلُّ من سارَ على الدربِ وَصَلْ)

سَـــدَّدَ الله خطـــاكم ووقـــى ... أعمـــالَكُمْ، مَهْـــوى الزَلَـــلْ

---

(1) نقلاً عن مخطوطة بخط مروان راضي الطاهر.

(2) ألقيت في (الندوة القروية في حيفا). ولا يعرف تاريخها.

43. قُمْ بنا:

قُمْ بنا يا أيهذا للرُبى ... حيث ترى العُشْبَ أسرابُ الظبا
قم بنا إنّي تعشّقتُ الدنى ... بعد أن عاودني عهد الصبا
قم بنا من قبل أن تَنْتاشَنا ... عادياتُ الدهر أوْحَدُّ الظبى
لا أخال العمرَ إلاّ لحظةً ... ثم تمضي، حيث تمضي إربا

* * *

فلمن تبسم خودٌ ناهدٌ ... ولمن تُعطي وصالاً طيّبا
ولمن يصدح طيرٌ فارحٌ ... إن نأى من يستسيغُ الطربا
ولمن تعرف أزهار الربى ... ويفوح العطر منها عجبا
ولمن يملأ كأس بالطِلا ... أوَ لسنا من عشقنا الحَبِبا
قم بنا نسرقْ أويقاتِ الصفا ... قد لقينا من دُنانا نَصَبا

* * *

قم بنا من قبل أن يعصفَ بي ... خاطرٌ لابَ لي، إما حبا
قم بنا من قبل أن ينتابني ... هاجسٌ يُوغر نفسي غضبا
فبلادي في أسىً محتدمٍ ... ليتني أدفعُ عنها الكربا
وبلادي في جحيم مُطْبقٍ ... تصطلي النار وتلقى النُوبَا
فمتى يأتيك يومٌ مشرقٌ ... بالأماني وتنال الأَرَبا
قم بنا نلعبْ ونطربْ ساعةً ... فصفاءُ الدهرِ يمشي خَبَبا

---

(1) نقلاً عن مخطوطة بخط يد الشاعر.

(2) ألقيت في (فندق الخديوية بدمشق) أمام جماعة من أصدقائه، وهو يستعد لمعاودة النضال بالعودة إلى فلسطين، وقد روى لي بعض أبياتها أبو يوسف الكافي في بيروت في مارس — آذار/1982.

44. بديع الشعر:

بـــديعُ الـــشعر أروعُـــهُ خيـــالا ... وأقربُـــهْ إلى صِـــدْقٍ مقـــالا
وليس أعزَّ صَـوْغاً مـن قـواف ... معـــانيهنَّ تُفْتَعَـــلُ افتعـــالا
ومن فـضل الجميـل عليـك ألاّ ... تضيقَ بـه لـدى مـدحٍ مجـالا
فمهما قلتَ، قال النـاس: حـقٌ ... وإنّ الحـقَّ أجـدرُ أن يُقـالا
وما الشيخُ الكريمُ سـوى معـينٍ ... لفـضلٍ لـذَّ عـلاًّ وانتـهالا
تـسربلَ بـالتُقى والعلـمِ حـتى ... تهيَّـبَ منـه شـيطانٍ جـلالا
فإنْ إنْ لم يَسْمُ في مدحيه شعري ... فـذلك أنـه معـنىً تعـالى
وحيّـوني بـه فـضلٌ أُطـوي ... بـه وجـهَ الوسـامة، أم خِـلالا
شبابٌ مثل زهـر الروض نَضْرٌ ... وعقلٌ في النُهى اكتـهل اكتـهالا
وقلـبٌ بـين جنبيـه كـبيرٌ ... على الإيمـان يـشتمل اشـتمالا
فلـو مَثَّلـتُ في الـدنيا مثـالاً ... لكـل فـضيلة كـان المثـالا
تجمّعـت القلـوبُ علـى هـواه ... فلـم تُـرد القلـوبُ لـه زوالا
وشـاهدُ حُـبِّ أقـوامٍ لمـرءٍ ... تَـفَـجُّـعُـهـمْ إذا رامَ ارتحالا
ومـا حـبُّ الـورى إلاّ دليـلٌ ... علـى أنَّ الحبيـبَ زكـا فعـالاً
وأنّ الـشيخَ مـن دون القـضاة الثلاثـة صـاحب البـشرى فنـالا
ومن يَشْهَدْ لـه الأقـوام حقّـتْ ... أطـالَ اللهُ مدّتـه أطـالا
أطلّ الـشيخ في نـابلسَ بـدْراً ... تمامـاً لم أقـلْ قمـراً هـلالا
فلا عجبٌ إذا مـا غـاب يومـاً ... لأن البـدر يَطّلِـبُ الكمـالا

فَدراتُــه هنالــك، وهــو فيهــا ... يلوح لنا غداً أبــهــى جــمــالا

وإنّ بــــه لما يُجــــدي بــــلاداً ... وإنّ بِــــهِ لما يَهْــــدي ضــــلالا

نُودّعُــــهُ وفي المرغــــوبِ ألاّ ... نُودعــــه، ولكــــنْ لا مــــلالا

---

(1) صورة عن نسخة بخط الشاعر.

(2) يُعتقد أنها قيلت في: (**الشيخ محمود حنّون**) – أحد علماء نابلس.

45. حوشوا البنات من الشوارع:

حوشوا البنـات مـنَ الـشّوارعْ ... أوْ – حَتِّمـوا لُـبْسَ البَراقـعْ
فَبَنـاتُكُنَّ مَوائـعٌ ... وَشَـبابُكُمْ واللهِ مـايِعْ
تلـكَ الكنافـةُ لا يليـقُ... ... بـأنْ تَمُـرَّ أمـامَ جـائِعْ
حتمـاً يُرَيِّـلُ مـن يَراهـا ... أو يَمُـدُّ لَهـا الأصـابِعْ
إنْ يُكْشَفِ العَسَلُ المُصَفّى... ... فالـذّبابُ عَلَيْـهِ واقـعْ
(يا ليـلُ) مِـنْ لُـبْسِ الحَريـرِ ... يَـشِفُّ عَـنْ عَـدَدِ الأضـالِعْ
(يا عـينُ) مِـنْ هَـزِّ النَّهـودِ... ... وَمَيْلَـةِ الجِيْـدِ المُطـاوِعْ
تَمْـشي الفَتـاةُ فَتَنْـثَني ... كالغُـصْنِ تَثْنيـهِ الزَّوابِـعْ
بَـرَزَتْ لِمَيْـدانِ الغَـرامِ ... ولَمْ تَجِـدْ مِـن ذاكَ مـانِعْ
إنْ لَـمْ يَكُـنْ مَعَهـا الحُسامُ ... فَطَرْفُهـا الماضـي مُـضارِعْ
أوْ لَـمْ تُـصارِعْ باليَـدَيْنِ ... فَـخَصْـرُها في الـهَـزِّ بارِعْ
مـا بَـيْنَ مُعْتَـرَكِ المحـاجِرِ ... والقُلـوبِ لنـا مَـصارِعْ
يـا قَـوْمُ وَيْحَكُـمُ – كَفـى ... مـا في الـبلادِ مِـنَ الفَظـائِعْ
تلـكَ الكَواكِـبُ لا يجـوزُ ... بـانْ تَـبينَ عَـنِ المَطـالِعْ
مَـشْيُ البَنـاتِ علـى الطّريـقِ ... يَزيـدُنا فيهـا مَطـامِعْ
ويَزيـدُهُنَّ مَطامعـاً ... فينـا، وهـذا الأمْـرُ واقـعْ
وَلَرُبَّمـا غَلَـبَ الغَـرامُ... ... علـى العَفـافِ فبـاتَ ضـائِعْ

يـــا بِنْـــتُ فَلْتَـــتَحَجَّبي كَـــمْ في حِجابِـــكِ مِـــنْ مَنـــافِعْ
لا تَتْرُكـــي سِـــفْرَ الجَمـــالِ لكُـــلِّ ذي عَـــيْنٍ يُطـــالِعْ
عَـــرْضُ البَـــضائِعِ في الأنـــامِ مُـــسَبِّبٌ رُخْـــصَ البَـــضائِعْ
وَالحُـــسْنُ خَيْـــرُ بِـــضاعَةٍ فَلْتَحْفَظيـــهِ مِـــن الـــشَّوارِعْ

---

(1) نقلاً عن طبعة مركز إحياء التراث – الطيبة، المثلث – 1985: من قصائده المبكـرة، نظمهـا في 24/كـانون الثاني/1931، وكان طالباً في (كلية النجاح) في نابلس، في سنة تخرُّجه.

(2) **مضارع**: مشابه، ويقصد مضارع للحسام، ولابدّ من الإشارة إلى التورية في كلمة (مضارع) في وقوعهـا بعـد الماضي، مما جعل في الماضي أيضاً تورية.

46. قطر الندى!!

وَوَجْنَتاكِ ورودُ الــروضِ بَلَّلــها ... قطرُ الندى من لَماكِ العذْبِ، فانفتَحتْ

لهفي على قُبلةٍ أُطفــي بها ظمــأي ... ما ضَرَّ فاطمةٌ، لو أنَّها مَنَحــتْ!!

(1) نقلاً عن مخطوطة لعلي فارس (مخيم برج البراجنة، بيروت).

(2) قيلت بمناسبة زيارة (**فاطمة رشدي، الممثلة المصرية**) لنابلس، عام 1930.

47. نجوى المُحتَضَرَة:

دنا المـوتُ منّـي (أبـا جَعْفَـرٍ) وغاضَ الجمـالُ، وزاغَ الـبَـصَرْ
سأقضي غداً، فـالوداعَ الـوداعَ وداعَ الفـراقِ، وداعَ العُمُـرْ
وأعـبرُ بـرزخَ هـذي الحيـاةِ وكلُّ عنـاءٍ لـهُ مُـسْـتَـقَـرّْ

* * *

لَـكَ اللهُ! سَـعَّرتَ نـار الهـوى بقلـبي وجانبـتَ حـين استعرْ
فكنتُ أنادي: الحريـقَ الحريـقَ وناديتَ: يـا نـارُ كـوني أحَـرْ
وما كنتَ تعطفُ عطفَ العـشيقِ وتحنـو حُنُـوَّ الحبيـب الأبَـرّْ
تعذبتُ في الحب مَـنْ في الهـوى تَذَوَّقَ ما ذُقْتُ؟ مَـنْ في البـشر؟
أهنتُ عزيزي وأسـلمتُ نفـسي إليـك لتَرْضـى، ألا تَـذَّكِرْ
وخالفتُ أهلي وعادَيْـتُـهُـمْ وهُمْ مثلما قـد عَلِمْـتَ الغُيُـرْ
وحاذرتُ منك النوى والـصُّدودَ ولم يُغْنِ عـني، شـديدُ الحَـذَرْ
وها أنتَ قـد بِنْـتَ واحـسرتاهُ وغـادرتَني لعـذارى أُخَـرْ
ولم يبقَ منكَ سـوى ذكريـاتٍ ولم يَبـقَ لي منـكَ إلاّ صُـوَرْ
فها أنت في الدير تشكو الهـوى ومـن ألم البُعْـدِ لا تَخْتَـصِرْ
وها أنت تبكـي بكـاءَ الرضـيعِ فـأمتصُّ مـن مقلتيـكَ العِبَـرْ
وأرمي بنفسي علـى سـاعديكَ فَتَرْفُـقَ بالخـصْرِ لا ينكَـسرْ
تدغـدغُ نَهْـدَيَّ يـا للغـرامِ ويـا للزمـان تقـضَّى وَمَـرّْ

وهـا أنـذا في فـراش المَمـات ... أتسمعُ نجـوى الـتي تُحْتَـضَرْ؟
يقولـون بي خَفَقـانُ الفـؤادِ ... وقـد كَـذَبَ القـائلونَ الخَبَـرْ
بِعيْني رأيتُ فـؤادي الكـسيـرَ ... من الصدرِ خَفَّ إذا طِـرْتَ فَـرّْ
فأتبعتُـهُ زفـرات الحـزينِ ... وشَـيَّعْتُهُ بـدموعي الهُمُـرْ
يـرفِ حواليـكَ، رفَّ الأقـاحِ ... ويحميكَ مـن كـلِّ عـادٍ وَشَـرّْ
عجبتُ لقلـبي يـصونُ العهـودَ ... ويُوفي العهـودَ لمـن قـدْ غَـدَرْ
فليتـكَ يـا قلـبُ لما عَلِقْـتَ ... بـه صَـرَعَتْكَ أيـادي القـدرْ
لقد قُدْتَـنـي لسبـيلِ العِـثـارِ ... ومَنْ كان هاديـهِ أعمـى، عَثَـرْ

* * *

لِـمَ الـذُلُّ يـا ربـةَ الكبريـاءِ ... لإذلالكِ النفسَ إحـدى الكُبَـرْ
ستقـضين عمـا قريـبٍ فمـا ... يَهُمُّكِ من هَجْرِ مـن قَـدْ هَجَـرْ
تناسـيهِ لا يزدهيـه الغـرورُ ... فيـشْمَتَ قلـبٌ لـه كـالحجرْ
أموت وهْوى من الغيـد غـيري ... وهذا منَ المـوتِ عنـدي أَمَـرّْ
أَبعدي هَونُ على مـن تُحِـبُّ!!؟ ... لِـيَ اللهُ! غـائرةً تـسـتـعرْ
وَدِدْتُ لـو أنـكَ بـين اليـديْنِ ... أَضُـمُّكَ للـصدرِ ضَـمّاً عَـسِرْ
وألتـفُ لـفَّ الأفـاعي عليـكَ ... وأنظـرُ سُـمِّيَ فيـكَ انتـشرْ
ويجمَعُنـا مَيِّتـيْنِ الـسريرُ ... ويـا طالمـا جَمَعَتْنـا الـسُّرُرْ
وتقضي ويقـضين حزنـاً عليـكَ ... ولم يقض منكَ سـوايَ الـوَطَرْ
ولكن لماذا؟، بَـلِ أبْـقَ إبْـرَهيمُ ... وخُذْ في هوى الغيد بعـدي وَذَرْ
سأصـبر بـاقيَ هـذي الحيـاةِ ... وأيُّ الأحبـةِ مثلـي صَـبَرْ

ولكنْ تعالَ وقِفْ فــوقَ رأســي وَقــبِّــلْ مَعينَ اللَّمــى والخَــوَرْ
وبلِّــلْ مُــصَوَّحَ وردِ الخــدودِ بمــدمعكَ الــساجمِ المُنــهَمِرْ
أموتُ (أبــا جعفــرٍ)، فــالوداعَ وداعَ الفــراقِ، فــراقَ العُمُــرْ

(1) مجلة (الأمالي)، السنة الأولى، العدد11، عام 1938.

(2) **المحتضرة**: يقصد **(ماري الصفوري)** حبيبة الشاعر إبراهيم طوقان. و **(أبا جعفر)**: إبراهيم طوقان.

48. بيني وبين قلبي:

قلتُ لقلبي إنّها (كافرهْ) تعبدُ يا قلبُ صليبَ المسيحْ
في حَمْأة من شَرِّها سادرهْ تُطيعُ من ضَلَّ، وتعصي النصيحْ
وقلبُها كالريشةِ الحائرهْ تنأى على ريحٍ، وتدنو بريحْ
تبيعُ للسانح كالتاجرهْ وتنثني تطلبُ بيعَ البَريحْ
فقال هذي حجةٌ قاصرهْ ليس بها يُشفى المُعنَّى الجريحْ
بل هي عِنْدي زهرةٌ ناضرهْ وكلُّ ما فيها جميلٌ مُريحْ
لم يهْتدِ القلبُ ولم يسْمَعِ

قلتُ: ولكنْ زهرةٌ شمَّها قَبْلَكَ يا قلبُ، كثيرُ العَدَدْ
يا ربَّ ذي وَجْدٍ لَقَدْ ضمَّها فارتاحَ بالضَمَّة مما وَجَدْ
أوْلَتْ له في صبوةٍ جسمَها ونَوَّلتْ ما لم يُنوَّلْ أحَدْ
حتى إذا ما أفرغتْ سُمَّها تَتْرُكُهُ يشقى شقاءَ الأبدْ
شيطانةٌ قد شابهتْ أُمَّها يا بئستِ الأمّ، وبئسَ الولَدْ
قال، وإن هَوَّلتَ لي ذَمَّها (حَسَنٌ في كلّ عينٍ ما تَوَدّْ)
لم يَهْتَدِ القلبُ ولَمْ يسمعِ

---

(1) (حَسَنٌ في كل عين ما تودْ): عجز بيت لعمر بن أبي ربيعة.

(2) مجلة الأمالي، السنة الأولى، العدد8، بيروت، عام 1938.

49. يا ليتني:

قد قلتُ لما أن رأيــت صــليبَها ذَهَباً تدلّى فــوقَ صــفحةِ عــاجِ
يا ليتني كنــتُ المــسيحَ لــساعةٍ مُتعلّقــاً في صــدرها الوَهّــاجِ
لم أخش قطفَهُما وحــقِّ عيونهــا رُمّــانتينِ، ولــو بغــيرِ نِــضاجِ

50. سلمى ارحميني:

(سـلمى) ارحمـيني وارفقـي ... فأنـا القتيـلُ... دَخيـلُ ربّـكْ
لم أدرِ قَبْلَـكِ مـا البُكـا ... ءُ، ومـا التَـذلُّلُ، قبـلَ حُبّـكْ
فَفَـتى الحُـروبِ كمـا عَلِمْـتِ ... أنـا، ولكـنْ لـيس حَرْبـكْ
بي للعـداةِ مـصارعٌ ... ومـصارعي غَمْـزاتُ هُـدْبِكْ
سـلمى أُسـرتُ، فأَحْـسني ... وأري الأسـيرَ حنـانَ قلبـكْ

---

(1) النص: نقلاً عن مخطوطة لعلي فارس (مخيم برج البراجنة – بيروت) 1982.

(2) تروى (ليلى) بدلاً من (سلمى) في بعض الروايات. كما يستبدل البعض (دخيل ربّك) وهو تعبير شعبي، بتعبير (بحق ربك)، وقد فضلنا التعبير الشعبي لما له من حيوية.

51. راح الذي بيننا :

روحي فقد راح الذي بيننا ... كالبارحِ السّالفِ، ما إنْ يعودْ
روحي ولا تأسيْ على حالتي ... وانسَيْ مواثيقي وخوني العهودْ
لا تحملي من ذكْرِ عَهْدِ الهوى ... إن الهوى صعبٌ وحِمْلٌ يؤودْ

روحي فقد راح الذي بيننا

دمعي الذي أذللت، كَفكَفْتُهُ ... أوّاه كم أذلَلْتِ لي من دموعْ
وجرحُ هذا القلبِ، لملمتُهُ ... وأُطفِئَ المُحْرَقُ بين الضلوعْ
وعقليَ الهائمُ، أرجعتُهُ ... ولم أكنْ آملُ منهُ الرجوعْ

روحي فقد راح الذي بيننا

روحي فما الإشراكُ من مذهبي ... ولستُ أرضى في حبيبي الشَّريكْ
أنا أنانيٌّ، ولم أرْضَ أنْ ... أرَى على قلبكِ غيري مَليكْ
أبوكِ لو أوْليتهِ نظرةً ... كَرهتُ دنيايَ ودنيا أبيكْ

روحي فقد راح الذي بيننا

خَلَعْتُ من قلبي نباتَ الهوى ... وتحت أقدامي، لقَدْ دُسْتُهْ
وخفتُ من قلبي ضلالَ الهدى ... ورجعةَ الماضي، فَحَطَّمْتُهْ
إن عاد قلبي للّذي قد مضى ... أتيتُ بالنار وأحرقْتُهُ

روحي فقد راح الذي بيننا

إذا تلاقينا فلا تنظّري ... أرى وميضَ الغَدْر في ناظريْكْ

ولا تُـــــشيري ولا تُـــــومئي وَدِدْتُ لو تُقطـــع كلتـــا يـــديكْ
روحي فقـــد راح الـــذي بيننـــا ولعنـــةُ الحـــبِّ، وقلـــبي عليـــكْ

روحـــي فقـــد راح الـــذي بيننـــا

روحي – شبابي – أنـــت أَيْأَسْـــتِه من أمـــلٍ زاكٍ، رجـــاهُ الـــشبابْ
لا تذكري الماضـــيَ مـــاذا بـــه؟ هلْ ذقتُ في حُبِّيكِ إلاّ العـــذابْ
كِتـــابُ ماضـــيكِ أســـىً كلُّـــهُ لا تقرأي فيه، بَلِ اطْوي الكِتـــابْ

روحـــي فقـــد راح الـــذي بيننـــا

---

(1) مجلة (الأمالي)، السنة الأولى، العدد 3، عام 1938.

(2) كما قمت بمراجعتها أيضاً على:

أ. مخطوطة بخط يد الشاعر. ب. نسخة منـشورة في مجلـة (المنتـدى)، العـدد 49، المجلـد (1) بتـاريخ 1947/1/10م.

– وقد كتبتْ **مقدمة نثرية** من الشاعر تقول: (أحببتها وأخلصت وغدرت ثم عادتْ تسترجعني بعد أن عذبتني فهل أعود؟. لا)، **ومقدمة أخرى من (الناشر)** – تقول: (أبـــى علينا الشاعر نشر صورته لئلا يتورط في غزل آخر) كما قالت (المنتدى) كذلك: نشرت صورة شخصية لفتاة جميلة إلى جانب القصيدة دون ذكر اسمها. ويؤكد لي الـــسيد مروان الطاهر أن صاحبة الصورة هي (سلمى) التي كتب عبد الرحيم محمود لها كل أشعاره الغزلية.

52. نون النسوة:

يـــا نـــونُ يـــا حـــزينُ ... أهكـــــذا تَهـــــونُ

يَعْلـــــو عليـــــكَ (واوٌ) ... وأنـــــتَ مِنْـــــهُ دُونُ

ذو علّـــــــــــــــةٍ وَداءٍ ... دواؤُهُ الـــــــــسُّكونُ

مـــــا ثـــــورةُ الغـــــوانِي ... عليـــكَ قُـــلْ يـــا نـــونُ

هـــل شـــابَ منـــكَ شَـــعْرٌ ... مَـــــشيبُهُ يَـــــشينُ

أو خـــانَ منـــكَ مـــالاً ... زمانُـــــكَ الخَـــــؤُونُ

فَـــدُكَّ فيـــك عـــرْشٌ ... مُوَطَّـــــدٌ مَكـــــينُ

ولم يُـــصَـــنْ جـمـيـــلٌ ... وقَـــلٌّ مـــن يَـــصُونُ

أيـــامَ كنـــتَ قَوْســـاً ... تُحْمـــــى بها العيـــــونُ

ورُقْيَـــــةً، محفـــــوظٌ ... بِـسـرِّهـــا الـجـبـيـــنُ

ونقطـــــةَ الأمـــــانِي ... تزهـــــى بها الـــــذقونُ

هـــل خُنـــتَ قُـــدْسَ عَهْـــدٍ ... لا عـــاشَ مـــن يخـــونُ

فـــذاع سِـــرٌّ خـــافٍ ... أنـــتَ بـــه ضَـــنينُ

ظَـــنَنَّ فيـــكَ عيْبـــاً ... تُعـــانُ، لا تُعـــينُ

إنّ لهـــنَّ كوْنـــاً ... قوامُـــهُ الظنـــونُ

إن الظنـــونَ كانـــتْ ... أكثرُهـــا ميـــونُ

* * *

كُنْتَ لهُنَّ زيراً ... عَنْهُنَّ لا تَبينُ

فَشِمْنَ فيك ثِقْلاً ... وغُمَّةً تَرينُ

وطَبْعُهُنَّ فاعلمْ ... تَغَيُّرٌ عجينُ

تقلُّبٌ وقَلْبٌ ... في رأيهِنَّ دينُ

فما يزينُ يوماً ... في الغَدِ لا يَزينُ

وما عرفن رَوْماً ... مذمم مهينُ

كم مِلْنَ نحو قاسٍ ... وَعِفْنَ مَنْ يَلينُ

وكم وصلن عَيّْاً ... وضاعَ من يُبينُ

وكم حَرَمْنَ حقّاً ... قلباً به قَمينُ

يا نونُ أنتَ أدرى ... منّيَ ما الدَّفينُ

فإنْ تَشأْ تَماسَكْ ... لا تُرْدِكَ الشُجونُ

قبلكَ ناسٌ صُدُّوا ... وعُذّبوا وعونوا

من لم يُصبْهُ منا ... من أمرهن هونُ؟

وظُلمُهُنَّ حلوٌ ... لو أنه الوزينُ

فعش بذكرياتٍ ... حتى يحينَ حينُ

* * *

يا نونُ في (عَطَفْنَ) ... ماذا حواهُ النونُ

كأنّهُ خِضَمٌّ ... النُّقطةُ السَفينُ

تحمل وحيَ شِعْرٍ ... فاضتْ به الفُنونُ

نايٌ له حنينُ ... يا حبَّذا الحنينُ

والـــــــواو في (تفـــــــائَوْا) قـــــد مَـــــسَّهُ جنـــــونُ
لـــــــه دويُّ رعـــــــد مُـــــــبَغَّضٌ خـــــــشينُ
وقـــــام فيـــــه رمـــــحٌ قلـــــبي بـــــه طَعـــــينُ
والمـــــيمُ في (قـــــسوتُمْ) بِـــــشَـــــرِّهِ أذيـــــنُ
لا ميمـــــتَ الغـــــواني ولا العيـــــون العـــــينُ
فإنهـــــا لـــــشعري وللـــــهوى مَعـــــينُ

* * *

أحـــــسنُ ممـــــا كـــــانَ يـــــا نـــــاسُ لا يكـــــونُ
تـــستـــبدلـــون غَـــثّـــاً بـــمـــا هـــو الـــسَّـــمـــينُ

---

(1) نقلاً عن مخطوطة بخط يد الشاعر.

(2) قالها بمناسبة انعقاد (**المؤتمر النسوي العربي الثاني في القاهرة، ديسمبر عام 1944**)، **برئاسة هـدى شـعراوي**. ويحتمل أن تكون القصيدة قد نشرت في اليوم الأول من مطلع عام 1945 في جريدة (فلسطين). أما مروان الطاهر في رسالته لي، فيقول: جاء في مقدمة القصيدة لدى نشرها في جريدة فلسطين، المقدمة النثرية التالية: (**قرر المـؤتمر النسوي في القاهرة (حذف نون النسوة) مساواةً بالرجل**).

53. مخلوقةٌ أنتِ فلا تكبري:

خالَـــتْـــنِيَ الـــميِّتَ في صَـــدِّها ... والعائشَ الـــدهرَ، مُعَنَّـــىً عليـــلْ
قالتْ: قتيلي أنتَ، قلتُ اعلمـــي ... أنْ قد صَحا الساهي وحيَّ القتيـــلْ
ملْـــتِ إلى غـــيري وإني امـــرؤٌ ... إنْ مالتْ الـــروحُ، فعنـــها أَميـــلْ
قالتْ: فسحري لم يـــزل فـــاعلاً ... قلـــتُ: فهـــاتي لي عليْـــهِ دليـــلْ
مخلوقـــةٌ أنـــتِ فـــلا تَكْبَـــري ... مِثْلُكِ بـــين النـــاس أَلْفـــا مَثيـــلْ

- مخلوقةٌ أنتِ فـــلا تكـــبري -

- مخلوقةٌ أنتِ فـــلا تكـــبري -

قالـــتْ إذا رحـــتُ فـــلا عـــودَةٌ ... إمّا تـــشكَّيْتَ النَّـــوى والـــصُّدودْ
قلتُ: ومن يَخْلُـــصُ مـــن قيـــدِه ... أينـــثني يطلـــبُ ذُلَّ القيـــودْ؟
نجوتُ مـــن نـــارٍ، فـــلا تحـــسبي ... أنّي إلى النارِ - حيـــاتي - أعـــودْ
قالتْ: أَتَنْسى قلتُ لـــمْ لا وَقَـــدْ ... نسيتِ ميثاقي وخُنـــتِ العُهـــودْ؟
غـــداً أرى غـــيرَكِ لي وافيـــاً ... وأُبْـــدِلُ الحـــبَّ بِحُـــبٍ جديـــدْ

- مخلوقةٌ أنتِ فـــلا تكـــبري -

أَخْلَـــصْتُكِ الـــوُدَّ وجـــازيتني ... بالغَدْرِ مـــا أظلـــمَ هـــذا الجـــزاءْ
وإذْ بـــأحلامي الـــتي شِـــدْتُها ... تنهارُ من فـــوقي وتغـــدو هَبـــاءْ
لكـــنْ ســـأبنيها فـــلا تَـــشْمَتي!! ... نَعَـــمْ ســـأبنيها وأُعلـــي البنـــاءْ

مثلي كما قُلْتِ رجالٌ ولا يدركهم حَصْرٌ... كذاك النِّساءْ
سأنتقي من بينهن التي أهوى فأُوليها شديدَ الوفاءْ
- مخلوقةٌ أنتِ فلا تكبري -
قالتْ: ألا لا تَقْطَعَنْ حَبْلَنا فَتُحرِقَ الروحَ بنارِ النَّدَمْ
قلتُ: دعي هذا، فإنّي غداً أنسى بأحضانِ سواكِ الألم
قالتْ: وإنْ عدتَ لنا صاغراً من بعدها - قلتُ: فهذا قَسَمْ!!
قالتْ: وتهوى بَعْدَنا غيرَنا قلتُ: نعم أهوى، وأهوى... نَعَمْ
فَطَمْتُ قلبي عن هواكِ الذي أرضَعْتِهِ قِدْماً وعنهُ انْفَطَمْ
مخلوقةٌ أنتِ فلا تَكْبَري

(1) مجلة (الأمالي)، السنة الأولى، العدد 6، عام 1938.

(2) نقلاً عن مخطوطة بخط يد الشاعر.

(3) البيت الأول (العجز): سأنفق العمر مُعَنًّىً عليل... في (المخطوطة).

54. جيش الحبائب:

حيِّ الظباءَ الباديات كَواكبا ... المورثاتِ العاشقينَ مصائبا
المحرقاتِ بنارهنَّ قلوبَنا ... والآخذاتِ من اللّحاظِ قواضبا
والسارقاتِ من الرياضِ لِداتِها ... وَرُضابَها وشذا الورودِ السّاكبا

* * *

أقبلنَ أسراباً كأسراب المها ... مُتقسّماتٍ للقتال كَتائبا
أَعْددنَ للحربِ العَوانَ ضفائرَ الشـ ... ـعرِ الجثيلِ لقيدنا، وذوائبا
وَتَخِذْنَ في حربِ الرجالِ سلاحَهُـ ... ـنَّ: خداجاً، وروادفاً، وحوّاجبا

* * *

لُبْسُ الرجالِ من الحديدِ ولُبْسُهُنَّ من الحريرِ جَلابيبا
ومن الغريب إذا رَمَيْنَ أصَبْنَنا ... وإذا رمَيْنا كان سَهْماً خائبا
رَجَزَ الفوارسُ في الحروب قصائداً ... ورَجَزْنَ مِ الغُنْجِ المُذيبِ عَجائبا

* * *

اللهُ أكبرُ قد قَسَمْنَ صفوفَهُـ ... ـنَّ: طوالعاً، وأواسطاً، وجوانبا
ورَسَمْنَ خطّةَ كَرّهنَّ، وما فَطِـ ... ـنَّ لِفرّهنَّ، وما حَذِرْنَ عواقبا
اللهُ ها سُمُرُ القنا مالتْ وأضـ ... ـحى القلبُ في تَقْبيلهنَّ الراغبا
ومددتُ عُنْقي للقواضبِ كيْ تَحُـ ... ـزَّ، ولستُ منها خائفاً أو راهبا
وفتحتُ في الهيجاء قلبي للّوا ... حظِ، مُطْلقاتٍ فيه سهْماً صائبا

* * *

رُحْماكَ يا جيشَ الحبائبِ، قد رفعـ ـتُ الرايةَ البيضا، وجئتُكَ تائبـا
لم تنظر العينان جُنْداً مثل جُنْـ ـدِكَ، من رأى جُنْداً: مها وكواعبـا
أوّاهُ لوْ لي، مثل جيشِكَ، كنتُ أفـ ـتتحُ البلاد: مـشارقاً ومغاربـا

(1) مجلة (الأمالي)، السنة الأولى، العدد 9، عام 1938.

(2) **قواضب**: سيوف. **لداة الرياض**: زهورها. **الجثيل**: الكثير المُلتفّ. **خدالج**: مُمتلئة الساقين.

55. كبرياء الحب:

اسمعي يا من لقد خُنْتِ الهوى ... ونسيتِ أو تَناسيتِ الوِدادا
إنَّ قلباً بالجوى أحرقْتِهِ ... سوف أذروهُ بعينيكِ رمادا
وخضوعاً كان بي فيما مضى ... سيصير الآن كِبْراً وعنادا
وإذا حنَّ فؤادي للُقىً ... فسأجتَثُّ من الصدرِ الفؤادا

* * *

إسمعي لا تذكري الماضي فلا ... رجعَ الماضي، ولا البارحُ عادا
ودعي لا تقرئي في صَفْحَةٍ ... قد جعلنا أبيضَ الماضي سوادا
لا (الأزاهيرُ) تبسّمْنَ لنا ... وتشادَيْنَ، ولا المَيّادُ مادا
وطيورُ الروضِ لا غنَّتْ ولا ... سَتَرَ الليلُ علينا حين سادا
لا تعانَقْنا غراماً مرَّةً ... تراشفنا من الريق الشُّهادا

* * *

أغْضُضي أو صَعِّري خَدَّكِ لي ... وخُذي غيريَ عُشَّاقاً جِدادا
واهجريني وابعدي عني فلا ... أرهبُ الهَجْرَ ولا أخشى البُعادا
وتناسَيْ كيف شِدْنا عُشَّنا ... قد هَدَمْنا ما بنى الحبُ وشادا
وسأنساكِ ولا أتركُ في ... ذكرياتي، لكِ ذِكْراً مُسْتَعادا.

* * *

---

(1) مجلة (الأمالي)، السنة الأولى، العدد 10، بيروت، عام 1938.

56. إلـــيـــهـــا:

دعيني فَقَدْ أيقظتِ بي كامنَ الأسى ... وهيّجتِ جرْحَ الحُبِّ في قلبيَ الدامي

غدرتِ وجئتِ الآنَ تَـــسْتغفرينَني ... لنقْضكِ عهدَ الحبِّ من بعد إبـــرامِ

دعيني فلا قلبي عليـــكِ بعـــاطفٍ ... حناناً ولا دمعي لدى فُرْقةٍ هـــامي

لقد ضلَّ عقلي فيكِ حيناً، وها أنا ... عرفتُ سبيلَ الحبِّ من بعد هُيامي

رَبيتِ على روحي نَعَمْ وعلى دمي ... ولكنْ. سُدىً ضاعتْ بحُبّيكِ أيامي

فياليتَني من قَبْلُ صَـــدَّقْتُ عُـــذّلي ... وطاوعتُ في بَدْءِ المَلامَـــةِ لُـــوّامي

بنيتُ وأعليـــتُ الأمـــانيَ ضَـــلّةً ... فَهدَّمْتِ لي بالغدرِ شامخَ أحلامـــي

طمستُ على قلبي، فلا اسمُكِ فَوْقَهُ ... نَقيشٌ ولا زهرُ الهوى فَوْقَـــهُ نـــامِ

وقلبكِ هذا يـــا لقلبـــكِ غـــادراً ... سأسحقُهُ – ثأراً لقلبي – بأقـــدامي

فذُوقي الذي قد ذُقْتُ، أنتِ ظَلَمْتِني ... بحُبّي وآمـــالي، ولـــستُ بِظـــلاّمِ.

---

(1) نشرت في جريدة (فلسطين) – 18/أيلول/1935.

(2) النص: (نقلاً عن مخطوطة) لعلي فارس (مخيم برج البراجنة، بيروت).

57. السكر شغلي:

قـــالوا ســـيقتلُكّ الغـــرا ... مُ، فقلـــتُ مـــالَكُمُو وقَتْلـــي
إنْ كنـــتُ أرضـــى المـــوتَ في ... حُبّـــي، دعـــوا لـــوْمي وعَـــذْلي
قـــالوا ألا تـــصحو لنفـــ ... ـــسكَ، قلتُ: إن السُكْرَ شُـــغْلي
نـــشوانُ مـــن ريـــق الحبيـــ ... ـــبِ، وســـحرِ أَلحـــاظٍ ودَلّ
قـــالوا أترضـــى بالـــصُدودِ ... أجبـــتُ: أرضـــى بالأقـــلِّ
هُـــمْ يـــا حبـــيبي يبتغـــو ... نَ، فراقَنـــا، تفـــديكَ أهلـــي
لقـــد اعتـــصمتُ بحبـــل حبِّـــ ... ـــكَ، فاعتـــصمْ حُبّـــاً بحَبْلـــي

(1) نشرت في الطبعات السابقة. وقمتُ بمقارنتها بنسخة أحمد قريع، حيث أضاف (البيت الخامس).

58. لعبة:

لعبةٌ تُهدى لِلعَبَة ... من فتىً يكتمُ حُبَّهْ
أنتِ لو ترضينَ شيئاً ... غيرَها أعطاكِ قلْبَهْ
فاذكريه، فهو قد أشـ ... ـغلَ في ذكراكِ لُبَّهْ
قابِلي الحُسنى بعطفٍ ... هكذا تقضي المحبَّهْ
ربّما ساءكِ ما قلتُ ... فجاوبتِ بغَضْبَهْ
إن تشائي، فهو صِدْقٌ ... أو تشائي، فهو كِذْبَهْ

(1) مجلة (الأمالي)، السنة الأولى، العدد 1، عام 1938.

59. يا لائمي في الحب:

قــد ســوَّدوا العــالَمَ في وجهــهِ ... وارحْمَتــا للعاشــقِ المُــستهامْ

مُقَطَّــعُ القلــبِ، إذا لَمَّــهُ ... عادوا فَخَلّــوهُ كــسيراً، حُطــامْ

لم يتركــوا المــسكينَ في هَمِّــهِ ... بل حَمَّلوهُ كــلَّ عِــبْءِ المُــلامْ

يا لائمي في الحبِّ دعــني، فقــد ... يــزداد بالحــب ســعيرُ الغــرامْ

تريــدُ أن تُطْفــئَ نــارَ الجــوى ... فَتُغْرِقَ الصبَّ، الدموعُ الــسِجامْ

(سلْمى)، لقد تُهْتُ فهذي يــدي ... (سلْمى) – فقوديني عَبْرَ الظــلامْ

أنتِ بصيصُ النــورِ في نــاظري ... والخــافقُ الثــائرُ بــين العظــامْ

---

(1) **سلمى**: ممرضة كانت تعمل في مستشفى نابلس. ويقال إن كل قصائد الحب كُتبتْ من أجلها.

60. يا حياتي:

أنظـــري لي واجعلـــي العَطْـــ ـــــفَ يَـــسِلْ مـــن نَظَراتِـــكْ
واغمـــــزيني، فلقـــــد طـــا ـــلَ انتظـــــاري غَمَزاتـــــكْ
وابـــــسمي لي يـــــا حيـــــا ـــتي، فالـمُـنـى في بَسَماتِـكْ
ودعـــي صَـــدِّي، فمـــا كالـــصَّأ ـــــدِّ بالعـــــشّاق، فاتـــكْ
لا تَناسَـــــيني، فأُنْـــــسى بالـــــهوى مـــن ذكرياتِـــكْ

* * *

افرضـــيني آدمـــاً، أخطـــأْ ـــتُ، لكنّـــــي أتـــــوبُ
قـــــد تعَـــــذَّبْتُ فَأَيّـــــا ـــنَ لفـــــــردوسٍ أؤوبُ
أوَ ترضـــــيْنَ لقلـــــبي يَتَقَلّـــــى ويَلـــــوبُ
وشـــــبابي بِهُيـــــامي فيـــكِ يَـــذْوي ويـــذوبُ

* * *

أنظـــــري لي واتـــــركيني أجَتْلـــي ســـرَّ الفُتـــونِ
يـــا لعينيـــك ويـــالي بـــهـمـــا جُـــنَّ جنونـــي
فيهمـــا مـــالَمْ يكُـــنْ (هـــارو ـــتُ) يـــدري مـــن فُنـــونِ
انظـــري لي، واغـــرزي الأهْـــدا ـــبَ في قـــلـبـــي الطّـعـيـنِ
اذبحـــــيني بلحـــــاظٍ وادفـــنـيـنـي في الـجفـونِ

---

(1) هاروت: اسم ساحر، يُنسَب إلى بابل. أَجْتلي: أحدّق.

61. يـــا غـــزالاً:

يا غـــزالاً صـــدَّني مـــا أَجْمَلَـــكْ ... مُبْدِعُ الأكـــوانِ، رَبّـــيَ عَـــدَّلَكْ

فيكَ معـــنى كـــلّ حُـــسْنٍ رائـــعٍ ... عَرَفَ الجنّـــةَ مـــن قـــدْ قَبَّلَـــكْ

هـــذه الـــريمُ فَـــسَلْها هـــل لها ... مُقَـــلٌ حـــوراءٌ تحكـــي مُقَلَـــكْ

هي مـــن جِنْـــسِكَ، طبعـــاً إنّمـــا ... كُحْلُها لـــيس يـــضاهي كَحَلَـــكْ

---

(1) مجلة (الأمالي)، السنة الأولى، العدد 7، عام 1938.

62. يـــا مـــلاكـــي:

يا ملاكـــي كلّمـــا جـــنَّ الظـــلامْ ومشت أجنادُهُ فوق الحطام/ من نهارِ
اجعلـــيني بعـــضَ أحـــلام المنـــامْ واذكري عهد أويقات الغرام/ القِصارِ

هي خيرٌ في الهـــوى مـــن ألـــف عـــامْ
يا عَلّيْهـــا – مـــا أحيلاهـــا – الـــسلامْ
يـــا ملاكـــي هـــل لها مـــن عـــودةٍ
وإلى جَنَّاهـــــا مـــــن رجعـــــةٍ
نتـــــساقى كـــــلَّ كـــــأس حلـــــوةٍ
أين فيها شربُ كاسات المدام/ يا ملاكي

يا ملاكـــي عنـــدما تبـــدو ذُكـــاء ترتقي في مُجتلى صافي السماء/ كالغزالهْ
أذكريني أنـــا مـــن ذُقـــت الـــشقاء وتذوقت أفاويق الجفـــاء/ والثفالـــهْ

مُنـــيتي هـــل عهـــدنا أضـــحى هبـــاءْ
والنوى حَلَّـــتْ عُـــرى حبـــل الـــولاء
ارحـــمي هل فيك لي مـــن رحـــمةٍ
وعلـــى صـــبٍ شَـــجٍ مـــن عطفـــةٍ
قـــد كفـــى بي مـــا أرى مـــن فرقـــةٍ
من عذابٍ وأعاني من سقام/ يا ملاكـــي.

قد حرقتُ القلـــبَ في نـــار هـــواك وسحقتُ القلبَ سحقاً لرضاك/ يا ملاكي
ثمّ ســـارت فـــوق قلـــبي قـــدماكِ آهِ منكِ لستِ ترثين لِباكِ/ من جفاكِ

سوف أقضي. دام يا روحـــي بقـــاكِ
فـــاتركيني أحـــسنُ تريـــاقٍ لمـــاكِ
هـــل لمتبـــولِ الهـــوى مـــن قُبلـــةٍ
ليمـــوتَ الـــصبُّ أحلـــى ميتـــةٍ
ثم جيئـــــي لحـــــدَهُ في زَوْرةٍ
وتخطي قبرَهُ وهو عظام/ يـــا ملاكـــي.

(1) صورة لنسخة حصلت عليها من الصديق الطيّب عبد الرحيم محمود. (السفير الفلسطيني في الأردن – 1992).

63. وعـــود:

إلى مـــن ضـــيَّعتْ رشـــدي ... ســـلاماً عـــاطراً أُهـــدي
وحُبّـــاً صـــادقاً جَمّـــاً ... وإخلاصـــاً بـــلا حَـــدِّ
ألا يـــا ليـــلُ نَبّئْهـــا ... وخبِّرهـــا بمـــا عنـــدي
بأشـــواقي لرؤياهـــا ... ومـــا بالقلـــب مـــن وَجْـــدِ
وعِـــظْ (ليـــا)، وثبّتـــها ... علـــى الإيفـــاء بالوعـــدِ

(1) نسخة بخط يد الصديق الأستاذ أحمد قريع.

64. همسة:

اضـــحكي، فـــالعمرُ يـــا سمـــراء يمـــضي كالثوانـــــي
وابـــسمي لـــسنا ســـوى لحـــنٍ علـــى ثغـــر الزمـــانِ
لا تخافـــــي الـــدمعَ أهـــداه علـــى هُـــدْب الغوانـــــي
أنـــا ظمـــآنُ، وهـــذي الكـــاسُ مـــلأى بالأمانـــــي.

* * *

لا تلـــومي، إنّ هـــذا الحـــزن يفـــنى بالـــشرابِ
لم يدع لي الـــدهرُ في كأســـي ســـوى طيـــفِ الـــشبابِ
فاهرقي مـــا فيـــه مـــن خمـــري ومـــن لحـــن عذابـــي
واملأيـــه اليـــومَ يـــا أختـــاه بالحُـــبِّ المُـــذابِ.

* * *

هـــذه الخمـــرةُ في الكـــأس بها أحـــلامُ نفـــسي
أمسنا يـــا أخـــت، هـــل أنـــساك يـــومي كـــلَّ أمـــسي
مـــا لهذا الـــدهر يفنـــيني وأُفنيـــكِ بكأســـي
آهِ كـــم أفنيـــتِ مـــن هـــذا الـــصبا، أيـــام يأســـي.

* * *

أيهـــا الماضـــي وكـــم ذكـــرى تناديـــك ببالـــي
أنـــتِ لي زادٌ، دعـــيني أعتـــصرْ خـــمـــر الليالـــي

قُـــلْ لـــسمرائي إذا اشـــتقتِ لأيـــامي الخوالـــي
إنَّ هـــذا الـــدهر، لـــن يُقـــصيك عنّـــي فتعالـــي.

* * *

هـــذه الهمـــسةُ مـــن أمـــسِ تنـــادي مـــن جديـــدْ
آهِ يـــا هـــمـــسةُ قـــد أشـــجيتِ نفـــسي فأعيـــدي
أنـــا أحيـــا اليـــوم في الماضـــي، وفي ماضـــيَّ عيـــدي
لا تظـــني أمـــسنا يـــا أخـــت بـــالأمس البعيـــد!!!

(1) نشرت في جريدة (الجهاد) الأردنية (1954/7/26). كما راجعتُها على نسخة بخط الأستاذ أحمد قريـع (أبـو علاء)– مدير مؤسسة صامد الاقتصادية الفلسطينية. ونسخة أخرى بخط الأستاذ مروان الطاهر.

65. يفنى المشتاق:

يفنى المشتاقُ وتجحَدُهُ ... ويُرجّي الوعدَ وتُوعدُهُ

أكذاكَ الحبُّ قضى أبداً ... أن يُفني المولى سيّدَهُ

أسْراكِ تشكي ضارعةً ... وقتيلُكِ ذاك أتنجدُهُ؟!

قسماً بالحب ودولته ... قسماً بالله أؤكدّهُ

عيناكِ أصابتْ من كبدي ... مرمىً قد عزَّ مُضمّدُهُ

لم تُبقِ بها إلاّ نَفَساً ... لا تقوى اليومَ تصعّدهُ

مولاي ترفّقْ ذي كبدي ... الهجرُ بها عَبَثَتْ يدُهُ

رحماكِ فهذي مُشْفِيَةٌ ... يدعوها الموتُ ونقصدُهُ

العمر غدا منها حُلُماً ... فعسى مولاي يجدّدهُ

أفناءٌ فيك ولا عِدَةٌ ... تسلي مفناك وتُسعدهُ

قد طال وما طال بنا، سِنَة ... فينا بالساهر مرقَدُهُ

وأطلّ الفجر ومطلعُهُ ... فأقام دجىً يترصّدُهُ

مولاي يداه تحلّ دمي ... أفديه بما تجني يدُهُ

الحُسنُ شفيعُ مظالمه ... والحبُّ حماهُ، ومسندُهُ

يرمي فيصيبُ ولا عجبٌ ... يرمي الهيمانَ فيُقْعِدُهُ

أهواه، ولولا مبدعه ... لجهرتُ بأنّي أعبدُهُ

---

(1) نشرت في مجلة (العرفان) اللبنانية – الجزء الخامس – نيسان، 1951. (نقلاً عن نسخة بخط الأستاذ أحمد قريع (أبو علاء). وهي مهداة إلى **الشاعرة العراقية** (ع.خ).

(2) أعتقد أن (ع.خ)، ربّما، هي، الشاعر العراقية **عاتكة الخزرجي**، وقد سبق لي أن التقيت بها في القاهرة في نهاية الستينات.

66. مَنْ سوانا مخلصٌ في حبّه!!؟

إنـــني أنـــت، وإن فَـــرَّقَني ... يا حبيبي عنك، تـــصريفُ الـــزَمَنْ
نحـــن روحٌ واحـــدٌ، فـــاعلمْ وإنْ ... سكنَ الـــروحُ بأشـــتات البَـــدَنْ
أنا لن أنـــساكِ، والحـــب الـــذي ... أَلَّفَ القلبين، لـــن أنـــساك، لَـــنْ
مـــن ســـوانا مخلـــصٌ في حُبّـــهِ ... من سوانا، شأنه الإِخلاص، مَنْ؟!!

---

(1) النص: نقلاً عن (مخطوطة) بخط الشاعر.

(2) كتب (الشاعر) – الأبيات، خلف صورة شخصية له، أرسلها إلى صديقه وزميلـه في كليـة النجـاح (سـعيد السنتريسي).

67. كنعان من زيتونِهِ أهدى لها :

مرّت على روض الحمـائم غـادةٌ ... تختـال في حُـسْنٍ لها فتّـانِ
النور في وجْناتِهـا والـسحرُ في ... بـسماتها وبطرفهـا النعـسانِ
سألتْ حمامةُ أختَها، مـا سِـرّ ذا ... فأجابـت الأخـرى بخـير بيـانِ
كنعانُ مـن زيتونـهِ أهـدى لها ... هذا البَها سـلمتْ يـدا كنعـانِ

---

(1) نقلاً عن صورة لإحدى جزازات الجرائد. ونقلاً عن مخطوطة بخط علي فارس (من مخيم برج البراجنة) في بيروت.

(2) في صورة الصحيفة: البيت الرابع: **كنعان من صابونه أهدى لها**. وقد جاءت الأبيات دعاية لـصابون الحمـامتين بنابلس (صابون كنعان).

(3) **زيتونه** – كما في مخطوطة على فارس... ولا تناقض في المعنى.

68. عبير:

وَبْشِّرَ (سيفُ) بالأُنثى، ولكنْ (أبو الوضّاحِ) أجزلَ للبشيرِ
ولمْ يَسْوَدَّ للبُشرى، ومنهمْ يرى البُشرى بأُنثى كالنذيرِ
وسيفٌ ربُّ إحساسٍ ولُطْفٍ وسيفُ الدين ذو قلبٍ كبيرِ
يرى في الشيء ما يوحي القوافي ويُلْهِمُ شاعراً حَسَنَ الشُّعورِ
وهل أَدْعى لشعرٍ من (عبيرٍ) تَفَتَّقُ عنه أكمامُ الزهورِ
وكم شعرٍ ستُوحيه عبيرٌ إلى الشعراءِ كالظبي الغريرِ
ستُلهِمُ (طَيّباً) أحلى المعاني إذا عاشا بمجْلاها النضيرِ
و (طيّبُ) يا أخي، حرٌّ أبي يهيمُ بِحُبِّ أشباهِ البُدورِ
ومَنْ أَحرى بحُبٍّ من عبيرٍ ومَنْ أولى بشعرٍ من عبيرِ
سَليلةُ مَعْشَرٍ عَزُّوا وبَزُّوا بتقوى صاحبيْ فضلٍ غزيرِ
فعبد القادر العالي أبوها أبوها صاحبُ الصّيتِ الشّهيرِ
جرتْ في ذكركمْ يا آل زيدٍ بما يحلو أحاديثُ الدُهورِ
وفي بغدادَ لي منكْ (عَشيرٌ) له رِسْمٌ على قلبي الكسيرِ
يقيمُ على ولائي يا حنيني لِمَنْ لمْ يَنْسَ ميثاقَ (العَشيرِ)
عساكِ عبيرُ أن تأتي بخيرٍ وكم أُنثى أتتْ في كل خيرِ
فَتُنسي السيفَ، سيفك أبنيات مَلَكْنَ عليه أنحاءَ الضميرِ
وينسى (شوكتٌ) درساً عسيراً وشوكتُ ضاق بالدرس العسيرِ

يخوض بُحورَ علمٍ، وهــو طفــلٌ ولم يعتدْ على خــوضِ البُحــورِ
عساها يا (أبا الوضّاحِ)، ســلْوى فَــتُنسي الهمَّ في الظرفِ العَسيــرِ

(1944)

---

(1) أمدّني بهذه القصيدة – **الضابط: يوسف أبو ريا – من حركة فتح – في أبريل – نيسان/ 1982 في بــيروت،** وهي منشورة سابقاً.

(2) **عبير**: ابنة سيف الدين زيد الكيلاني (أبو الوضّاح). **طيّب**: الطيّب عبد الرحيم محمــود، مواليــد ســنة 1943. **شوكت**: خال – المولودة (عبير) – من نابلس. **عبد القادر**: عبد القادر الجيلاني – أحد أعلام الصوفية.

(3) **العشير** (البيت رقم 14) المقصود به – **رشيد عالي الكيلاني**.

69. جـرحـان:

قد رمى الدهرُ فأصـمى مـرّتيْنْ ... يا لجـرحين بقلـبي داميـيـنْ
بـأبي جعفـرَ لُوِّعـتُ، وهـا ... قد غدوتُ الآن أشـكو لـوعَتَيْنْ
زهرتـا دوحـةِ مجـدٍ وتُقـىً ... عبقتْ ريحهُمـا في المـشرقيـنْ
صـبَرَ الـدهرُ فلمّـا كانتـا ... ملءَ قلبٍ، ملءَ سمعٍ، ملءَ عيـنْ
راشَ عن قوس الرزايـا أسـهماً ... فأطاحـت أسـهُمٌ بـالزهرتينْ
لهفَ قلب الفضل، إمـا يـصطفي ... جُنْدَهُ، يودي الـردى بالمـصطفَيْنْ
يا أخي جلّ الأسـى فيـك وقـد ... عَقَـلَ الـرزءُ دمـوعَ المقلـتينْ
والتآسـي عـزَّ، لا أدركُـهُ ... أين من يحكيك يا (داوود) أيـن؟
لا أرى قبلَـكَ مَـرزوداً بـه ... قد تهـادى خـاطراً في بُـردَتَيْنْ:
بُرْدَتَـيْ ديـنٍ، وعقـلٍ راجـحٍ ... حبّـذا ديـنٌ وعقـلٌ زينتيـنْ

* * *

إن يكُـنْ زيَّـنَ معـروفٌ فـتىً ... أنت للمعروفِ والإحـسان زَيْـنْ
مـن تُـرى بَعْـدَك للأيتـام في ... زمنٍ نـال اليتـامى منـهُ أيـن؟
مَـنْ لحـافينَ لقـد عـوّدتَهُمْ ... أن يروا منك لدى الجُلّـى يَـدَيْنْ
من لدور العلم يُعلـى صـرحُها ... ويدينُ الجهـلَ دينـاً، أيَّ ديْـنْ
مـن لخـلاّنٍ لقـد أوردتهـمْ ... منكَ خُلْقاً طابَ كالمـاء اللُجَـيْنْ
مـن لجـودٍ لم يُعكـرْهُ أذى المَـنِّ مَـنْ لـصدقٍ لم يكـدرهُ بِمَـيْنْ

مـــن تُـــرى للعمـــل الـــصامتِ، والنـــاسُ كَـــسْلى، كَـــسَلاً ذا شـــفتيْنْ

* * *

يا أخي عَـــزَّ علـــى النـــاس فـــقٌ قبلُ قد نُزّهَ عن عيـــبٍ وشَيـــنْ
قد فقـــدناك وخيـــراً زاخـــراً فـــإذا نبكـــي بكينـــا فَقْدَتيـــنْ
وإذا الثاكـــلُ لم يلْـــقَ عَـــزاً فالذي يبقى، يَعِشْ في حسرتيـــنْ
أســـألُ اللهَ الـــذي أحزنَنـــا بكَ، أن تحظى بأُخرى الجنَّتيـــنْ

---

(1) نقلاً عن (مخطوطة) بخطّ الشاعر. وقد ألقيت القصيدة في **أربعين داوود طوقان**.

(2) عنوان القصيدة: (جرحان) – من وضع (المحقّق)، مشتق من القصيدة – أبو جعفر: إبراهيم طوقان (الشاعر).

70. هكذا الأزهار تذوي:

زهـــرةٌ مـــن طـــاهر الأخـــلاقِ بالـــنُـــبْـــــلِ تـــفـــــوحُ
قـــــد ذوت عنـــــد صـــــباها واختفـــــى العَـــــرفُ المليـــحُ
هكـــــذا الأزهـــــار تـــــذوي وهـــــي رَيّـــــا يـــــا (نـــصوحُ)
فيظـــــل القلـــــبُ، هيمـــــانَ لـــــدى الـــــذكْرِ ينـــــوحُ.

---

(1) نقلاً عن (مخطوطة) بخطّ الشاعر.

(2) قيلت في رثاء (**نصوح أسعد الطاهر**). وكتبت الأبيات على القبـــر.

71. بكى دما:

أرى الدمع في عينيْ أبيك لآلئاً ... ولكنَّ قلبي إنْ بكاكَ بكى دما
لقد كنتُ أرجو أن أراك مُمتّعاً ... بعمرك، لكنَّ احتضارَكَ حُتّما
فَبِتَّ كغصنٍ، قُصَّ، غَضَّ شبابهُ ... وأُسكنَ قبراً في الفلاة مُرَدَّما
ولم أتزودْ منكَ نظرةَ وامقٍ ... أيا ابنَ أخي يبتلُّ من بردها الظما
هشام، ذوى كالزهر في ميعة الصبا ... فللّه كيف الحُسن والنُبل هُشِّما

---

(1) نقلاً عن (مخطوطة) بخطّ الشاعر.

(2) قيلت في رثاء (هشام فائق العارف).

72. شباب ومشيب:

سُـقْـيـاً لـعـهـد الشبـاب ... ولا أخـــصُّ الـمَـــشيبْ
يحلـــو بـــهذا العـــذاب ... والعـــذب في ذاك شـــيبْ

لاحـــت لنـــا في سمـــاهْ ... عـــذابُ طيـــب الأمـــاني
وفـــاح وردُ الحيـــاه ... فيـــه بريّـــا الجنـــان
وردّدتْ في رُبـــاه ... آيَ الهـــوى والأغـــاني
إنّ الـــشبابَ كتـــابٌ ... يُهـــدى بـــه المـــستريبْ
تجنّبتْـــهُ الغيـــابْ ... فمـــا بـــه مـــن معيـــبْ

إنَّ الـــشبابَ ســـلاحْ ... لكـــل عـــانٍ ضـــعيفِ
وفيـــه يحلـــو الكفـــاحْ ... عنـــد ازدحـــام الـــصفوفِ
وفيـــه إمّـــا فـــلاحْ ... أو ميتـــةٌ للـــشريفِ
إنَّ الـــشباب شـــهابْ ... لكـــل عـــادٍ رقيـــب
تُحـــنى لديـــه الرقـــابْ ... وتـــستكينُ الحريـــبُ

مِ الـــورد تطلـــب ورده ... فيلتقيـــك غـــضاه
تقـــول، فـــالحقُّ عنـــده ... يريـــد يحمـــي جنـــاه
والظلـــم يعـــرف حـــدَّه ... إذا تُـــشلُّ يـــداه

لـــولا شـــباب المُهـــاب ... لهـــان منـــه الـــسليب
وبـــانهزال الرّكـــاب ... يقـــصو عليـــك القريـــب

أوّاه لـــو أســـتطيعُ ... تـــصويرَهُ بمثـــالِ
فيـــه الجمـــال البـــديعُ ... وملـــهماتُ الخيـــالِ
وفيـــه روحـــي تـــشيعُ ... والـــروحُ يـــا نـــاسُ غـــالِ
وجـــاء طِـــبْـــقَ الـــرّغـــاب ... كمـــا يـــشاء الرغيـــب
أضـــمُّه بانتحـــابْ ... ضـــمّ الحبيـــب الحبيـــب

إنّ الـــشبابَ ســـواعدْ ... مفتولـــةٌ لا تَكـــلُّ
وانفـــسٌ في الـــشدائدْ ... صَـــبَّارةٌ لا تـــمـــلُّ
إنّ الـــشباب مُعانـــدْ ... للظلـــم لـــيس يـــذلُّ
تنبـــو القنـــا والحـــراب ... ضـــعفاً بأيـــدي المـــشيبْ
والعـــزم عـــزمُ الـــشبابْ ... عـــاش الـــشباب القـــشيبْ

(1) صورة لنسخة حصلت عليها من الصديق الطيب عبد الرحيم محمود (1992) وقارنتُها مع نسخة أخـرى بخـط الصديق أحمد قريع.

73. نشيد: أنتَ للعُرْبِ:

أنـــتَ للعُـــرْبِ أمـــينْ ربنـــا يحميـــكْ
أنـــت للجـــسم وَتـــينْ كلُّنـــا نفـــديكْ

* * *

أنـــتَ عـــزٌّ للـــديار وهنـــاءٌ وســـرورْ
أنـــت للظـــالم نـــارٌ أنـــتَ للأوطـــان نـــورْ

* * *

أنـــت نجـــمٌ قـــد أطـــلْ في سمـــاواتِ الأمـــلْ
أنـــت ســـيف لا يُفَـــلْ أنـــتَ في الـــدنيا مَثَـــلْ

* * *

رَجعـــتْ فيـــك الأمـــاني وصـــفا قلـــبُ الـــزمنْ
وعـــلا لـــحْـــنُ التـــهاني فيـــك، في أرض الـــوطنْ

* * *

نحـــن آســـياد القتـــالِ سِـــرْ بنـــا نحـــو النـــضالِ
وَأنـــر حُلْـــكَ الليـــالي بالمواضـــي والنِّـــصالِ

---

(1) نقلاً عن طبعة مركز إحياء التراث، المثلث، (فلسطين-48).

(2) أنشدته فرقة دار الأيتام الإسلامية الصناعية بالقدس سنة 1944م. ثم قامت الفرقة بإحياء حفل في مدرسة النجاح، أنشدت فيه هذا النشيد، الذي أصبح يردده جميع تلاميذ المدارس.

74. أنشودة التجديف:

هـيّـــا بـنـــا هـيّـــا هيّـــا يـــا إخـــوانْ
(نطـــوي الفـــلا طـيّـــا) هـــذي هـــي الأوطـــانْ

* * *

بلادنـــــا بانـــــتْ بـــــالأفق كالجنّـــــات
وأرضُـــــها ازدانـــــتْ بالأهـــــل والخـــــلاّن

هـيّـــا بـنـــا

شـــدّوا فعـــن قريـــب نرســـو علـــى الـــشطآنْ
ونجتلـــــي الحبيـــــبْ وطلعـــــةَ الأخـــــوانْ

هـيّـا بـنـا هـيّـا

شـــدّوا فكـــمْ محبـــوب في الانتظـــــــار الآن
فيـــه المـــنى المطلـــوبْ والـــريُّ للظمـــآنْ

هـيّـا بـنـا هـيّـا

---

(1) أنشدت في المهرجان السادس لكلية النجاح الوطنية في نابلس في عام 1945...، وقام بتلحينها (عبد السودود رمضان)... أستاذ الرياضة البدنية في كلية النجاح.

(2) نسخة بخط السيد مروان راضي الطاهر.

75. الشـــبـــاب:

أُحـــبُّ الـــشبابَ ومـــا فيـــه مـــن قـــوى ســـاحقاتٍ تَهُـــدُّ الجبـــلْ
وأكـــره فيـــه، انقيـــادَ القلـــوبِ لحكـــم الجمـــال وســـحرِ المقـــلْ
ونِـــسْيانَهُ أننـــا قـــد (أنَظْنـــا) بتلـــك القلـــوب لذيـــذَ الأمـــل
تريـــد لها أن تـــرى عـــامراتٍ بغيـــر الغـــرام وغيـــر الغـــزل
تريـــد لها أن تـــرى عارمـــاتٍ بحـــب الـــبلاد وحـــب العمـــل
أحـــبُّ الـــشبابَ... الـــشبابُ لهيـــبٌ تـــلألأ منـــه الـــشُعَلْ
تضيء الطريـــقَ علـــى مُدْلَـــجٍ وتُهدي الذي تـــاه عنـــها وضـــلّ

---

(1) بخط السيد مروان راضي الطاهر.

76. أبيات متفرقة:

1. نحنُ نفديك:

قصيدة أخرى مفقودة، لم نعثر منها إلاّ على هذه الأبيات:

قَدْ نَشَرْنا على ثَرى الْوَطَنْ الغَالي قُلوباً تَسْتَعْذِبُ الأهْوالا
يا تُراب الجُدودِ صَبْراً فَلَنْ نَهْدأ حتى نُغَيِّر الأحْوالا
نَحْنُ نَفْديكِ يا بلادي فِلَسْطينُ، نِساءً وفِتْيَةً ورِجالا

2. هيهات لما تدعون:

من قصيدة مفقودة، يذكر الرواة هذين البيتين:

يا أيُّها العُشَّاقُ كم مَرَّة طَلَبْتُمُ الوَصْلِ وَكَمْ تَطْلُبونْ
تُقْطَعكُمْ وَعْداً وَلكِنَّما هَيْهات هَيْهاتَ لِما تُوعَدونْ!

3. رسول هاروت:

وبيتان آخران من قصيدة أخرى مفقودة:

أوْدى بقَلْبي خَدُّك المتَوَرِّدُ وَسِهامُ لَحْظٍ للْقُلوبِ تُسَدَّدْ
هاروتُ – أنتِ رَسولُهُ لِعبادِه وَرِسالةُ العَيْنَيْنِ لَيْسَتْ تُجْحَدُ

---

(1) نقلاً عن: طبعة مركز التراث – الطيبة، المثلث، 1985. انظر: 326 و 328.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القسم الثاني:

المقالات النقدية

1. ليس دفاعاً عن إبراهيم طوقان(*)

• بقلم: عبد الرحيم محمود

... ولـمَّـحتُ له أن يبعد عن الاستشهاد بأمر **يثير في الناس، أشياء يجب أن تظل هادئة مستكنة**. سُقتُ له كل هذا، وعلّمته إياه، ولم أسأل رأيه، لأني في غنى عن رأيه، ولقد مات عني من علمني، ولم يبق بي حاجة لعلم أمثاله. وإني لأرجو أن يكون **كمال ناصر**، قد أفاد مما سقت له، وأن يكون قد حفظ ما قرضه من مقالي في جيبه، حتى يظل يتذكر وقد تنفع الذكرى المؤمنين وغير المؤمنين.

– ولا أريد أن أقول إن **الأستاذ مصطفى الدباغ**، مثل **كمال ناصر** ولا أن أعامله المعاملة نفسها، لأني أحد فيه شخصاً آخر يحاول أن يثبت ما يقول بما يعتقده أنه الحق. ولست أزعم أنه يصدر عن سخيمة، وإن كان لدي ما يثبت ذلك!! وإبانته قد تكلفني تعباً، ولست أزعم أنه مبطل كما أبطل (كمال)، لأنه يدّعي عكس ذلك. ومصطفى الدباغ رجل جريء. ومن جرأته، هذا الهجوم الكاسح الكبير على الشعر الفلسطيني والشعراء الفلسطينيين، ومن جرأته ادعاؤه، أنَّ **لكل قطر أدباً وشعراً، ونحن نقول بالوحدة، وحدة البلاد**، ونبني ذلك على وحدة اللغة ووحدة أدبها. وأنه لمن الانفصالية بمكان، **والانفصالية بنت الاستعمار**، أن ندعو إلى الاعتقاد أن لكل

(*) نقلاً عن طبعة نافع عبد الله، 1979. والمقال في أوله – مبتور.

– معركة أدبية بين عبد الرحيم محمود (من جهة) ومصطفى الدباغ وكمال ناصر (من جهة أخرى) – حول (شاعرية إبراهيم طوقان).

– **مصطفى درويش الدبّاغ**: ولد عام 1908 في يافا، نشر قصائده في مجلة (أبوللو) المصرية، عام 1932، أصدر مجموعة شعرية واحدة: (وحي اليراع)، وتوفي عام 1968، ودفن في القاهرة – (ع.م).

– **كمال ناصر**: شاعر فلسطيني، ولد في بيرزيت (رام الله)، عام 1925، واغتالته إسرائيل عام 1973 في بيروت: انتمى لحزب البعث، ثُمَّ لمنظمة التحرير الفلسطينية، له عدّة دواوين: (انظر: عزالدين المناصرة: جمرة النص الشعري، ص 153).

بلاد أدباً خاصاً. **فأبو نواس**، البغدادي أو البصري، هو ملك لكل بلاد العرب، و**شوقي** المصري، ملك لكل العرب وإنتاجه تراث العرب كلهم، ليس لمصري فيه نصيب، أكثر من كويتي ولا حضرموتي ولا عسيري، بله سورياً أو عراقياً. والأستاذ الدباغ جريء جداً لأنه يهاجم جيشَ الشعراء أوْحدياً، ويلوي بهم أيما إلواء، كما يقول عنترة، كأن ليس له شعر وكأن شعره، إن ظفر به مثلي، بمنجاة من ما يرمي به شعر الآخرين من الخواء والإسفاف. والأستاذ **الدباغ** جريء لأنه، أوّل ما تناول شاعراً علماً بين شعراء العربية. وحينما حاول الهدم بدأ بالكبير وثنى بغيره، فمن يليه، ولا أخاله مبقياً كبيراً ولا صغيراً **حتى لا يبقى في الميدان غيره**. وهو جريء أيضاً لأنه تناول في مقاله، أديباً كبيراً جداً ألا وهو **السكاكيني**، وأراد أن يرد إليه قوله في **إبراهيم طوقان**، الذي نشره في مجلة (الأديب). وجريءٌ جداً (وهنا النقطة الحساسة)، لأنه أقدم على المعركة وهو لا يحمل السلاح، ولم يتزود لها بما يضمن له الانتصار والفوز. ومن الغريب أن الأستاذ **الدباغ**، **حين يريد أن يستشهد، يلجأ إلى أضعف شعر الشاعر**، أو ما يخاله كذلك، ولا يزال يرى الضعف ويهوله ويُكبّره حتى يصل إلى ما يصبو إليه من إملاء رأي وإحقاق باطل. فهو يتغاضى عن كل قصيد للشاعر يجمع القوة والمتانة والمعنى الرائع. ويجاوزه إلى غير ذلك، وهو **يحكم على قصيدة كاملة ببيت منها**، كمن يحكم على القصر الفخم بحجر واحد منه، ولا يراعي انسجاماً ولا وحدة ولا ينظر النظرة الإجمالية إلى المعاني والأغراض. والحق في النقد الأدبي أن يؤخذ كل أدب أولاً إجمالاً. والحق والمعروف بين النقاد الفاضلين أن يحكم للأديب أو للشاعر بأحسن ما عنده، لا بأسوأ ما عنده. ومن الجرأة التي ذكرناها أن يسلك الأستاذ **الدباغ**، مسلك غير النقاد الفاضلين الفاهمين لأصول النقد الأدبي. الحق في النقد الأدبي أن يؤتي بأجمل ما في الشيء، ويهون ويرى ما فيه من نقص ويحكم. فهل فعل الأستاذ الدباغ ذلك، هل جاء بعجائب **الشاعر الكبير طوقان** ووزنها؟، هل نظر إجمالاً إلى **انسجام القصيدة** عنده، هل فعل الأستاذ الدباغ ذلك أو بعض ذلك؟؟ الجواب عن ذلك (لا). إذن ما قيمة النقد؟، وما أهمية الحكم؟

– لقد راجعت نفسي مراراً قبل أن أكتب هذا الرد لأني حزنت لمفهوم الأستاذ من النقد. ولمفهومه من استجمال الأدب، وقلت إن من العبث هداية من يصر على أن يضل الهدى. ومع هذا دعنا نفهم معه، إن أراد، النقص الذي في الأبيات التي أوردها.

قال إبراهيم:

عرف الناسُ والمنابرُ والأقلامُ أفضالَكُمْ فهاتوا سواها
كان أولى لكم لو أنّ مع القو لِ فعالاً محمودةً عُقْباها

رأي الدباغ في هذين البيتين اللذين انتزعا انتزاعاً مخيفاً من القصيدة أن ليس فيهما ما يؤثر. وأن فيهما **كلاماً عامياً، أو ما يقارب العامية من اللفظ**. ولكن رأيي أن انتزاع هذين البيتين المسكينين من قطيعهما تجنّ وظلم. كمَنْ ينزع الابتسامة من فم (**الجيوكاندا**)، ويقول أنظر كم أبشع فم الصورة!!! وكمن ينزع **المسيح** من حضن أمه في الصورة، ويقول أنظر ما أنقص الصورة!!! وكمن يستر جميع رأس الحسناء بما فيه الوجه إلاّ عذرة، فيقول ما أبشعها. وإلاّ فما التساوق والانسجام إلاّ تكملة جزء لجزء وإتمام جمال جزئي لجمال كلي. إن **الشاعر إبراهيم طوقان**، حينما قال هذا، كان يألم لحالة ناس يحبون الظهور ولو على جثث الناس، ويتذرعون لذلك بالمنابر والأقلام والتهويش ويمنون على الناس ذلك. ويزعمون أنهم قاموا بجليل من العمل. آلمه ذلك فقال يخاطبهم بقصيدة منها هذان البيتان. إنه أي تهوين، وأي إنقاص لا يمكن أن يصل إليهما بما أراد الناقد من إيذاء. حتى إن قطع هذين البيتين عن إخوانهما لم يذهب بقوتهما ولم يذهب بمعناهما، فهما متماسكان، ولو إنفراداً أمام هجمته الشعواء العشواء. وإني لا أجد أن أجمل ما في البيت الأول، **كلمة (أفضالكم)**، هذه الكلمة التي في محلها، ولا يمكنك ولا يمكن لأي إنسان أن يأتي بغيرها في محلها. فهي تحمل معنى السخرية والهزء والزراية، وكل ما أراد الشاعر الكبير أن يعبر عنه من الاستخفاف بما قام به هؤلاء المتظاهرون من جليل مدعى وعمل (إيجابي) مزعوم.

البيت الثاني

كان أولى لكم لو أنّ مع القو لِ فِعالاً محمودةً عُقْباها

ولقد كان هذا البيت نتيجة، كان نصيحة وموعظة.

(**والشعر إن لم يكن ذكرى وموعظة وعبرة، فهو تقطيعُ أوزان...**)، كما قال **شوقي**. إن الشاعر إبراهيم طوقان بعد أن سخَّف أقوالهم غير المجدية أراد أن يدلهم على العمل. وهل ضيعنا يا ناقدا إلاّ أننا نقول ولا نفعل. وهل أضاعنا إلاّ أننا نكثر من الأقوال ونقل، بل لا نعنى بالأفعال. (**كبر مقتاً عند الله أن يقولوا مالا يفعلون**)، صدق الله العظيم.

إذا فالمعنى عارم ملآن. وإذن فالفكرة قائمة واضحة غير مبهمة في البيت والمبنى؟؟. المبنى يأخذ الأستاذ الدباغ فيه كلمة (أولى لكم). ويقول عنها إنها من **كلام العوام** دارجة في لغتهم. وعلى فرض هذا، **فماذا يبقى للشعراء، إن أرادوا آن يتحاشوا ذكر كلمة مما ينطق به العامة.** إذن فلنبحث عن لغة غير لغتنا، ولتكن لغة دباغية، إن شئت. **وما العامية إلاّ الفصحى محورة. وما العامة إلاّ بعض العرب، يتكلمون بلسان العرب.** وما قولك هذا إلاّ عكازة ضعيف أربأ بك وأنت الأديب الكبير أن تقع في شططه وتهافته.

ثم لو أنك كلفت نفسك النظر في القرآن كما كان يفعل إبراهيم طوقان الشاعر الكبير، لما وجدت في كلمة (أولى لكم) عيباً. فهي كلمة ذكرت في أكثر من موضع فيه. فقد قال الله تعالى في سورة محمد صلى الله عليه وسلم، حتى أدلك، ﴿**فأولى لهم طاعة وقول معروف**﴾ وقال: ﴿**أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى**﴾ صدق الله العظيم. وأنت لو تبصرت في ذلك لشهدت في إبراهيم غير ما شهدت ولفتشت لك عن حجة أخرى، وباب للطعن تلجه يسعك ولا يضيق عنك وحشرك حشراً، يشمت بك الذين يعلمون أكثر مما تعلم.

البيت الثالث

وجاء الأستاذ الدباغ ببيت ثالث، وظن أنه أصاب مجزأ بجيئه. وادعى أنه أفحم مردداً له بما نقل عن **البحتري**. والعارف للكلام يرى الفرق البعيد بين ما أراد البحتري وما أراد أخوه

إبراهيم طوقان (وإبراهيم في رأيي أخو البحتري في مقدرته على إنتقاء الألفاظ ذات الجـــرس)، ولا أريد أن أفسر له ما أراد البحتري وما أراد إبراهيم، لأني أعتقد أنه لا يعني ما قـــال مـــن أن إبراهيم **سرق ذلك من البحتري**.

وقصة الصدف واللؤلؤ، قصة طويلة في الأدب العربي، **وتشبيهٌ مشاع** لكل شاعر طرقه إذا كان يحتذي القرآن وهو قدوة الناطقين بالعربية. وكيف لا يكون هذا التشبيه مشاعاً وكل إنسان يعرفه والقرآن أشاعه بقوله ﴿أمثال اللؤلؤ المكنون﴾. وإبراهيم حين قال بيته:

والحـــور لؤلـــؤةٌ في إثـــر لؤلـــؤةٍ شكّلْنَ من غرفٍ في القـصر أصـــدافا

التفت إلى اللؤلؤ المقصور في الصدف، و(حور مقصورات) تعبير قرآني، ومن أبلغ مـــا في القرآن؟. وأراني أقول للأستاذ وأنصح له بعد هذا أن يردد طرفه في كتاب الله، ففيه عون علـــى ما يريد من صقل لغته وإعلاء كعبه في اللغة. لأنه لن يصل إنسان مهما سما خيالاً وقوي مـــادة فكر أن يجيد صناعة الأدب إن لم يأخذ من لغة القرآن بطرف.

ولعلي سقت هذا النصح إلى الشاعر **كمال ناصر**، الذي ادعى ما ادّعى الأستاذ **الدباغ** من عدم متانة إبراهيم في اللغة واللفظ. وإني لأسوقه إلى كل متأدب، وخاصة الذين يلجـــؤون إلى أدب النقد ويمسكون بناحية اللفظ والتركيب في انتقاداتهم.

ثم يدعي الأستاذ الكبير **الدباغ** أن **إبراهيم لم ينظم بشتى الأغراض**. فهل هذا صحيح؟؟ على فرض الصحة، **فعدم نظم شاعر شتى الأغراض ليس دليلاً على ضعف الشاعرية**. وإنـــا لنجد في الشعراء، وفي مقدمي الشعراء من **اختص بغرض واحد**. فزهير مثلاً مختص بالحكمـــة والمدح، والأعشى بالهجاء والمدح، وعمر بن أبي ربيعة بالغزل، ولكـــن كـــل هـــذا لم يـــزر بشاعريتهم جميعاً، ولم يقل إنسان إنهم غير شعراء. بل أخذ ما قالوا كعنوان لما حواه الغرض من أقوال فيه. ومع هذا فإبراهيم لم يكن مجدبا بناحية من النواحي الشعرية، فلديه الوصف و(الحبشي الذبيح) والراعي. وغيرهما دليل قاطع مانع أنه كان وصّافاً ماهراً. ومع هذا أيضاً، فإنك لا تقدر أن تدعي ذلك حقاً لأن الشعر ذاته والشعر كله وصف حسب أصول النقـــد. **فـــالغَزِلُ حـــين**

يتغزّل، وصّاف، والهاجي حين يهجو، وصّاف، والمادح حين يمدح، وصاف، وكل ضروب الشعر وصف، إن لم يكن لمادة فلمعنى، وإن لم يكن لجسم فلروح، وهل الألم والحزن في الشعر، وهل الوطنية والحماسة إلاّ **وصفٌ** لإحساس وغريزة؟

لكنه **التحامل**، ولكنّه الجدل الذي لم يقصد به وجه الله والحق والأدب.

– أعود فأقول إن من الظلم ألاّ يستشهد على قوة شاعر أو على ضعفه إلاّ ببيتين أو ثلاثة وهو ذو آلاف. **كما أنه من الإجحاف بالحق أن تحكم على إنسان إلاّ بخير ما عنده من ناحية الأدب**. ورُبّ قصيدةٍ واحدة في ضرب واحد، تجبر النقدة أن يعلو صاحبها. وهذا ليس جديداً، **فالقدماء حكموا لأصحاب المعلقات بمعلقاتهم**، ومن بعدهم حكموا للبوصيري بميميته، ولشوقي ببائيته. ولن تعدم في شعر إبراهيم قصيدة واحدة تحكم له بها في الشاعرية العظيمة، والسبق والخلود، إلاّ إذا كنت لا تريد ذلك، ولن تضيره، لأنه لا تعدم الحسناء من عائب.

2. ما جبران؟ (*)

• بقلم: مريم...

هذا المقال كتبته (فتاة) ترى شخصيتها بارزة فيما كتبت مع أنها أرادت أن تستر عن القراء نصف اسمها، ويعجبك من هذا المقال صراحة قل أن يتصف بها الناس وذوق لا تراه عند كثيرين وجزالة يقصر عنها نفر من الفحول. (الأمالي)

إن لقراءتي أدب جبران، قصةً طويلة تحتاج إلى مقال خاص. فيه وصف للحياة التعليمية ولعقليات بعض المعلمات اللائي يجعلن من المدرسة، ميدان شغب وكفاح وتفاخر فارغ. وإن لها لحديثاً إذا قصصته على القارئ، حزن كثيراً وضحك كثيراً وألم ولو بعض الإلمام بما بين مربيات النشء الفاضل من غيرة وتحاسد، و(مناورات) عدائية، تُخرجُ المدرسة عن كونها دار تهذيب للنزعات غير الفاضلة وعن كونها مكاناً تُلطّف فيه غرائز وحب السيطرة والظهور.

مُلخص القصة أني تزاحمت أنا وأخت لي... على تعليم الأدب في المدرسة، وكان ذلك في أول سنة لممارستي التعليم. وحين أبيت تدريس الرياضة، ورفضت اقتراح المديرة الضالعة مع مزاحمتي، كان لا بدّ من وقفة تفاخر. فراحت (فلانة) تقول إنها تجيد تعليم الأدب أكثر مني، وأنها **قرأت أدب الفرنجة، وحفظت للحريري من مقاماته، ودرست لفلان وفلان وفلان وجبران.** قلت لها: (إني لا أنكر عليك رسوخ قدمك في الأدب، بعد إذ عددت ما عددت من أعلام، ولكنك نسيت شيئاً مهماً. نسيت **القرآن والحديث!!**).

وكانت لنا زميلة ورعة مسلمة أعجبها قولي فردَّدت. نعم. نعم. القرآن والحديث. إنّ من لا تعرف هذين لا تعرف اللغة.

---

* - مجلة الأمالي، العدد 45، بيروت، 1939/7/7.

الحاصل... قضي الأمر وكان ما أردت، لكن عَلَماً من الأعلام التي عَدَّها صاحبتي ظلّ في خاطري. قلت: إنْ تقرأ فلانة أدب الفرنجة شيء حسن؛ وأنْ تحفظ للحريري هذيانه خير من ألا تحفظ له، وأنْ تدرس فلاناً الكاتب وفلاناً الشاعر لا بأس به، ولكن ما **جبران؟**. لقد كنت أسمع هذا الاسم وقرأت له مرة أو مرتين، ولكنه لم يقع عندي موقعاً، وقلت: يا مريم!! هذا من لبنان، كبَّرهُ اللبنانيون، عادتهم في تكبير أنفسهم، فنفقت سوقه، فما أغناك عن أن تضيعي وقتك بـــه. **جبران؟؟**. إن الاسم لا يبدو لي رائقاً — It does not appeal to me. **جبران؟؟!**. أية صـــيغة هذه؟؟. اسم ممنوع من الصرف!!. ومضت الأيام: وإنا لفي قصة شاعر بـــائس مظلـــوم، وإذا بمشاغبة من مشاغبات الطالبات ترفع إصبعها...

– ما لك؟ لماذا تقاطعينني كثيراً. قلت لك دائماً اكتبي سؤالك كيلا تنسيه، أجبك عليه في آخر الحصة.

– يا معلمتي... هذه مناسبة... إن ما حدث للشاعر من ظلم ذكرني بما حدث لِ: (**ميّ**).

وهنا ظهرت علائم الحزن على الوجوه، كأنّما ذكّرهم بموتاهنّ. وهنا كنت لا أقدر أن أدير دفة الصف. تلك تتنهد. وتلك تُهز قبضتها. وتلك تتأفف.

وقالت لي نفسي: يا مريم أحسن ما تعملين أن تتكلمي عن (**مي**)... كوني لبِقة!!

قلت: نعم. نعم... الشيء بالشيء يذكر. وإن الظلم، الذي جعل مـــن شـــاعرنا مبـــدعاً للمعاني، خالقاً للأخيلة الجميلة، هو الذي سيجعل من (ماري) شاعرة خالقة مُبدعة، وفيلـــسوفة موفقة النظرة... ودخلت المديرة في أثناء ذلك. وقامت لها الطالبات تحيةً وجلسن. واســـتأنفت أنا كلامي: وإني لأعتقد أنها ستزيد صفحة حزينة ملؤها الشاعريّة المظلومة، فترفع بذلك من قدر الإنتاج الأدبي في لبنان خاصة والعالم العربي عامة.

وأردت أن أكمل، فقاطعتني المديرة... ودخلت في بحث عن لبنان لا طعم له ولا مناسبة. وخلعت على هذا البلد ألقاب المديح... **لبنان عبقر... لبنان الجمال والنبوغ**... منه **اليازجيان** ومنه فلان وفلان **وجبران. جبران الشاعر، الرسام، الفيلسوف، المظلوم.**

قالت فتاة: وما ظلامته.

قالت المديرة: عدمُ التقدير. (وهي تقصد بذلك الفخر، وترجع إلى مشادة بيني وبينها أو بينهن. ولذلك حديث خاص سأجتهد في نقله إلى القراء إن شاء الله).

قلت أنا: نعم... إن أعظم ظلم يقع بأديب ألا يُقدَّر أدبه ولكن...

قالت تلميذة: ولكن ماذا، يا معلمتي.

قلت: إن الأديب العظيم، يظهره إنتاجه ويرفعه ما يقدم من الأعمال الخالدة. والإنتاج الأدبي كالإنتاج التجاري، يكثر عليه الطلب، إن كان ذا ميزات طيبة، هو إن كسد يوماً فلابدّ من أن تربح تجارته عند رجوع الناس إليه مستقبلاً. أما إذا كان الإنتاج من النوع الرخيص، فهو لا بد كاسد، مهما أثيرت حوله من (الدعايات) والإعلانات. (أمّا الزبدُ فيذهبُ جفاء، وأما ما ينفع الناسَ فيمكثُ في الأرض).

قالت التلميذة المشاغبة المستخدمة للشغب عليّ: إذن تكلمي لنا عن جبران، جبران المظلوم، ما دمنا في قصة الظلم منذ الساعة. ماذا أقول؟؟ إني لا أعرف جبران ولا شيئاً عن جبران. فأخذت أصف لبنان، وما يمكن أن يوحي من المعاني، وما يمكن أن يخلق من أدباء. وصفتُ الطبيعة ومؤثراتها؛ قارنت المشرق بالمغرب، وفارقت بين أدب الأندلس والمشارقة. وانتهت الحصة وخرجت وظنت التلميذات أن ما قلت كانت مقدمة للبحث عن جبران، ولم يدر بأخلادهن أن ذلك كان تخلصاً... خرجت وأنا أتمثّل بقول هِبَنَّقَة مع حفظ الفارق، طبعاً:

الله نَجّاني ونَجّى البقرهْ من جاحظ العينين تحت الشجرهْ

* * *

رحتُ إلى المكاتب أبحث عن **مؤلفات جبران**، واشتريت وريقاتٍ عليها شعر سماها جبران (**المواكب**)، وخلوت بهذه الوريقات أقرؤها، وبدأت بالمقدمة، فإذا هي تنص:

(أيها القارئ العزيز. أتعلم من هو جبران. جبران خليل جبران وكفى بهذا الاسم فخراً للناطقين بالضاد). قلت لنفسي: يا لي شقيّة. **جبران فخر الناطقين بالضاد**، ولا أعرف عنه شيئاً؟؟ هذا جهل.

ومضى المقدم يطري ويمدح. حتى قال: (لا أخطئ إذا قلت ويقول معي كثيرون إن جبران قد أصبح **أمير الكتاب والشعراء** بلا استثناء). قلت: يا مريم!! هكذا أضعت السنين بين كتب الأدب، ولم تقرئي لأمير الكتاب والشعراء بلا استثناء؟؟ إنك إذن لجاهلة. قلتُ مريم: لماذا هذا اللوم: إنه **لو كان جديراً بإمارة الكتابة والشعر، لبايعه الكُتّاب والشعراء بدل شوقي**، خصوصاً والكتاب منشور منذ 1923. قلت يا مريم: هكذا يقول **نقولا عريضة**...

وقلبتُ صفحات. وإذا بمقدمة أخرى، تقدم الشعر، تقدم الأدب نفسه، لا الشاعر، ولا الأديب. مثال ذلك أن يزرع فلاح قمحاً، فيزكو ويؤتي أكله، فيأخذه إلى السوق، إلى البائع يبيعه له. فيمسك البائع بذراع الفلاح ويقدمه للناس السائمين، قائلاً: هذه العضلات المفتولة أنتجت القمح، هذه العضلات القوية لا تنتج إلاّ ما يورق وما يحسن. هذه العضلات...). ثم يقوم البائع، أو شريكه ويحفن حفنة من القمح، ويقول هذا هو القمح، القمح الصافي، القمح الذي من صفته كذا وكذا. وهذه **طريقة طبعاً، للإعلان يجيدها اللبنانيون كثيراً لما فيهم من طبيعة التجارة**. أما البائع الآخر... فهو **نسيب عريضة!!**، هو قريب نقولا، ربما، أو شريكه، فهما **شركة... سلعتها جبران!!**. مقدمة **نسيب عريضة**، محاولة لتفهيم القارئ مغزى الشعر في المواكب. وهو يقول إن الشعر في المواكب مقاطع يقول: كل مقطع واحد يحمل فلسفة تخالف فلسفة الثاني. يقول المقطع الأول شيخ اختمر تجربة، ويقول الثاني شاب بسيط لم تدخله (ميكروبات الاختمار). الأول يعيب تعقّدات الحياة، والآخر يردُّ عليه ويدعو إلى حياة البساطة. (هكذا يقول السيد نسيب). يستعرض الشيخ مظاهر هذا العالم فيشبع كل مظهر تمحيصاً وبحثاً. ويظهر وجه البشاعة في هذا المظهر، ومن هنا جاءت تسمية الكتاب (بالمواكب).

وقبل المرور على هذه المقدمة، أريد أن أفهم القارئ أن السيد نسيب عريضة يقول إن كلّ فكرة تتركب من مقطعين، المقطع الأول للشيخ، والمقطع الثاني للشاب كما مرّ، والاثنان كما يقول السيد نسيب مختلفان. يعني أن الشيخ يقول شيئاً والشاب يدحضُه ويدعو إلى غيره. هنا... **لندخل الآن إلى المتن. لنقرأ النص الشعري**: اقرئي يا بنت... قرأت... ففهمتُ من المقطع الأول والمقطع الثاني نفس الفكرة. في المقطع الأول:

فأفضل الناسِ قطعانٌ يسيرُ بها صوتُ الرعاةِ، ومن لم يمشِ ينـدثرُ

يعني أن الناس يسوقهم بعضهم.

في المقطع الثاني:

خُلق الناسُ عبيداً للذي يأبى الخضوعْ
فإذا ما هبّ يوماً سائراً، سار الجميعْ

يعني أن يسوقهم بعضهم.

فالمقطعان متشابهان إذن. وليس هناك نقض وردّ كما زعم السيد **نسيب عريضة**. لهذا فأنا أضرب بزعمه الأرض والحائط معاً، ولن أحاول أن أفهم ما أفهمه أنا نفسي لا ما يريدني أن أفهم. وهنالك مقطع يتركب من بيتين يتلو هذين المقطعين، لا قيمة له في البحث، لأنه عبارة عن تصفية موسيقية لا تمت إلى النغم بصلة. لكنها تصفية يريد أن يخدش بها الشاعر إذن السامع. تصفية ما أشبهها بكلمة (هه. هه) في أغنية أطفال الشارع:

يا كرمسطو ... هه. هه هزّي وِسْطُو ... هه. هه

بعلم الله أني إذا قرأت الكتاب لم أفكر بقراءته للنقد... قرأته لأستفيد. ولكن يا خيبة الظن!!. لم أجد في (**المواكب**) شيئاً جديداً. لم أجد استعراضاً شائقاً. وجدت باباً من الفِكَر... من الفكر المسموعة كثيراً. لغة المواكب... لأية لغة هذه؟؟

في الواقع، إني لا أحب العنف في الأشياء كلّها. ولا أحب النقد الذي يراد به الهدم لا العمران. في اعتقادي، إن العالم محتاج إلى بناء، محتاج إلى إصلاح، ونفسي لا ترضى عن إصلاح عنيف... قصر عال... مهما كانت هندسته، سُبَّةً في التعمير، فإني لا أطيق أن يوضع تحت البارود وينسف دفعة واحدة. لكني أريد، أن أحب أن يُنْقَضَ حجراً حجراً. **قرأت للدكتور عمر فروخ مقالاته عن جبران**، وكنت أقرأها على مسمعٍ وبصوتٍ عالٍ أمام الفاخرات المتطاولات، فيسكتن، فأتمثل بقول الراجز:

ما لك لا تنبحُ يا كلْبَ الدوْمْ قد كنتَ نبّاحاً فمالكَ اليَوْمْ

لكن مع هذا كله ولتوافقنا كثيراً في فكرتنا عن الرجل، كنت أرى من العنف الابتداء من حيث الانتهاء. ذلك إنّ أول مقالات الدكتور **عمر فروخ**، كانت الإنكار، ثمّ دلّل لماذا يُنْكر. وهي طريقة في الرياضة مشهورة، طريقة فرض المسألة محلولةً؛ ثم البرهان. وهي أيضاً طريقة في التربية تسمى الطريقة النازلة إلى العقل، وهي إعطاء النتيجة والقاعدة أولاً ثم تثبيتها.

إلاّ أن الذي لا يعلم ذلك يعد هذا النوع من النقد تحاملاً، وهذا الإصلاح هدماً. ويعتذر الدكتور، على ما أظن، بأنه لا يكتب إلاّ للذين يفهمون ويريدون أن يعلموا. والفلاسفة الأدباء، أو الأدباء الذين تخرجوا في **الفلسفة** لا (يواربون)، ولا يلتوون بأحكامهم فيقولون للكاذب: كاذب، ولا يلطّفون من ذلك، فيقولون للكاذب: لم تقل الحقيقة ولم ترافق الصدق. إن النواة الهابطة في معارج الخلود، التي لا تمر ما هبطت، بمن يُدعى **جبران**، صورةٌ عظيمة وخيالٌ، ولكنها عنيفة في البدء. سألتك الله، **ونحن في عصر الديمقراطية**، ألا يحق، ويجب أن تعرف الناظرين إلى القصر العالي على النقص فيه، وأن تشير إلى **سوء الهندسة** قبل أن تنسفه. إن المحكمة قبل أن تدين شخصاً تقول له (الحيثيات)، ثم تقول إنه مجرم، وأن عقابه كذا من أنواع العقاب. لكن عذر الدكتور أن الحق لا يُستحيى منه. وعذره أن لا التواء ولا مداهنة. ولا رقة مع المخطئ. وهذه طبعاً، خلّة أراها كثيراً في الرجال، الذين لا يطيقون إلا الصراحة، وقول ما في النفس كاملاً وغير منقوص كيفما اتفق. إن من مقالات الدكتور الأولى مقالةً عن **شعر جبران**، ولقد انتفى مثلي مواكبه، ولم يجد الدكتور فيها كبير شأن، ولا ما يحوج إلى المقام، عندها، فمضى عنها بعد قليل من الكلام، أرانا به قيمة هذا الشعر باختصار. لكن أنا سأحاول أن أقف طويلاً قدر ما أستطيع، أستعرض **مواكب جبران**، لأرى وأرى أنه لم يكن مظلوماً. وأنه **قُدّرَ تقديراً كبيراً، ربّما كان أكثر مما يستحق.**

*** نقد لغة المواكب:**

اللغة مفرداتها وتراكيبها، ركن وطيد في إبراز الصورة جميلة، وإن امرءاً يريد أن يصف جميلاً وهو لا يُحسنُ أن يجد لهذا الجمال كلماتٍ ومباني تسعه لمسكين عيّ، وفي المواكب صُوَر من هذا العيّ وعدم المقدرة على ضبط ما سهل من **قواعد اللغة**، مفرداتٍ وتراكيب.

وإنك ليطالعك في أول صفحة من المواكب، غلط لغوي وعروضي، فهو يقول:

فـــلا تقـــولنَّ هـــذا عـــالمٌ عَلَـــمٌ ولا تقـــولنَّ ذاك الـــسيّد الـــوَقُرُ

فأفضلُ النـــاس قطعـــانٌ يـــسير بِهـــا صوتُ الرعاة، ومن لم يمـــشِ ينـــدثرُ

والواجب في (يندثر) أن تكون مجزومة لأنها جواب الشرط. وإن حركت جاز أن تحرك بالكسر، وإذا حركت بالكسر كان الإقواء، وهو عيب من عيوب العروض. إلاّ أن جبران الشاعر يجوز له ما لا يجوز لغيره فليرفع ولينصب كما شاء.

إني لأعجب للناس كيف يجيزون للشاعر خطأ، ويأخذون ذلك على النـاثر. وإني لأعـده ضعفاً في الشاعر أن يتجوّز كثيراً فينصب ما حقه أن يرفع ويرفع ما حقه أن يجزم. والملاحظ في مواكب جبران أنه **لا يقيم لـ (مَنْ) الشرطية وزناً، ولا يُعْمِلها أبداً**، كأنها لم تُرْوَ عاملةً عمن وضعوا اللغة. وهو غير ما سبق يقول:

فمـــن يعـــانِقُ في أحلامـــه سَـــحَراً يبقى، ومن نـــام كـــلّ الليـــل يَنْـــدَثِرُ

ومـــن يـــلازمُ تربـــاً حـــالَ يقظتـــه يُعانفُ التـــربَ حـــتى تخمـــدَ الزَهَـــرُ

لقد نظر جبران في أفعال الشرط وأجوبتها ووجد أنه إذا جزم خرج عن البحـر واختـل الوزن فلم يجد خيراً من أن **يتجاهل وجود (مَنْ)** المسكينة، أو هو جاهل لها. من يدري؟؟؟ ثم ماذا؟؟ أنظر قواعد اللغة كيف تُؤتى وتُهدَم. اسمع:

فسارقُ الزهرِ مذمومٌ ومُحْـتـقـــرُ وسارقُ الحقلِ يُدعى الباســلُ الخطـرُ

أنظر كيف **رفع الباسل، في حين أنها واجبة النصب لأنها مفعول يُـدعى، الـتي صـار مفعولها الأول نائب الفاعل، وظل مفعولها الثاني مفعولاً. وعلى هذا فالخطأ لا يبقـى عنـد (الباسل) فقط، بل يتعداه إلى (الخطر) التي يجب نصبها لأنها نعت منصوب.**

وجبران **يتجاهل حرف الألف** بعض الأحيان، لأن في قراءته وإعطائه حقه من **فتح الفكين** ما يذهب بوزن الشعر:

ربّمـــا الـــسعيُ بغـــاب أمـــلاً وهـــو الأمـــلْ
إنّمـــا العـــيشُ رجـــاءٌ إحـــدى هاتيـــكَ العلـــل

فألف (إحدى) ضاعت، ويجب أن تضيع لأنه بغير ضياعها لا يستقيم تقطيع البيت بتفعيلاته **وقس على ألف (إحدى)، ألف ماذا** في قوله:

فـــإن لقيـــت مُحبـــاً هائمـــاً كَلِفـــاً في جوعـــه شَـــبَعٌ في ورده الـــصَدَرُ
والناس قالوا هو المجنون مـــاذا عـــسى يبغي من الحـــب أو يرجـــو فيَـــصْطَبِرُ

و(الشرقي) **وسكون يائها المضعّفة** أمر عجب في قوله:

فمـــا طـــوت شمـــأل أذيـــال عاقلـــةٍ إلاّ ومـــرّ بـــهـــا الشرقيْ فـــتـــنتشر

وسكون فاء (جفنات) في قوله:

هـــل جلـــست العَـــصْرَ مثلـــي بـــين جفْنـــات العنـــبْ

أمر عجب، إذ **القاعدة أن تحرك عين فَعَلات إن لم تكن عِلة.**

ثم انظر إلى **همزة الوصل التي تُقْطع إبقاء على الوزن**، في قوله:

والظُرفُ في الناس تمويـــه، وأبْغَـــضهُ ظُرفُ الأولى في فنون الإقتدا، مهـــروا

مع أن **الأصل في همزة الخُماسي أن تكون همزة وصل.** ولكن عذيري... والوزن يريـــد هذا. وغير ذلك من أغلاط نحوية وصرفية كثيرة لو أرادت مبتدئة ممن أعلمهن أن تجد كثيراً منها لوجدت. **كالغدّ المشددة** في قوله:

فهو النبـــيّ وبـــرد الغـــدّ يحجبـــه عـــن أمـــةٍ بـــرداء الأمـــس تـــأتَزِرُ

والغدّ بالشدة لم يعرف، ولكنه عرف على أصله الواوي، وما كان أجدره باســتعمال الغَدْو، إذا كان لابُد من ذلك، لأنه ورد بلغتهم وأمثالهم. غير أنه من يقول لنا إن جبران كـــان يعرف ذلك؟؟ (وان مع اليوم أخاه غَدْوا). أما **المفردات**، واستعمالها يدل على عـــدم معرفـــة

مَعْنياتها فحدث عنه ولا حرج، وإنه لكثير كثرة لا تطاق في مواكب جبران. وإني لناقلة لك بعض هذه الأخطاء الكبيرة فهو يقول، وعمر السامع يطول، وصبره أيضاً...

لـــيس في الغابـــات عـــذلٌ ....

فـــإذا الغـــزلان جُـنّـــت إذْ تـــرى وجـــهَ المغيـــب

لا يقـــول النـــسرُ (واهـــاً) إنّ ذا شـــيءٌ عجيـــب

إنمـــا العاقـــل يُـــدْعى عنـــدنا الأمـــرَ الغريـــب

(**فواهاً**) هذه الكلمة تستعمل **للتفجيع** نادراً، و**للتعجب من الطيب** دائماً، والعرب قالوا: واهاً بك، وواهاً لك؛ يعنون **ما أطيبك**، و**ليس في (واهاً) معنى الاستهجان والمذمة**، كما يفهم القارئ من شعر جبران بعد إذ سبقها العذل، وتلاها ما يفيد ذلك.

(**وغُلْبَةٌ أو غَلْبَةٌ**)، بمعنى الانكسار، لا وجود له في اللغة إلاّ أن يكون ذلك في لغة العوام. إن جبران يقول:

ففي انتصارات هـــذا غلبـــة خَفِيَـــتْ وفي انكسارات هذا الفـــوزُ والظَفَـــرُ

إن هنالك (غَلَباً)، قال تعالى: ﴿**غُلِبَت الرومُ في أدنى الأرض وهم مـــن بعـــد غَلَبـــهم سيَغْلبون في بضع سنين**﴾. ثم انظر إلى صيغة غير واردة أيضاً، اسمع!!

من آمـــلٍ بنعـــيم الخلـــد (مُبْتَـــشِرِ) ومن جهـــول يخـــاف النـــارَ تَـــسْتَعِرُ.

لاحظ (**مُبْتَشِرِ**)، وخُذ معجمات اللغة كلها وإنك لن تجدها. وبشرت الخـــشب فابتـــشر والخشب مُبْتَشِر غير مستبشر. وزيادة الهمزة والتاء التي يقصد بها المطاوعة، لا تدخل على اللازم. قد يعرف جبران هذا، ولكنه يريد أن يزيد صيغة جديدة إلى هذه اللغة الفقيرة.

ولكن... ماذا تعمل بالوزن إنه يجر ما تجره القافية، وإنه يُعقب على مـــا أعقبـــه الـــسجع القاضي (قم)، حين أراد قاضي قضاة بغداد أن يشكر له هدية، فأحوجه السجع والجناس إلى أن يكتب: أيها القاضي بقُمْ، قد عزلناك فَقُمْ. ثم؟؟

وقلّ في الأرض مَنْ يرضى الحياة كمـــا تأتيه عفوا، ولم يحكـــم بـــه الـــضجرُ

إن (**عفوا**) هذه استعملت كما استعملها جبران انحط إلى تعبير العامة. والعرب لم يستعملوها هكذا؛ إنه يريد أن يقول: كما تأتيه كيفما اتفق وقُدّر. فجاء بما يجيء به من لا يعرف العربية طرق الإبانة عن نفسه.

وهناك استعمال غريب أيضاً غير ما مرّ بنا، ذلك قوله:

فإن تحرّر من أبناء بَجْدَته يظلُّ عبداً لمن يهوى ويفتكرُ

ولست أدري أنا ولا القارئ الملم بلغته، ماذا عنى جبران بأبناء بجدته. إنه لاشكّ يعني أبناء جنسه ويفهم هذا من القرينة والسياق. ويقول العرب ذوو العربية إن فلاناً ابن بجدتها، وهم يعنون أن فلاناً العالم المتقن لأمر ما. وبجدة الأمر داخله وباطنه، **وليس ثمة معاني البجدة الجنس أو النوع**. كما أراد المرحوم جبران ولكن ماذا يعمل. إنّ هذا البحر من العروض، يستلزم (أبناء بجدته) هذه كي لا تثور أمواجه، ويطغى.

– هذه مآخذ نحوية ولغوية أخذتها للغته فقط، ولو حاول غيري أن يجد غيرها لما أعياه ذلك، لأنها كثر في **مواكب جبران**، التي بدت بأغلاطها كأنها مواكب مآتم وحزن، لا مواكب مآتم الفرح والسرور. والفقيد المحزون عليه لغتُه مسكينة، مسكينةٌ جداً؛ أمّا معاني المواكب، فهي أعجب من لغتها، شوهاء اللغة التي في المواكب، سقيمة، مسروقة، لها بحث خاص إن شاء الله.

(مريم...)

3. مـا جـبـران ؟؟ (*)

بقلم: مريم...

مقدّمة: نقد عشقُ الشُهْرَة:

قال لي أبي وهو يعظني: أي بنية!! إياك وحب الظهور، فإنه دليل على النقص. والساعي له صدفة تلفظها اللجة لتوهم الناس، ولا تني تلمع حتى يُلقاها من يكسرها لاعناً فيها الآل الخداع والبارق الخلب. أي بنية!! واللؤلؤة الفريدة مكنونة، في ظلمات اليم مخدورة، خفاؤها يحمل الناس على إخفائها، ولو ظهرت كالصدفة لصدفت عنها النفوس. (وحب الظهور مراء وليس كالرياء يذهب الأجر ويبطل العمل الصالح). ودخل أبي في صلاة قرأ فيها: (... ولا تزكوا أنفسكم...) وظللتُ أنتظر حتى أتم صلاته أبطأ ما يكون وقد يستبطئ العجلان. ولما انفتل من صلاته، قلت: وما دعا إلى النصيحة هذه يا أبة؟!. قال: تقدمة ما استأذنتني لكتابته عن جبران، (وهو يعني ما أولانيه أخي الدكتور عمر فروخ من مدح توج به مقالي).

قلت: يا أبت!! أتمنع الناس أن يشكروا الحَسَنَ إذا تراءى لهم ذلك؟، ثم ما ذنبي؟؟ قال: كأني بك راضية عن ذلك... إنكنّ معاشر النساء لكذلك. ورحم الله شوقياً... قلت: لا يغرني ثناء. قال: ولا تعملي لذلك!!! إياك!!!. وانطلق يسعى يمير العيال، وطفقت أفكر فيما قال.

حب الظهور؟؟ هذه طبيعة في الأناسي. مظهر من مظاهر التسلط والرغبة فيه. والرغبة في السيطرة سنة ينتظم بها الكون، وتنتظم أحياءه كلها. فَلِمَ نعيب حب الظهور؟؟ وهو حب الحياة. ولِمَ يحظر علي والدي أن أذيّل ما أكتب باسمي كاملاً؟؟ إنه يقول لي دائماً: (الشهرة أحابيل تعرقل، فتحاشيها وابقي مغمورة خير لك وأبقى. في الظهور تعب والموج المتعب أكثر ما يكون على السطح الظاهر والإنسان، لا يزال في تعب ما دام ظاهراً على ظاهرها، فإن توارى طيها فقد استراح). **حب الظهور غريزة مالكة**، أو بطانة لغريزة مالكة. وما حيلتنا بما خالط الدم في

---

* - مجلة الأمالي، العدد 50، بتاريخ 1939/8/11

العرق، إذن؟؟ لكنا هو العقل، يعقل حراك النـــزعات، خلق لذلك. فلو عاش الناس بغرائـــزهم وحدها على هنواتها لأكل قويهم ضعيفهم كالسبع. ولو أراد كل محب للظهـــور أن يـــصل إلى بغيته ويهتدي على ضالته بدون قيد، لتخربش كتاب العالم. الدين — وهو العقل — في كل أمره جاء ليلطف الغريزة العارمة. ألا ترى حب الامتلاك قاد إلى السرقة وقطع الدين يد السارق حداً. وحب الاقتناء قاد إلى البخل — فالبخل غريزة — وداوى الدين ذلك بالزكاة فرضاً. ألا ترى إلى تأمين الحياة Security of life الغريزة الأساسية، كيف خفف غلواءها بإرخاص الـــنفس في جهاد وتفانٍ من أجل مبدأ.

العقل — وهو الدين — خُلق ليعقل رجلي الغريزة فلا تمشيان إلا بقـــدر، ولا تخطـــوان إلا بمقدار؟. والرياء، وهو حب الظهور، أبطل الأجر وذهب بالثواب وهو عدم الظهور. ويكفـــي المرء خزياً أن يقال له **مُرائي**. فكأن المتشاهر ما تطاول إلاّ لينغمر، وما علا إلاّ لينحط فياليته ما تشاهر وما علا. لكن الناس غير ديّنين بالطبع، لأن الشر أصل فيهم. فهل غير لإبطـــال العمـــل والذهاب بالأجر **دواء للمتكالبين على الظهور؟**. لعل حبَّ الناس كلهم للشهرة والسيطرة دواء لهذه النزعة، (كما يتداوى شارب الخمر بالخمر)، وكما يتداوى بجرثومة الحمى من الحمى، فإن اشتهر (زيد) غمره (عمرو)، وإن تعالى عمرو حطه زيد، والحرب بين **زيد وعمرو** عوان، مـــن قديم العصر وسالف الزمان، وربما كان تضاربهما الطويل الذيل، لم يود بأحدهما بعد في النحـــو من أجل هذا. **زيد يرى في عمرو زيادة تجلب الشهرة، فتجعله بدعاً في الأعلام**، وزيد كلما رأى هذه الواو، أكلته نار الحسد فينشد يضرب. وعمرو يرى في معنى زيد زيادة يريدها لنفسه فوق ما عنده، فيجعل يدس ويشغب. والحرب بينهما لا يبرحان، حتى تتوارى واو عمرو وتنقص زيادة زيد. قال الناس وافتنوا في البحث عن أصل عداوة هذين. فقالوا إن الخصام من أجل داود الذي سلبه عمرو واواً، وقالوا غير ذلك. غير أن زيداً، عربي ابن عربي وداود يهودي، فليس من العقل والنقل في شيء، أن يحارب زيدٌ عمراً هذه الحرب الضروس، التي لم تضع أوزارها ولن... من أجل يهودي، إلاّ أن يكون زيدٌ هذا أحد سكان بيت المقدس الذي بورك حوله.

أيها الباحثون. خلوا عنكم!! **حب الشهرة، هو الذي أفسد ما بين أخويكم**، فأصلحوا ذات البين. وإن بغى أحدهما فقاتلوا الذي يبغي حتى يفيء...). أيها الباحثون!! عصى الشيطان ربه وغوى وأغوى من أجل الشهرة، التي نازعه إياها آدم أو رأى أنه ينازعه عليها. أيها الباحثون!! فأيما مخلوقين دقا بينهما عطر منشم، فحُبُّ الظهور سبب. وأيما مخلوقين أخر نبقا لينباعا، فحب الظهور أصل؛ فتعلموا!!!. وحب الظهور بين جنسي الأوادم مختلف جداً، فهو بين الذكور يؤدي إلى سفك دم وإزهاق روح وطمس حقيقة، غلاباً. والتاريخ شاهد. وهو بين الإناث إسفاف وسخف. ويكفي أن تعرف أن إحدانا لتلبس ثوباً جديداً، فتدور تريه الناس، فلا تترك طريقاً إلاّ سلكته ولا مزدحماً إلاّ خاضته. ويضيق العالم الذي يسع الناس كلهم، فلا يكون إلاّ ثوبها الذي يسعها. وإن إحدانا لتتختم بحديدة — الواحدة من الحديد — فلا تبرح تعرض إصبعها بمناسبة وغير مناسبة، حتى لكأن جسمها كله تقلص إلى إصبع وتقمصت الاصبع في خاتم. هذا الظهور السخيف لا خوف منه على بشريّة. فهو من المحرم لذاته — كما في أصول التشريع — واكتفي بالنهي عنه — في الأحزاب — وتغرير الأهل من أجله (كذى العر يكوي غيره وهو راتع). **ومحبو الشهرة كذابون، لأن ذلك يستلزم التدليس والإدعاء.** ومحبو الشهرة سراقون صفات ليست لهم، ويلبسون جلد غيرهم.

هذا غرّ لا يكاد يحسن قولاً، يسمع بالشعر ويسمع أن له أوزاناً، فينطلق ينظم، ويقول هذا **شعر**!! فتقولين له: ولكنه غير موزون. فيقول: أعياني وزنه. ولم أدر كيف يوزن، وعز الميزان فقسته قياساً بالمسطرة، وجعلت كل شطر طول الآخر وكل شطرين طول آخرين وما الفرق؟؟ الوزن أخو القياس. وهذا غِرّ لا يكاد يفقه شيئاً يسمع بالقصة، ويسمع أنها تعقب شهرة، فيحيك **قصة** كيفما اتفق له. وحين تقولين له أين الحوادث؟ وأين وأين؟ فيقول أرى كأن نومي وقيامي وأكلي وما يجري لي غير حوادث؟؟ ولقد ذكرت كل ذلك في القصة وحبكته حبكة مقتدر مفنّن.

وهذا غر؛ يسمع أن هنالك **منطقاً وفلسفة**، وأن أناساً يرحلون لهما إلى **ألمانيا** والنائيات ويتخرجون فيهما؛ فيغدو إلى أهله يهرف ويخرف. وحين تقولين إنك لا تفهمين ما يقول،

يحيبك إنها الفلسفة لا يعلمها إلا القليل. وهذا غر؛ يسمع **برفائيل** ومشاهير المصورين، فيرسم خطوطاً مستقيمات وعوجاً، ويقول لك هذه صورة رمزية، وهذه رسمة مثالية. هذا الخط المستقيم يرمز إلى استقامة الضمير الحي في العالم، وهذا المعوج المنأطر يعني العوج في خلق بني آدم وفي طباعهم. كل هؤلاء طلاب شهرة، يطلبونها بما رأيت من سفاسف. وليس عليهم حق، ما دمنا نعرف أنهم إنما يحاولون كفاية غريزة وسداد حاجة، لكن اللوم والعتبى على من يشدون أزرهم ويشجعونهم. فلا يقولون للشاعر إنك من الصنف الرابع من أصناف الشعراء وتستحق.. ما من حقه. ولا يقولون للقاصّ: إن لما جئت به طعم قصاص لا طعم قصة. ولا يخفتون نأمة المتفلسف، ولايهدون ضلالته ولا يعقدون لسانه. إن أخطر ما أرى على **الأدب** هؤلاء، المادحون المقرضون، يقرضون الشهادات المفسدة وينعتونه بالمبدع والمفن ويصفونه بالخالق. هؤلاء خطر على الأدب. ألا ينبغي أن نقول لمقرض التقريض إنه زور وكذب. ولماذا نسفهه ونرد شهادته دائماً. أيكون (تقريض) الأدباء، أو المتأدبين بعضهم من قولهم، الأيادي قروض وأصل المادة إن عتب أحدنا على زور كذب من مقرضي الشهادات هؤلاء وعاب عليه استحسانه للمستهجن، أجاب إن المسألة مسألة ذوق ومزاج، وأجاب إن الحسن والقبح في الأمور النسبية، فلا عتاب ولا لوم. في الرياضة، الواحد والواحد اثنان، لا جدال في ذلك. وفي الأدب في كل شيء جدال، وفي كل صغيرة أقوال. ولو كانت قضية (الواحد والواحد اثنان) من قضايا الأدب، لمحّل الناس، وافتعلوا لها الأقاويل، يروونها عن ثعلب والخليل. ولكان لكل منا رأي لأن **قضايا الأدب الحكم فيها الذوق والمزاج؛ والذوق والمزاج قاضيا النار** في القول الشهير: (قاض في الجنة وقاضيان في النار). جرّ هذا الحديث، هؤلئك — للإبعاد الشديد — الناس من الأدباء يشكلون **شركات الإنتاج والترويج**، ويعقدون تحالف دفاع وهجوم. **إن قال أحدهم (فالقول ما قالت حزام)، ولو كان أكذب من مسيلمة وبرق الصيف.** وإن شَعُر أحدهم (صار شاعراً بضم العين)، أخذ أحدهم البيت يتغنى به والآخر يرقص عليه. ولبيت العنكبوت أمتن، ولشعرة في بيت شَعر أغلى وأحسن. وإن قص أحدهم قالوا أوحي إليه، وإن ملأ أوراقاً بهراء قالوا ذلك **التنزيل**، وإن لم يكن فأخوه وإلاّ فابن عمه. **وإن وقف عاقل معترضاً يصيح بهم ما هكذا**

الشعر ولا القصة ولا التفلسف، هاجموه كلهم؛ ونزلوا منه على الشريطة بينهم، وعلى الاتفاق المعقود والأصر المأخوذ. هؤلاء لعمر أبيك، أعداء الحق **وقابضو روح الأدب. يمدحون القبيح ويستقبحون المليح**؛ انقلبت أذواقهم؛ ويريدون قلب أذواق الناس. هؤلاء شركاء الظهور، وانصباء الاشتهار. أعيى واحدهم شقُّ الطريق للبرز في الأرض، فتوسل بالمجموع من شاكلته. وتطاول وعطا واشرأب ووقف على أخمصيه، ولكنه ظل قصيراً فاستحملَ نفسَه الأخوانَ من جنسه يرفعونه ولو قليلاً (والأيادي قروض). نعم... في بلدٍ من بلاد العالم — ولا أعني لبنان — يوجد هذا. ولكن وجدانه يعني عدم الأدب. **مدح في مدح في مدح... قتل النقد، وخنق الإصلاح**، ورث الابتكار وصرنا نهذي... وقلنا شَعُرْنا، وكتبنا، وألّفنا... ومدح في مدح...

وإن تطل الحال يا مسعودُ كما ترى، ضاع الجنى والعودُ

يعمل عامل فيسيء، ويقصد أنْ يُسيءَ فَلِمَ لا نؤاخذه بما عمل، ولم لا نعلمه كيف يعمل؟؟ ونفهمه أن يقول ذيت وذيت، وإن يفعل كيت وكيت، إن أراد أن يقول وأن يفعل؟؟!!

إننا لا نفعل ذلك؛ ولا نسكت — كما يسكت أضعاف الإيمان. بل يروح واحدنا ومجموعنا يمدح ويطري، آملاً أن يُمدح ويُطري أو يُسكت عنه غداً، حين يسيء ويُسف (والأيادي قروض). **كل كتاب يصدر، وكل شعر ينشر، في هذه الأيام، فتحٌ في التأليف وفتحٌ في الشعر، وابتداع لم يسبق، ولن يلحق**، ولهذا قعد العاملون عن العمل، أو عملوا بدون مستجيد، لأن الصالح والطالح جزاؤهما واحد، وما الفرق بين الخير وأخي الخير تساوياً جزاء وتشابها عقبى؟؟ فيم إتعاب النفس؟؟. **دخل (الزيف) إلى سوق الأدب**، فكسدت وقلق الشاري وتزعزعت ثقته وسيقل الطلب حتماً، وسيقل العرض أيضاً، عكس التجارة تماماً. **وستصير الكتب وغير الكتب إنما تخرج، لتدخل حوانيت البقالة يلف فيها الفلفل، والبهار، وكل هذا جره إخوان (والأيادي قروض) وشركاء (ارفعني أرفعك). وجبران ومن لف لفه من هؤلاء، فإن أردت أن تقفهم عند حَدّ، وإن حاولت أن تُري الناس ما في أعمالهم كلها من (زيف)،**

هاجموك وسلقوك بألسنة حداد باطلاً. وهكذا التحالف، وهكذا الشركات، وهكذا الاتفاق الأدبي الدفاعي الهجومي...!

* * *

نقد المعنى في (المواكب):

- مقدمة طويلة لم أردها وكنت أريد أن أكمل ما بدأت به من استعراض **مواكب جبران** الديوان البديع في الدواوين، البالغ من الصفحات سبع عشرة عداً، ملأى... إحساساً وشعوراً. لكن ارجعي وقولي الأمر في الأدب أمر (كيف، لاكم)، (Quality not Quantity)، ثم ارجعي قولي أيضاً إن المواكب ليست (كيفاً ولا كماً)، وكيفها أقل شأناً من كَمّها. وكيف ذلك، ذلك أن لغة المواكب وقد رأيت ما هي، تشبه معاني المواكب، وسأريك ما هي:

- ذلك أن **معاني (المواكب)، ليست لجبران.** ذلك أن هذه المعاني قالها آخرون من قبل جبران بصورة خير من جبران... يقول جبران:

الخيرُ في الناس مصنوعٌ إذا جبروا والشرُّ في الناس لا يفنى، وإن قُبروا

وقول جبران هذا سمعناه كثيراً من كل زاهد ومن كل فيلسوف منذ خُلقت الأرض وعرف الأدب والفلسفة، والشاعر القديم يقول:

الشرُ في الناس خلقٌ والخيرُ فيهم تَخَلُّقْ
ذو الفضل يكْسَدُ لكنْ أخو النقائص ينفقْ

ولو أردت أن أجيء على أسماء شعراء قالوا هذا لطال التعداد، ويكفي أن أجيء **بالمعري**، وربما قال في هذا الباب قال:

ألم تر أنَّ الخير يكسبُهُ الفتى طريفاً، وأنَّ الشرَّ في الطبع مُتلِدُ

وقال:

والشَرُّ في الجدِّ القديم غريزةٌ في كلِّ نفْسٍ منه عِرْقٌ ضاربُ

وقال:

ونحن في عالم صيغت أوائلُهُ ... من الفساد، ففيّ قولُنا فسدوا

وقال:

في طبعنا الزيغُ والفسادُ ... وهذا الليل طبعٌ لجنحه الحَذرُ

(شدة الظلام)

وفي كل صيغة من هذه الصيغ التي صاغها **أبو العلاء**، يظهر الفرق بين الشاعر والباعر، والمالك للغته وغير المالك، ولكن مالي ولهذا:

ألم تر أن السيف ينقص قدره ... إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

قد يقول قائل: (إن أردنا أن نعيب على كل قائل قوله، لأنه ردد معاني لغيره لم يكن هناك في الشعر إلاّ معيب:

ما ترانا نقول إلاّ معاراً ... ومعاداً من قولنا مكروراً

أقول... إذن فأين الابتداع، وأين الابتكار. وكيف يُرى الشاعر أنه شاعر إن لم يبتدع وإن لم يبتكر: وأقول أيضاً: إن الإنسان ليغتفر لمردد قول القدامى ترديده إن يلبس الصورة لباساً جميلاً، كما كان يفعل البحتري وأبو تمام مثلاً، فتبدو الصورة كأنها مبتدعة جديدة. غير أن جبران لم يستطع أن يخلق، ولم يستطع أن يجد الثوب اللفظي الجميل للصور والمعاني يسلبها غيره فكان ذلك عجباً في عجب عجاب. وبدت هذه المعاني بأطمار بالية من اللغة، تراها ناكسة الرأس مكسورة الخاطر، شأن السبايا الحانّات إلى أهليهن وذويهن.

ولكي يعلم أني لا أتجنى على جبران، سأنقل بعض المعاني التي أخذها من أهلها غصباً، وخاصة المعري. والميت ساه ضعيف، بل دون ذلك بكثير لأنه لا يصحو ولأنه لا يقوى إلاّ في وقت معلوم هو بالتدقيق غير وقت استضعاف واستغفال...

يقول جبران:

وأفضل الناس قُطْعانٌ يسير بها ... صوتُ الرعاةِ ومَنْ لم يمشِ ينـدثرُ

وأظن انه يريد أن يقول وأكثر الناس، لأن التفاضل أو التفضيل نابٍ عن هذا الموضـــوع... والمعنى هذا رُدّد منذ عُرفت سيطرة الفرد على المجموع، ومنذ حوولِ إصلاح هذه الخلة من خلال المجتمع، إذ انطلق كل مصلح يقول للخلائق المستضعفة إنهم مثل القطعان يرعاها فردٌ ظالم وهي إن لم تسر كما يريد صوّت عليها أو ساطها.

وأنـــتم القطعـــان يُـــرعيكم راعـــيكم الـــشيح وَيرعـــاكمُ

(يـــأكـــلـــكـــم)

وأبو العلاء، يقول:

إنمـــا سائـــسُكُمْ دائـــبٌ يرعـــى المطايـــا وســـوق الحمـــير

واعتاد الفلاسفة أن يتهكموا بالدين الصناعي التجاري، وبما أن جبران يريد أن يتفلـسف قال:

والدين في الناس حقلٌ لـيس يزرعُـهُ غـير الأُلى لهمـو في زرعـه وطَـرُ

مـن آمـلٍ بنعـيم الخلـد مبتـشرٍ ومن جَهـولٍ يخـاف النـار تـستعِرُ

فالقوم لولا عقاب البعث مـا عبـدوا رباً ولولا الثـواب المرتجـى كفـروا

كأنما الدين ضَـرْبٌ مـن متـاجرهمْ إن واظبوا ربحوا، أو أهملـوا خـسروا

وقد جمع أبو العلاء كل هذا في بيت واحد: ومثله كثير في لزومياته:

والدين قد خسَّ حـتى صـار أشـرفُهُ بـازاً لبـازين، أو كلبـاً لكُـلابِ

فأي الاثنين أفاد؟؟ ناشدتك الله!! ولِمَ التطويل وإقلاق البال؟! ناشدتك الله!! والعدل؟... يستعرض **جبران** مظاهر المنطق المعكوس في العدل:

فالموت والسجن للجـانين إنْ صـغروا والمجد والفخـر والإثـراء إن كـبروا

فـسارقُ الزهـر مـذموم ومُحتقـرٌ وسارقُ الخيل يُدعى الباسـل الخطـر

وقاتـلُ الجـسم مقتـول بفعلتـهِ وقاتلُ الروح لا تـدري بـه البـشر

والشاعر القديم يقول:

لا عدل في الناس قتلُ الفردِ جَرَّ فنا الجاني، ولكنَّ قتلَ الجميع مغفورُ!!

المجرمون إذا حَسُنَتْ جرائمهمْ ... جوزوا وإن هي جلّت شنعةً جوروا

وسارقُ البَيْضِ مأخوذٌ بفعلته ... وسارقُ البيضِ ممدوحٌ ومشهورُ

ما عدلُ أبناء حواءٍ سوى حَبَبٌ ... طاف على الماء وهو، الوشكَ، مفجورُ

ولكن بدل أن يسرق جبران تشبيه العدل بالحَبَب المفقوء فكر بماذا يشبه، بماذا؟؟ بالثلج الذائب:

إن عدل الناس ثلجٌ ... إن رأتْهُ الشمسُ ذابْ

وهنا العبقرية، وهنا النبوغ، فتعلّموا!!! ويقول جبران:

فذا يعربد إن صلّى وذاك إذا ... أثرى وذلك بالأحلام يختمر

فالأرضُ خمارةٌ والدهرُ صاحبُها ... وليس يرضى بها غير الألى سكروا

والشاعر كشاجمٌ الرملي، قال هذا:

هذه الدنيا كَحانٌ ... عتقتْ فيها الخمورُ

والأمانيُّ كؤوسٌ ... ويدُ الدهر تُديرُ

إن ننلْ منها رضينا ... وتلا الهمَّ حُبورُ

هكذا نحنُ سُكارى ... وبنا حق السمورُ

(الهزء)

يعني أن جبران وكشاجماً قال كلاهما شيئاً واحداً، سبحان الله، لا شك هذا توارد الخواطر!!! وجبران يقول عن الشخص الحر ذي الأحلام والمثل بعد كلام طويل:

وهو الغريب عن الدنيا وساكنها ... وهو المجاهر لام الناس أو عذروا

وأبو العلاء يقول:

والحـــرُّ في أوطانـــهِ مُتـــغَـــرّبٌ فتظنـــــهُ في مِـــــصْرِهِ بوبـــــارِ

(الموضـــــع لا يـــسـكـــن)

فأي القولين أبلغ؟؟ ناشدتك الله!! ثم قول جبران:

والحر في الأرض يـــبني مـــن منازعـــه سجناً له، وهـــو لا يـــدري فيؤتَـــسرُ

إن هوى النفس من قديم العصور شبه بسجن وقيد. وإنما زاهد قرأت له، كأبي العتاهيـــة، وغيره وجدت هذا المعنى منثوراً هنا وهناك:

أنـــت أســـيرٌ لجنـــود الهـــوى رهينُ حبسٍ لـــيس يرضـــى الفكـــاكْ

قـــد كبلتْـــهُ بـــالقيود المُـــنى فلـــم يعُـــدْ يـــستطيعُ فيهـــا الحِـــراكْ

وقال أحمد بن عبد الله بن سليمان:

وقد غلب الأحيـــاء في كـــل وجهـــةٍ هـــواهم وإن كـــانوا غطارفـــةً غُلْبـــاً

وجبران شبه هذه المنى وما فيها من أبجاد بالفقاقيع العائمة، الحبب، فقال:

إنّمـــا الأمجـــاد سُـــخْـــفٌ وفقـــــــاقيعٌ تعـــــــومْ

وأبو العلاء قال هذا في مثل هذا:

القلـــب كالمـــاء والأهـــواء طافيـــةٌ عليـــه مثـــل حبـــاب المـــاء في المـــاء

منـــه تنمـــت ويـــأتي مـــا يغيرهـــا فيخلـــق العهـــد مـــن هنـــد وأسمـــاء

وهذا أيضاً توارد أفكار وتصادف خواطر؟؟ يا عجباً!! ثم يقول جبران:

وما السعادة في الدنيا ســوى شـــبح يرجى، فإن صار جسماً ملّـــه البـــشرُ

لم يـــسعد النـــاس إلاّ في تـــشوقهم إلى المنيع، فـــإن صـــارو بـــه فتـــروا

والبيتان لهما معنى واحد كما ترى. ومعنى واحد مشهور يتضمنه المثل في كلمتين: الممنوع متبوع. أما في الشعر فحدث عنه ولا حرج:

لـــــذة المـــــرء أمـــــلْ فـــــإذا مـــــا نيـــــل مُـــــلّ

تحـــــسن النهلـــــة مـــــن عَـــــذبٍ ولا يحلـــــو العَلَـــــلْ

وأحب شيء إلى الإنسان ما منعا... وأما **جبران** يريد أن يعرف الناس أنه فيلسوف، فسوف لا يكتفي بنقد الأوضاع واستخطاء النظم بل لا بد من التطرق إلى عالم (اللا شيء) والتكلم عن الروح:

وغاية الروح طي الروح قد خَفِيتْ ... فلا المظاهر تبديها ولا الصُوَرُ

فذا يقول هي الأرواح ....

وينطلق **جبران** يعدد أقوال هذا وهذاك وهي أمانة في النقل يُشكر عليها لأنه روى لنا أقوال غيره وقال إنها لغيره على غير عادة... غير أنه لا بد من رأي خاص فقال:

لم أجد في الغاب فرقاً ... بين نفسٍ وَجَسَد

وحرية الرأي حق طبيعي. ولكن... هل صحيح أن لا فرق بين نفس وجسد في كل ظرف. أنا على يقين أنه غلطان وأن بين النفس والجسد بوناً عظيماً كما بين جبران والفلسفة.

والهوا ماء تمادى ... والندى ماءٌ ركدْ

والندى ماء ركد؟؟ وهل هو إلاّ ذاك؟؟

كأننا والماء من حولنا ... قومٌ جلوس حولهم ماء

أي: **وظلالَ الحور حورٌ ... ظنّ ليلاً فرقَد**

قالوا دخل شاكٍ على الملك في الأندلس يشكو له ناظر أحباس غمطه حقاً فوجد الملك في ظل كلما انكمش انتقل الملك... ووجد حوله شعراء يقولون في ذلك... فقال هو:

دب النعاس بأغصان وقد حَمِرتْ ... أزهارها كعيون ضامها السَهَرُ

فنام بعضٌ وبعضٌ قام يحرسه ... من مبغض راح بالأغصان يأتمرُ

كأنما الظل ظنّ الليل داهمه ... فنام ما راعه همٌ ولا خطرُ

وتخلس الشمس من أجزائه خلساً ... وفي الظهيرة لم يظهر له أثرُ

كناظر الحبس أكّالٌ لعهدته ... كنار ربّيَ لا تبقي ولا تذرُ

وهذا من بدائع التخلص إلى الحاجة لقنيه أبي حين كان يقرئني ما لا بد منه لأديب. فهل بعد هذا يقال إن جبران أجاد في هذا، لأنه جاء بشيء جديد. اسحب استحسانك يا أخي يا دكتور عمر!! والموت وما بعد الموت أمور لا بد للمتفلسف أيضاً أن يلم بها في تفلسفه، وكذلك فعل **جبران**:

والموت في الأرض لابن الأرض خاتمة ... وللأثيري، فهو البدء والظفر
ومن يلازم تراباً حال يقظته ... ومن يلازم الترب حتى تخمد الزُهُر

و**أبو العلاء** يقول:

فلا يرهَبنّ الموت من ظلّ راكباً ... فإن انحداراً في التراب صعودُ

والغريب أن جبران يقفى على الفقرة الخاص بالموت ببيت يهوّنه على الناس فيقول:

إن هول الموتِ وهمٌ ... ينثني طيّ الصدور

وهو تهوين مأخوذ من بيت **أبي العلاء**، ويتلوه بيت آخر:

فالذي عاش ربيعاً ... كالذي عاش الدهور

وهو أيضاً مأخوذ من قول **أبي العلاء**:

أضحى الذي أجلّ في عمره ... مثل الذي عوجل في مهده

والصوفيون يقولون:

(أول الحياة الموت، والدنيا جسرٌ القبرُ آخره).

ودارا ساكنٍ وحياة قومٍ ... كجسرٍ فوقه اتصل العبور

هذا... وهناك غير ما ذكرت معانٍ أخرى **سرقها جبران**، دارجة بين الناس فقوله:

وقلّ في الأرض من يرضى الحياة كما ... تأتيه عفواً ولم يحكم به الضَجَرُ

والمعنى كما ترى مطروق مقول معروف منذ الجاهلية وامرؤ القيس يقول:

يطلب الإنسان في الصيف الشتا ... فإذا جاء الشتاء أنكرَهُ
ليس يرضى المرء حالاً واحداً ... قتل الإنسان ما أكفَرَهُ

فأبوخ بجذوة كجذوة حرارتُها من الجاهلية...!!! ولهيبها عارية!! أما النادي والطبيعة وكل ما إلى ذلك فخلس اختلسها من آداب غيره. **والرباعيات وشعر الفرس** خصوصاً، **وشعر القرنجة** كثير الذكر لمثل هذا، وإن شئت دلتك على **(بايرون)** في الطبيعة، ودو **لامارتين**. أما بايرون فقرأت له بلغته التي أعرف كيف أفهمه بها، وأما دو لا مارتين فقرأت له ترجمة. ولقد ذكر لك أيضاً أخي الدكتور عمر خُلسَ جبران من ابن العربي ومن غيره. وقبل الانتهاء أحب أيضاً أن أزيد أن كل المعاني في المواكب الجبرانية تُرَدد أكثر من مرة فيها. ولو كلفت نفسك بقراءتها لوجدت ذلك في أول صفحة وفي كل صفحة ولقد مر بنا بعضها. وذلك كما تعرف ثرثرة.

وأبعد عن الثرثار حتى الورد من نهر على الظمأ اسمه الثرثارُ.

رحم الله جبران... أخذ من الشهرة ما ليس به حريٌّ وقمين.

واللوم والعتبى على شركاء الظهور، وعصابات التزييف، وشركة (الأيادي قروض).

مريم...

4. أصناف السّراقين(*)

• بقلم: مريم...

لا يعرف الناس إلاّ نوعاً واحداً من السراقين وهم سراقو المال. ولأن المال عزيزٌ على النفس مُحبب إليها، كان سراقوا المال بغيضين مذمومين. ولأن المجتمع يستوحي الفرد في التشريع، استنَّ قطع يد السارق، أو زجه في غيابات السجون إرضاء لأثرة الفرد المسروق منه.

وسراقو المال، في نظري، أهون السراقين شراً وأقلهم أضراراً. فهم لا يسرقون إلاّ عن عوز: والعوزُ، لو كنت قاضية، لعددتُه شبهة أتحامى بها الحدّ... أو عن حسد، والحسد، لو كنت حاكمة، لتداركته بما يزيله من الحكم؛ القوي، وقويتُ الضعيف، وجعلت الناس سواسية، مع تهذيب للغريزة، وتطبيع على الخير. أما السراقون فقد عميت عنهم الأبصارُ والقلوب، فيفعلون فعلهم ولا من يقول لهم: يا سراقين. ولا من يَحدّ... وإنه لظلم ما فوقه ظلم!!! زوج مع زوجها وفراخهما. يظل رجل يحوم حولها، ينصب من قلة دينه شراكاً، ويسرق النظرات... ويسرق فرصة يدّعي لها فيها: أنها سرقت لبه وقلبه. ولُبُّه في رأسه وقلبه في زغب الحواصل، فيسرق سعادة كثيرين بها...!!! وذا زوج مع زوجة وفراخهما، تظل أنثى ترفرف حوله وتذر له في الطريق حب الأماني... ولا تزال به حتى تسرقه، وتسرق به هناء زوج وهناء فراخ، وصلاح بيت!!! تلك وهذاك ومن شاكلهما، صنف من أصناف السراقين... سراقي القلوب، وناهبي السعادات...!!!

أي جزاء لهذين!!؟؟؟ وأي حدّ؟؟

لا جزاء، ولا حدّ!!!

وذا فتى خلقه الله ليكون رجلاً، عوذَ العذارى وملاذ الحمى، إلاّ أنّهُ لا يريد ذلك...!! فيذهب يسرق صفاتِ امرأة... يزجج حاجبيه، ويحمر شفتيه... ويمشي يتثنى... ويتخفر — وللوقاحة خيرٌ من خفارته — ويكذب أن النبي قال:

---

* – مجلة الأمالي، العدد 48، بتاريخ 1939/7/28

اخشوشنوا... وإن الشاعر قال:

كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا وعلى الغانيات جرُّ الذيول

لا يمرّ بمرآة إلاّ وقف أمامها يُصلح زينته ولا بزجاجة ولا ماء إلاّ راح يرى نفسه فيهما... **نرجسه الأسطورة...!!!**

وذه فتاةٌ... خلقها الله لتكون امرأةً... إمّا، أنّها لا تريد إلاّ أن تكون أباً. تهجر الخدر إلى الطريق وتتقاسى... وتعامل الفتيان كما يعاملهم الفتى... وتحكي ما يحكي الرجل!!! وتلبس ما يلبس... حتى هذه الشريطة من القماش المزوَّق يضعونها في العنق كالرسن... وتتقاوى... وتسرق صفات الرجال...!!! وتمرين به وبها فلا تدرين أيهما الفتى... وأيهما الفتاة!!!

هذان سراقان... **سراق أنوثة، وسراقة رجولة.**

أي جزاء لهما؟؟ وأي حد؟؟... لا جزاء ولا حد... وإنه لظلم ما فوقه ظلم.

* * *

وتذهبين إلى عملك مسرعة، فتلقاك صديقة فارغة... وتستوقفك تحكي لك خرافات وهذاءٍ؛ وتستغيب المسكينات والمساكين... تمسك بطرف ثوبك فلا تستطيعين فراراً. وحين يتعب ما بين فكيها — وما أظنه يتعب — تسيبك بعد إذ ربطتك طويلاً وبعد إذ أخرتك عن ميعاد عمل خير!!. وتذهبُ إلى عملك... ويلقك ثرثار، فيحدثك بذي شجون... ويستطرد استطراد أدباء الأقدمين... ويجبرك أن تسأل: قل لي لماذا؟؟؟ فتقول، وينطلق يشرح لماذا... وقل لي مثل ماذا؟، فتقول، ويروح يفسر مثل ماذا... ويهرب الوقت ويهرب معه رزق العيال، وقوت الأطفال، وتؤوب:

والريح تصفر في جيبي فَتَمْلأُها ولَيسَ تَملأُ ريحٌ، فارغَ المَعِدِ

تلك، وهذاك، سَرَّاقان. يسرقان منك الوقت وكل ما في الوقت من خير. وهذان ومن شاكلهما سراقون... سراقو وقت.

هل من جزاء؟؟ هل من حد...؟؟ لا جزاء ولا حد!!!

وذه أمة، تريد أن تحيا، وتريد أن تعيش بحرية — وهل الحياة إلا حرية — فتأتي أمة أخرى ظالمة، بحجة واهية... بحجة الوصاية، وبحجة التمدين...!!!، فإذا الغنى يصبح فقراً، والعلم جهلاً، والقوة ضعفاً... يسرقون كل ذلك وينكرون. بل يسرقون اسماً فاضلاً **ويسمون أنفسهم مستعمرين، وهم المستخربون حقاً**...!!! يوحشوننا... ويكذبون إنهم يمدوننا...!!!، وإن ثار الساكن... وتمرد المستخذي... ضربوه وفرضوا عليه أن لا يقول حسّ ولا بس! يهبوننا الألَم ويبخلون علينا أن نتألم... ويوقعوننا في الشكواء، وينكرون علينا الشكوى فلا يُشكون. هذا صنف من أصناف السراقين... وهو **أخطر الأصناف**. لأنه سرقة بالمجمَّع... فهل من جزاء...؟؟ وهل من حد؟؟ أيها الناس... أيها البشر!!! لا جزاء، ولا حد!!

* * *

وذا **شاعرٌ**... يكدح ويغوص في بحر الخيال، فيصيب لؤلؤة في معنى... بعد إذ يوشك أن يغرق. ويأتي شاعرٌ، لا يكدح ولا يحسن أن يغوص.... فيغزو ويسرق... ويدَّعي الملك... ثالثة الأثافي!!! هذا ومن شابهه، صنف آخر... الشعراء السراقون.

وهذا الصنف **أسخف الأصناف**، وأقلها خطراً وأدعاها إلى الضحك!! كما كان صنف **سراقي الحرية أخطر الأصناف**، وأدعاها إلى الاستقطاع!!! ولكن... هل من جزاء، وهل من حد؟؟

وهل لي أن أطلب إلى القراء أن يضعوا حدوداً ويستنُّوا جزاء لمثل هؤلاء السراقين؟

مريم...

5. الأدب المسكين(*)

• بقلم: مريم...

أخي الدكتور!

لقد قرأت ما كتبت لي. وإن في قصة آلاف الآلاف لأعجب العجب!! آلاف الآلاف تذهب عبثاً في إقامة صنم تهدّه نفخة وتحطّمه همزة!!؟!! كان يجب أن تصرف على اليتامى والمساكين. كان يجب أن يبْنَى بها ملجأ للعجزة والمجانين. كان يجب أن يطعم بها جائع ويُكسى عريان. كان يجب يُعبّد بها طريق في الجبل الجميل. كان يجب كل هذا أو بعضه فيفيد من الناس آلاف الآلاف هذه.

لكنها ذهبت هكذا هباء. وضاعت هكذا سُدى. ذلك الخسران المبين!!

أخي الدكتور!

ألم يكن في باب من أبواب الخير التي ذكرتُ ما يخلد الرجل ويرفع ذكره؟، ألم يكن في أحد الأمور التي سلفت ما يضمن لجبران الشهرة التي ابتغاها له الأعوان والأنصار؟؟ لكنّهُ المنطق المعكوس، لكنّه الظلم. فسجل يا أخي!! سجل غلطة على غلطات جبران وأعوان جبران (الإنسانيين).

– الأدب مسكين... يظنه كل الناس ذليل الظهر فيركبونه يحملهم إلى الشهرة إنْ هم رأوا ألاّ سبيل إلى الظهور. فالحرب لا قِبَل لهم بها ولا قدرة عليها. والابتداع لا طاقة لهم به ولا وسع. لا سبيل إلى الظهور...!! لأن البلد قد كمل فما فيه محتاج ولا به حاجة. فَلِمَن يُحسن المحسن ليقال له: يا محسن، فيشتهر؟؟

بقي الأدب... مسكين!! ركبوه كلهم...!! كل من أجاد الأبجدية عُد أديباً. وكل من تأتأ كالأطفال حُسب منطيقاً. وكل من هذر اعتبر شاعراً أو فيلسوفاً...!!

---

* – مجلة الأمالي، السنة الثانية، العدد الثالث، 1940.

** – (**الدكتور**): المقصود، هو: عمر فرّوخ (رئيس تحرير الأمالي).

مسكين!! كان الأدب، اثنين ذليلين فجاء ثالثاً.. العير يربط على الخَسْف برمته، والوتد يشَج فلا يُرثى له، والأدب في لبنان يركبه الصبيان، ويدعيه الغلمان!!

أخي الدكتور!

اعتقادي أن الأدب بضاعة، لأن التأدب صناعة. والبضاعة تباع بثمن. وقد تعطى بالمجّان كرماً. أما أن تعطى البضاعة للشاري بالمجّان ويُعطى فوقها ثمناً فهذا ما لم أسمعه ولم أعرفه نزل بكتاب. ولم أرَ غير أدب جبران يُعطى شاريه ثمن أخذه. اعتاد الناس أن يدعو بالأدب إلى فكرة إنسانية عامة أو سياسية خاصة ولم يعتادوا أن يدعوا للأدب نفسه إلاّ إذا كان هذا الأدب لا يقدر على الوقوف بين الناس بركائز. الأدب القوي يدعو لنفسه، ويذيع بنفسه. وإن أقام الناس دونه سدوداً هدمها وتخطاها.

ولو لم يكن أدب **جبران** كسيحاً لما توكأ على عكازة من مال؛ وعلى عكاكيز من أقلام مأجورة، وضمائر معروضة في كل سوق يُنادي عليها: يا من يشتري!! يا من يشتري للتأييد والخَذْل، وللدفاع والهجوم!!

– **لجماعة ما أن تتفق على زعيم وتجمع على رئيس في كل شيء، إلاّ في الأدب.** ولو صرف الناس أضعاف ما صرفوا لما استطاعوا تخليد جبران عن هذه الطريق. فليستريحوا!! إن عجل بني إسرائيل الذهبي لم يلبث طويلاً يُعْكف له، بل كُفِر به وشيكاً، وقد ظل ذهباً. فكيف بجبران الذي لن يظل ذهباً. وقد قُلتَ لي إن جماعة (الأيادي قروض) سيردون وسيحْملون. وهم معذورون!!

إنهم يا أخي، ضفادع جَعَلَت لها غديراً أسمته جبران ونَقت فيه، ولا حياة لها بلا غدير. إنهم يا أخي ابتنوا حائطاً دعوه جُبران، وعَلَوه ليراهم الناس عالين!!

إنهم، يا أخي، ركبوا سفينة واهية تمخر بهم بحر الظهور الهائج المائج!!

فأنت حينما تهدم حائطهم الذي يريد أن ينقض وحين تخرق سفينتهم، فإنما تهدمهم وتخرقهم. إن **جبران لهم مأدبة وكلهم طفيلي والغ**[1] فلا تستغرب سخطهم إن حرمتهم من التطفل والولوغ إنهم لم يغضبوا بجبران[2] بل غضبوا لأنفسهم... فاعذرهم وما عليك منهم

فسيكفيهم الحق وعملك له. وما يدريهم لعل في ذلك فائدة لهم إذ يزادون في الأجر ليحمسوا ويحسنوا الدفاع.

وقد اقترحت يا أخي أن نؤلف كتيباً في جبران وأخطائه وقد خطرت ببالي قصة هلول حين قالوا له: يا هلول، عُدّ لنا المجانين. فقال: (لا بل أعد لكم العقلاء). فَدَعْهُم يا أخي يعدون حسناته لأن ذلك أهون فأخطاؤه أكثر من أن تحصى ولعل في ردهم الذي ينوون أن يردّوا علينا ما يطلعنا على جديد لم تره عيوننا في الصنم الذهبي.

أما أختي في البصر فوفقها الله. إنها لم تفهم ما عنيت. ولو فهمت لما أخذت عليَّ قسماً من جملة انتزعتها فمسخت المعنى كالقارئ الواقف على غير موقف في قوله تعالى: (فويلٌ للمصلين...). إن في الفرائض أن الميت لورثته ما يتبقى بعد دين أو وصية. والذي للناس، يا أختي، دين وأنا حاولت فرزه عن (تركة) جبران لأبرئ ذمته، وبعد ذلك تنالين نصيبك وما أظن شيئاً ينالك.

أما قولك، يا أختي، لو كان جبران حياً لما تجاسرت أن أخط حرفاً، ففرض باطل وأولى لك أن تبحثي في الواقع. ويكفيك أن تعرفي أن أختك (أخت الرجال) وإنها تجاسرت أن تخط حروفاً في مآخذ على من لو قيس إليهم جبران لكان نملة على جبل.

وإنهم لأحياء يرزقون. (ومن كان محقاً كان بالنصر حقيقاً ولا أرضى بباطل من حق)[3]. فخل عنك... وإلاّ فمدي يديك من البصرة وشدي بشعري إن أردت قتالاً. وارفقي بأختك. ووفقك الله.

مريم...

---

(1) **الوالغ**: أحو الطفيلي. هذا للشراب وهذا للطعام (الزمخشري: في (أعجب العجب)).

(2) غضب بالميت، وغضب للحي (المثل السائر).

(3) من هنا تعنى بدل. يا من لم تقرءوا القرآن وتسمعوا قوله تعالى: (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة).

6. فصل في الشعبذة أو الشعوذة(*)

• بقلم: مريم...

حيرتني الشعبذة والشعوذة، أتى جاءتا وأيةً سلكتا إلى لساننا. ولعلّي أقلّ من الأوائل حيرة. فقد دالوا ولم يتفقوا على إحداهما، (**فالجوهري**) نفى الثانية وأثبت الأولى، و(**الثعالبي**) نفى الأولى وأثبت الثانية[1]، وفي (**اللسان**): (إن الشعوذة مستعمل، وليس في كلام أهل البادية). قلت:إن القول ما قالت حزام. أهل البادية ليسوا مُشعوذين، ولا ينبغي لهم أن يكونوا... إنهم قومٌ على صراط مستقيم. صَفَوا نفوساً فلا شيَة، وطهروا قلوباً فلا خبث. والشعوذية والشعبذة — لنرضي الجوهري والثعالبي — شائبة وخَبَث لا يفعلونه فلا يقولونه. وإنهم لكذلك دائماً: سئل أعرابي: كيف تقول: استخذيت أم استخذأت؟ قال: لا أقولهما، قيل: ولِمَ؟ قال: لأني لا أستخذي.

والشعبذة أو الشعوذة بنتُ حيوان[2] معقّد كحيوان أهل المدن. ذلك أن ليس في البادية التواء ولا عوج ولا كذب ولا رياء. ذلك أن البادية صريحة مكشوفة، وغير البادية مُعَمّى مكفور[3] **والبَدَويّ** صريح؛ إن أكل تمطّق وأسمع الجيرنا تمطّقه، وخرج إليهم وله جشأة معناها أني أكلت وشبعت. وإن جاع غزا وصار من صعاليكهم، وهو إنما يعني: أريد أن آكل وفي هذا صراحة صريحة.

أما **المدنيّ**، فإن أكل أكل في زاوية، الزاوية في حجرة، الحجرة في دار، الدارُ في دوّار. وكل ذلك من صُمّ الأحجار. هذا ويطبق شفتيه، ويضع يديه على فيه وَيقْبع[4] في قميص غليظة كيلا يراه جائع ويبصره مُعتَّر. ثم يخرج على الناس ألصق بطنه يظهره، ومشى متحانياً قائم الصلب، متداني الخطو، يوهم الناس أنه جوعان يستحق الشفقة والصدقة. وإن جاع ادَّعى الشبع، فنفخ كرشه حتى تكاد مصرانه أن تتفتّق كذباً... **نصّاب**[5] يريد أن يغرّر بالناس ليُجرَّ

---

* – مجلة الأمالي، السنة الثانية، العدد الثالث، 1940.

مغنماً ويرفع مغرماً. **المدني صخرة، لا يحب ولا يبغض؛ وإن أحب كتم**؛ وإن أبغض تكتم؛ وقد يبدي الحب وهو يبغض، وقد يبدي البغضاء وهو يحب... شعوذةً. أما البدوي فحبه ظاهر وبغضاؤه وهو يحب... شعوذةً. البدوي فحبه ظاهر وبغضاؤه كذلك، يكشف لسانه ما كَنَّ جنانه، لا يُحسّن مذمّماً ولا يذم حَسناً... لا يشعوذ. هذا تأويل قاله (اللسان) فليعلقه من اقتناه وليحشّه على (تاج العروس) من احتواه. **الشعبذة والشعوذة من كلام أهل المدن ومعناه من أفعالهم**. أما المعنى فأصله، كما ذكرت، من تعقد حيوان الحضر ومن التضليل الذي يستلزمه هذا الحيوان. وأما اللفظ فكيف جاء؟؟

– رأيت الشين والعين إذا تتاليا بادى بدئ فاءٌ وعيناً وعزّزا بثالث كان في المعنى ريح التفريق. وقد تعبق هذه الريح حتى يشمها المزكوم؛ وقد تقلّ وتقلّ حتى لا يشمّها إلا الشموم الشموم. ولو حاولت رسم (خط بياني) بادئاً من أول المادة، لتبين لك ذلك، ولرأيته يعلو بسلامٍ ويهبط بلام[6] إلاّ أن الريح باقية في الكثرة والندرة.

(**الشعّ**) من الشعبذة يفيد التفريق ولا يخفى أن المشعبذ نراه يكثر من الحركات والأقوال حتى يُفرّق انتباهنا فتذهل عما يقصد إليه. يضع البيضة على راحته ويبدأ يقول ويكثر، ويتحرك ويكثر؛ يده تشير ورجله تركض وعينه تغمز ولسانه يلمز، والناظر إليه يفرق ملاحظته بين كل هذا فلا يفطن للبيضة إلاّ وقد اختفت. أين راحت؟؟ وبحركة وحركات؛ وكلمة وكلمات؛ يخرج المشعبذ البيضة من أنف الناظر فيكون أول ولد بيوض عُرف... وتقول هذا هو **السحر**.

والباء والذال من شعبذ معناها **الفوز والغلّبة**، من البذّ فتكون (شعبذ) إذن معناها **التفريق** فالفوز. وعلى هذا فالذي يُفرق فيفوز مشعبذ أم مشعبذ، وعلى هذا تكون (**بريطانيا**) **وأخواتها** وهي (أم الباب)[7]، مشعبذات. تفرق الناس إلى طوائف لتسودها. فالهند – والأمثال تُضْرب – لو بزقت طوائفها مجتمعة لكان من ذلك بحر لجّي يغرق العادين، إلاّ أنّ طوائفها شعبذ عليها المتشعبذون، ففرقوها طرائق قِدداً، **فبزقت** كل طائفة على أختها، فغرقت ونجا الظالم وبذّ.

وقد تكون الباء والذال من **البَدَد (بالإهمال) وهو التفريق**. والدال والذال أختان تنوب إحداهما عن الأخرى وتقوم مقامها لتقارب مخرجيهما. وقد قرأ **الأعمش** (فشرِّذْ بهم من خلْفهم) وأشار إلى ذلك **البيضاوي** وغيره بدون عزوٍ إلى أحد. وحديث **أم سلمة** للجارية حين سألها مساكين: يا جارية أبدِيّهم تمرة تمرة، قاله بعضهم بغير الإهمال. والبذ كالبد زنةً ومعنى، ولذلك قالوا: تمر بدّ أي مُفرق لا **يلتزق** بعضه ببعض. وعلى هذا تكون شعبذ فرّق وزاد في التفريق للتأكيد. كما تؤكد الفعل بآخر من معناه فتقول علوتُ ارتفعت.

فالمشعبذ مُفرّق لغاية في نفسه يقضيها فيلتق الشعب المشعبذين لا يفرقوه إلى بطون وأفخاذ وأقل من ذلك. لأني رأيت الخير كل الخير في الجماعة فالصلاة خيرها صلاة الجماعة، وهي لا تزيد عن صلاة الفرد بقول أو فعل إن لم تنقص[8] كأن الله يريد منا أن نعتقد أن الاجتماع أحسن من التفرق، وأن أقرب ما نكون إليه مجتمعين. وأحدهم يقول لسانه: أحسن لنا أن نغرق مجتمعين من أن ننجو متفرقين... أما قلبه فالله أعلم بما يقول...!!!

هذي (شعبذ) **وشعوذ** ما أصلها؟؟. أقول لعل أصلها من **شَحَذْ**. والشَحذ هو التحديد للغرب في كل آلة كالسيف والمواسي، واستبدلت العين بالحاء لأنها حرفا حلْق مثل حشد وعشد بمعنى جمع. وحوَّج وعوَّج سيان ثم زيدت الواو في المبنى في المعنى[9]. مثل عَلِد بمعنى صلب واشتد وعَلوَدَ بمعنى زاد صلابة وتمكّناً فلا يتزحزح. ومن (شحذ) أخذ الشحاذ المُلحّ في الطلب كالشاحذ يدأب على الغرب يحدّه.

فالشحّاذ أخو المُشعْوذ[10] يُلح في كلامه وحركته، حتى يصرفك عن أمر أنت له محب، ويأتي بك إلى أمر أنت له قال كاره. يضعف اليقين ويُقوي الشك أو يجعل من الشك يقيناً كما يخلق من الباطل حقاً... (أخذ كالسحر يُري الشيء في رأي العين بغير ما عليه أصلة)[11] وأزيد أنا على (رأي العين) رأي العقل والبصيرة. وإن كان هذا **فكلنا مشعوذون ومشعوذات، التاجر والسياسي، والأم في بيتها وكل راعٍ في رعيته**. والمشعوذ يُدعى أبا العَجَب. وهي كنية يكنى بها الدهر المتقلب ذو التعاجيب. وعلى هذا تكون المرأة (أم العجب) وأباه معاً لأن الدهر ليس كالمرأة تعجيباً وتقلباً. وهو يدعوها: يا معلمتي. قال الأمير الشاعر[12]:

وقالت لقد أودى بك الـدهرُ بعـدنا فقلتُ معاذَ الله بـل أنـتِ لا الـدهرُ

وأنا أزيد — وإني لمن معشر النساء — وأقول معاذَ الله ألفاً... بل أنت أبو العجب وأمه ابنها المرأة لا الدهر. أنت خيرُ من شعوذ ولا فخر...!!! أنت بنتُ أمك... كان آدم في نعيمين، رضا الرب والجنة، فأخرجته إلى جحيمين؛ غضب الرب والندم في الأرض.. أخرجته بالـشعوذة... هكذا. الجنة التي عرضها السموات والأرض... التي فيها وفيها... كان آدم قانعاً بها لكن حواء ضيقتها عليه وقللتها في نظره، وحصرتها كلها في الشجرة المحرمة وشعوذت عليه وأخذته بسحر فأكلا فهبطا منها وهبطنا نحن منهما للتعس والشقاء.

يا ترى أي مقدرة على الشعوذة أوتيت حتى أضلت نبياً مقرباً إلى الله، وأية طرائق اتبعـت حتى أرته حسناً ما يراه الله غير ذلك؟؟ يا ترى أي لسان ذرب،ن وأية حركة خفيفة كانا فيهـا حتى أخذته بأخذ كالسحر فأطاعها وعصا الله... لا أستطيع أن أتخيل هذا ولا بعضه...!!!. إننا منها بضعة... تذهب إحدانا مع أبيها إلى السوق تتحوج لها حاجة واحدة فتشعوذ عليه وترجع بحاج[13]. وكفا بنا شعوذة إن بشعتنا بأحمر وأبيض وأسود تخلق من وجهها وجهـاً سـبحان الخالق... واحد اثنين ثلاثة[14] وكانت بشعة فصارت جميلة... وكانت... باسـم الله أعـوذ فصارت ما شاء الله[15] رقيتك من كل عائنة...

وفي الرجال مشعوذون!. يخطب أحدهم الناس من على مدفع، وليس من على خـشبة أو متن جواد، ويحمل أحدهم مظلة في الربيع حين لا قرَّ ولا حرَّ. **ويدعي أحدهم فخـراً بهـدم (الباستيل) وهو له في كل بلد من بلاد المساكين (باستيلات) حشوها مظاليم مساكين!!!** إلاّ أنه يريد أن يهوش ويشعوذ... أي علينا[16]؟؟؟ ونحن بُك مبتلون؟؟

وأبغضُ المشعوذين عندي **جمعية المشعوذين في جنيف**، بلد الجَنَف، والائتمار بالـضعفاء. وأغرب ما أستغربُ في هذه المنسرة، أن كل واحد يعرف أن الباقين يشعوذون عليه، فيـسكت وسكوته شعوذة. يا غرائب... يا عجائب...!! وأغرب من ذلك أننا كلنا نعرف ذلك، ولكننا لا نزال نهرع مهطعين إليها عند الملمة كما هرع أسد الله النجاشي... يحمل إليها أنبـاء الظلـم

كحامل التمر إلى هَجَر... وهي التي تظلم... وهي التي تقرر الظلم... ثم شعوذ علينا تريد حملنا على الاعتقاد أنها من ذلك براء. إننا، بني آدم، لا نزال نؤمن بالسحر... بالشعوذة!

مريم...

---

(1) تاج العروس. (2) حياة. (3) مغطى. (4) يدخل رأسه في جيبه.

(5) ليس في **(مادة نصب)** ما يفيد الاحتيال والغش بالمعنى الدارج، لعله الذي ينصب نفسه لعمل ليس له كالمترسل وليس برسول، والمتوزر وليس كذلك أو لعله من نصب الشرك ليصيد، وعلى هذا يكون كل الناس نصابين.

(6) اللام من **(فعل)**.

(7) في النحو: **(كان)**، و**(إن)** أما بابيهما... ولهما امتياز كبريطانيا وفرنسا، **وأصبح وليت** أختا كل على التتالي فاعجب لأم وأخت معاً... وأعجب لبريطانيا وفرنسا من أمهات يأكلن الأولاد كالضباب.

(8) في الصلاة وراء الإمام، اختلف أصحاب المذاهب في قراءة المأموم في صلاة الجهر وعدمها. كما اختلفوا في القراءة في صلاة غير الجهر أيضاً.

(9) ابن جنّي. (10) حُمِل على صيغة المفعول للمبالغة. (11) التاج. (12) أبو فراس.

(13) جمع حاحة، كساعٍ جمع ساعة.

(14) الأعدا المرسلة، التي يقصد بها العدد فقط، تبنى على السكون (درة الغواص وشرح ابن عقيل).

(15) كنايات عن القبيح الذي يعاذ منه، والمليح يمسح عليه بما شاء الله... **والعائنة** التي تصيب بالعين.

(16) حذف المنادى للعلم به ولشهرته. وأصلها أي هذا علينا تشعوذ؟؟

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مُلحَقْ:

صُـــوَرْ

عبد الرحيم محمود – في الثامنة عشرة، طالباً في مدرسة النجاح – نابلس.

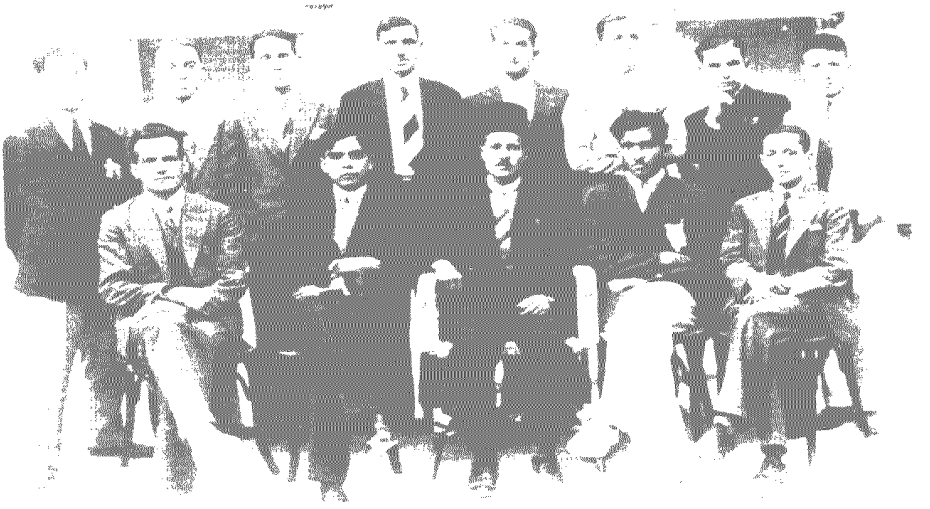

(جماعة اللغة العربية في مدرسة النجاح بنابلس، عام **1931**).

- الجالسون من اليمين: الطيّب بَنّونة (المغرب)، عبد الرحيم محمود، علي نويهض، داوو أبو غزالة، برهان الدين العبوشي.

- الواقفون من اليمين: واصف الصليبي، (مجهول)، ورحي الأحمد، (مجهول)، محمد سعيد السنتريسي، محمد الفاسي (المغرب)، حمد بن جَلّون (المغرب)، شاهر الضامن.

عبد الرحيم محمود – معلّماً في مدرسة النجاح، عام 1935.

عبد الرحيم محمود – عام 1946.

قصيدة: (إلى العُمّال)، بخطّ عبد الرحيم محمود.

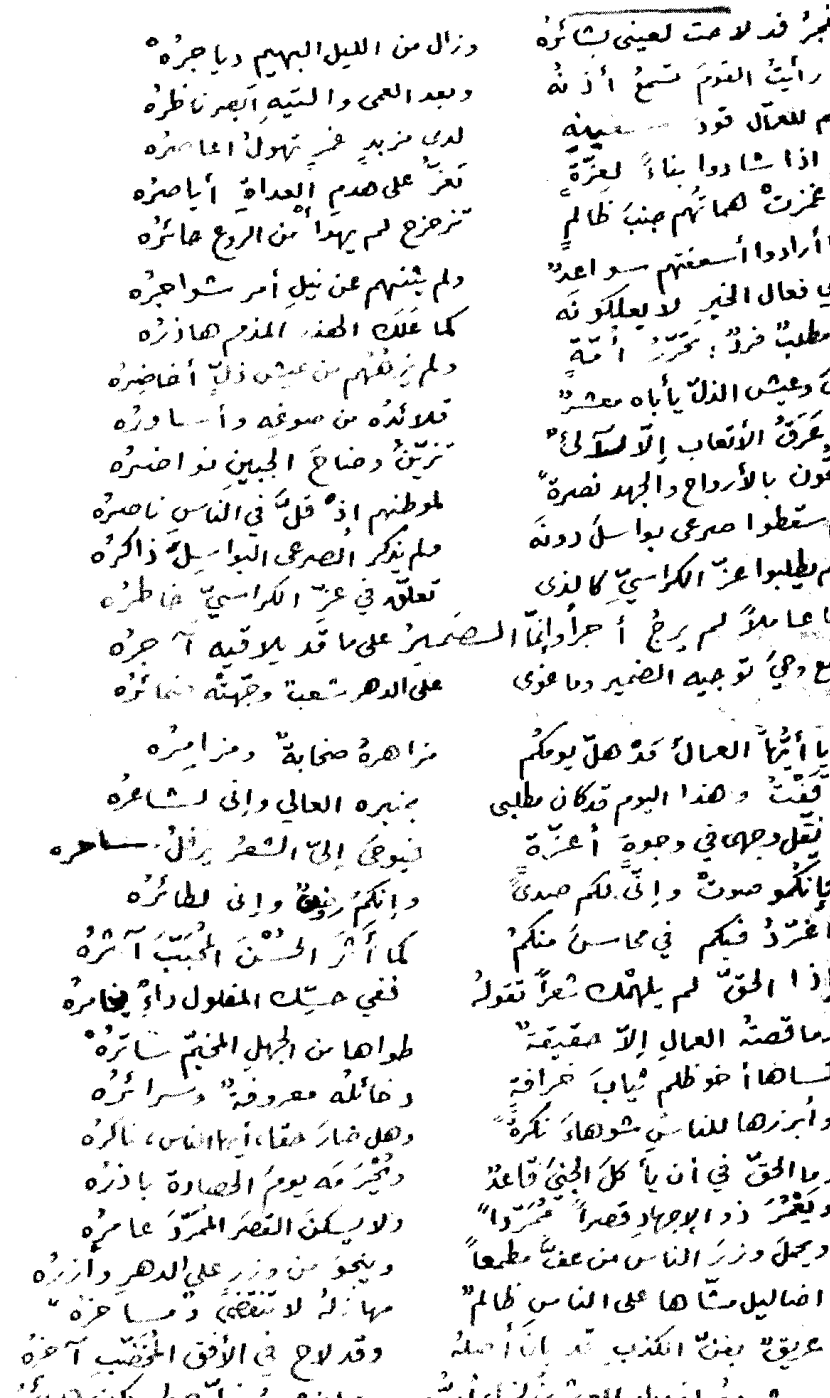

فلا تخدعنكم أيها الناس قالة
فما مغبر الأجواف إلا قلوبهم
أيخدعنا بالعدل من بعد كاذب
كما خدعت باريس خلقاً مُرزّداً
تمنّ على الإنسان عفاً وتدّعي
تجرّد من قوم وحوشٍ مؤوبا
جرت في الورى أبجاده الغرّ نغمة
ومن جعل الاستقلال حامي عرضه
أباريس هلاّ كان جمعك للذي
ولم يبق أنف منك إلا أذلّه
وما أنا يا باريس بادعُ أمره
ولكن بتعبيري ذلك عبره
أأنت خلقت العدل يا عدل الذي
كعدل الذي في ادمع الناس أقلعت
رمانا جراداً جرّ مكلاً وأدمعاً
بلونا بذؤبان نفايا مالك
ومن أضمر السوءى ثُرِدْ لنحره
تعنّى بأطلال السلام تُعيدُه
وراع على أهل الزمان مكابراً
وما العدل؟ مات العدل من قبل واندثر
ويا أيها العالم ما الحق في الورى
ومن رام ما بين الوحوش معيشة
ألم تر أن الوحش يهدر بعضه
وما خُلط بالحق إلا تعلّة
وما الحق إلا قوة وعزيمة
وسعي بميدان النضال موفّق
ونار تذيب القيد في جمراتها
ولا يحرف العادين جرفاً وظلمهم
ولا مثل توحيد الصفوف لمبتلى
فيسمع أقصى الأرض زأرة أسده
وما وفدكم، قد بارك الله وفدكم
وما عقدكم من حبل الود زاهره
تغرّد عصفورٌ وبلّغ بولسٌ

ترددها أسلاكه ومنابره
ولا مقبر الانصاف إلا جزائره
وخلنا بالوعد من بعد غادره
بنور تداعت دوره ومنائره
لها السبق في اعماقه وهي كادره
لشعب شهيراتٌ غطى مآثره
وسارت على هام الزمان مفاخره
تصير به نحو الهوان مصائره
على ذيل ثوب الظلم واستك باكره
وأرغمه في طينك القذر قاهره
ولا قارئ السفر القبيح وناشره
وكم خاطئٍ قد أصلحته معايره
كما هبت الأوتاد الذكر عاهره
وفي الدم عبّت دُغنه وسواعره
ولله ما انفكت إلينا جرائره
وربتنا أضغى وهنّ بواقره
ودائس على ذي الكيد قدماً دوائره
وما فيه إلا غدره وتآمره
يناقر في العدل الورى ويكابره
وما الحق؟ نام الحق والقضّ ساهره
سوى هيج ما نالة قطّ ناظره
فلا تقصرنّ عند الكفاح أظافره
ويعدو على مستضعفيه كواسره
يغرّد فيها طائش العقل قاصره
يُعوّذه رُقْيٌ ويرقيه باتره
يعوذ به من فائت السعد غابره
وليس يفكّ القيد إلا صواهره
كمثل دم الأبطال يهدر فائره
به يدفع البلوى ويكبن غائره
وتنفذ في ثقب الإبر أبابره
سوى مظهر التوحيد أشرز ظاهره
وما عقدكم من حبل الود زاهره
وبولسُ ذو أيدٍ يرد بنانه

إذا قال سال الحق من كلماته
وأحمل طه حجة في همائم

ويا معشر العال طالت قصيدتي
وصدر قصيدي المطول انتو

وإن لم أقل في العاملين قصائدي
ولي مقول وقف على نصح أمتي

وصيرت قلبي بالتعاليل والمنى
وقلت هذا قومي سينهضون راشدا

يسير على درب الفضيلات لابثي
فعودوه يا عمال انتم إلى الهدى

وأدوا رسالات الحرية علة

وخلصته أفكاره من شوائبه
فوق مولية وأدبر دابره

وواتاني العاص والنفس نافره
وكل قصيد رائع وصادره

فلا سار من شعري المرقص سائره
وروع على الأوطان إني ناذره

وقد ضاق عن دنيا التعاليل صابره
وقومي لم يفتأ على الغي سادره

ويعلم أن الأمر شتى مخاطره
فليقي عصا التسيار عنه وزائره

يصيح لها ساعاً ويؤمن كافره

عبد الحميد

رسالة إلى إبراهيم طوقان – بخطّ عبد الرحيم محمود.

٣٥/١/١٩

أخي الحبيب !!

أحمدك، وصيانك، مدينان لك بشيء كثير. فقد كنت أول من غرس في روحي تذوق الجمال، وأول من أدخل إلى ساحة التصور والخيال. وإنك لأزال، كما كنت، ملهمي والآخذ بيدي لآخر الشوط. فبأي لسان أشكرك؟ أعطني!!

وصلني، أي استاذي، ما بعثت ولقد شعرت بغبطة لتذكرك إياي لا تدانيها غبطتي أيام كنت تروض صباي الغرور، وأيام كنت تدفعني شجعاً لا تقدم.

تلك أيام لن أنساها. ولن أنسى ما تلاقى في الصف ولد في صورته صورة يلذ بها نظري، وأخرى تقترن بصديق. وكنت، وأنا البيطار، كالوطن فأحسك وأنت لا أزال لي الثوب بالثوب فما أجدك، وأنت المادة، إلا ضيالاً من الخيالات الجميلة التي لا تنفك تخطر على فؤادي.

أنت أبرع المخلوق الجميل تحلني بما تصنع عين من معروف. وأنت أبرع الساحر الفذ تقيدني بأحابيل جميلة، وإنك لتولمني بذلك لأنه ليس في استطاعتي أن أجزيك بعض أياديك.

ولكن ثق أني لك دائماً أوفى من الذين لم تلدهم أمك، وأني لك دائماً سيف إن ضربت به قطعت، وإن أمرتني اطعت. ولا أنسى في ختام أن أرفع لسيدتي أم جعفر سلامي واحترامي.

وشكراً للطفل معي.

أدام الله للخيال مثالك، وفي السعادة آمالك

أخوك

عبد الرحيم محمود

سلم على يوسف الذي ما فيه من حسن الذي رعوا الأ...

رسالة من (عمر فَرّوخ) إلى عز الدين المناصرة، 1984.

عمر فـرّوخ
ص.ب ٩٤١ بيروت (تلفون ٣١٠٤١٨)

في ١٨ صفر ١٤٠٥ ~~١٣~~ ١١ / ١١ / ١٩٨٤

حضرة الدكتور عزّالدين المناصرة ـ قسنطينة (الجزائر).
السلام عليكم. وبعد، فقد أعطتني مكتبة يافث (مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت) نسخة من رسالتكم المؤرّخة في ١٢/١٠/١٩٨٤ (والبريد عندنا بطيء جدًا). وقد أحببت أن أفيدكم بأن "مريم" اسم رمزي وتوقيع مستعار كتب به الشاعر الفلسطيني عبد الرحيم محمود (قتل في معركة الشجرة في شمالي فلسطين، ١٩٤٨). والذي أعرفه أن مكتبة الجامعة الاميركية كانت، منذ الاسبوع الماضي، في سبيل تصوير المقالات المذكورة.
وفي الختام تقبّل سلامي.

(عز الدين المناصرة) مع عبد الكريم (أبو سلمى)، صوفيا، **1980**

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفهرس

- (مقدمة) عزالدين المناصرة (الجامع والمحقق): 5
- (ثقافة المقاومة): ثقافة الحياة الحُرّة 12
- نقد الطبعات السابقة 12
- الإضافات الشعرية الجديدة 23
- الإضافات النثرية الجديدة 24
- أسلوب التحقيق 26
- قيل في عبد الرحيم محمود 28
- (شكر) 32

القسم الأول: الديوان

1. الشهيد..... (19 بيتاً) 37
2. شعب فلسطين..... (30 بيتاً) 39
3. حفي اللسان وجفت الأقلام..... (72 بيتاً) 41
4. بطل شهيد..... (36 بيتاً) 45
5. أنشودة التحرير..... (39 بيتاً) 47
6. نداء الوطن..... (20 بيتاً) 50
7. شرقٌ وغرب..... (20 بيتاً) 52
8. وعد بلفور..... (19 بيتاً) 54
9. ذكرى الزمان..... (45 بيتاً) 56
10. إلى كل متهاود..... (8 أبيات) 59
11. أيام النضال..... (4 أبيات) 60

12. الحنين إلى الـوطن..... (19 بيتاً) 61
13. سياستنا تـسال..... (15 بيتاً) 63
14. رأيت فقلـت..... (31 بيتاً) 64
15. المسجد الأقـصى..... (30 بيتاً) 66
16. روضٌ... وإنـي عندليبـه ..... (65 بيتاً) 68
17. قم يا صلاح الـدين..... (12 بيتاً) 72
18. ثورة دمشق وبـيروت..... (57 بيتاً) 73
19. طوفان سـوريا..... (34 بيتاً) 76
20. في العيد تلتئمُ الجـراح..... (37 بيتاً) 78
21. يقظة النيـل..... (37 بيتاً) 81
22. كان غـازي..... (15 بيتاً) 83
23. يا عامـل..... (25 بيتاً) 85
24. نحن المصادر والمـوارد..... (45 بيتاً) 87
25. إلى العمـال..... (73 بيتاً) 90
26. ثورة العـاملين..... (22 بيتاً) 94
27. رثاء حـمَّال..... (33 بيتاً) 96
28. في حالة غـضب ..... (17 بيتاً) 98
29. حجر في كثبان الرمـل ..... (23 بيتاً) 99
30. جفت على شـفتي الأمـاني ..... (30 بيتاً) 101
31. رهـين المحبـسين ..... (30 بيتاً) 103
32. أحـاجي ..... (71 بيتاً) 105
33. تبـسّم ..... (28 بيتاً) 110
34. الغـد ..... (9 أبيات) 114
35. أخاف مـن العيـد ..... (30 بيتاً) 115
36. لزوميـات ..... (93 بيتاً) 117
37. كتاب أضـاء الظُلُمـات ..... (42 بيتاً) 126

38. ليلـــة ذات فجـــرين	(28 بيتاً)	.....	129
39. لما اكفهرّت أوجـــه الليـــالي	(100	.....	131
40. كتاب لا يفيه المـــديح	(41 بيتاً)	.....	137
41. (وأعـــدوا)	(38 بيتاً)	.....	140
42. الفـــلاح	(74 بيتاً)	.....	143
43. قـــم بنـــا	(15 بيتاً)	.....	148
44. بـــــديع الـــــشعر	(21 بيتاً)	.....	149
45. حوشوا البنات من الـــشوارع	(21 بيتاً)	.....	151
46. قطر النـــدى	(بيتان)	.....	153
47. نجـــوى المحتـــضرة	(38 بيتاً)	.....	154
48. بيني وبـــين قلـــبي	(12 بيتاً)	.....	157
49. يا ليـــتني	(3 أبيات)	.....	158
50. ســـلمى ارحمـــيني	(5 أبيات)	.....	159
51. راح الذي بيننـــا	(18 بيتاً)	.....	160
52. نون النـــسوة	(43 بيتاً)	.....	162
53. مخلوقة أنت فلا تكـــبري	(20 بيتاً)	.....	165
54. جيش الحبائـــب	(17 بيتاً)	.....	167
55. كبرياء الحـــب	(13 بيتاً)	.....	169
56. إليهـــا	(10	.....	170
57. السكر شـــغلي	(7 أبيات)	.....	171
58. لـــعـــبـــــه	(6 أبيات)	.....	172
59. يا لائمـــي في الحـــب	(7 أبيات)	.....	173
60. يا حيـــاتي	(14 بيتاً)	.....	174
61. يا غـــزالاً	(4 أبيات)	.....	175
62. يا ملاكـــي	(15 بيتاً)	.....	176
63. وعـــود	(5 أبيات)	.....	178

64. همسة ..... (20 بيتاً) 179
65. يفنى المشتاق ..... (16 بيتاً) 181
66. من سوانا مخلص في حبه ..... (4 أبيات) 182
67. كنعان من زيتونه أهدى لها ..... (4 أبيات) 183
68. عبير ..... (19 بيتاً) 184
69. جرحان ..... (21 بيتاً) 186
70. هكذا الأزهار تذوي ..... (4 أبيات) 188
71. بكى دماً ..... (5 أبيات) 189
72. شباب ومشيب ..... (27 بيتاً) 190
73. نشيد: أنت للعُرْب ..... (10) 192
74. أنشودة التجديف ..... (7 أبيات) 193
75. الشباب ..... (8 أبيات) 194
76. أبيات متفرقة ..... (7 أبيات) 195

القسم الثاني: المقالات النقدية

1. ليس دفاعاً عن إبراهيم طوقان 199
2. ما جبران؟ 205
3. ما جبران؟ 215
4. أصناف السراقين 228
5. الأدب المسكين 231
6. فصل في الشعبذة أو الشعوذة 234

- ملحق: صُوَرْ 239
- الفهرس 251

مؤلفات الشاعر – عزالدين المناصرة

- مواليد 1946/4/11، بفلسطين.
- حصل على درجة الدكتوراه في الأدب المقارن في جامعة صوفيا، 1981، وحصل على رتبة (الأستاذية) في جامعة فيلادلفيا، عمّان، 2005. عاش متنقلاً في البلدان التالية:

1. فلسطين، (1946–1964)
2. مصر، (1964–1970)
3. الأردن، (1970–1973)
4. لبنان، (1973–1977)
5. بلغاريا، (1977–1981)
6. لبنان، (1981–1982)
7. تونس، (1982–1983)
8. الجزائر "قسنطينة"، (1983–1987)
9. الجزائر "تلمسان"، (1987–1991)
10. الأردن، (1991– ...)

1. مجموعات شعرية:

1. **يا عنب الخليل**، القاهرة، 1968.
2. **الخروج من البحر الميت**، بيروت، 1969.
3. **مذكرات البحر الميت**، بيروت، 1969.
4. **قمر جرش كان حزينا**، بيروت، 1974.
5. **بالأخضر كفناه**، بيروت، 1976.
6. **جفرا**، بيروت، 1981.
7. **كنعانياذا**، بيروت، 1983.
8. **حيزيّة: (عاشقة من رذاذ الواحات)**، عمّان، 1990.
9. **رعويّات كنعانية**، قبرص، 1992.
10. **لا أثق بطائر الوقواق**، رام الله، 2000.
11. **(باللغة الفرنسية)**: مختارات من شعره بعنوان، **(رذاذ اللغة)**، ترجمة: الدكتور محمد موهوب، وسعد الدين اليماني، دار سكامبيت، بوردو، فرنسا، 1997.
12. **(باللغة الفارسية)**: مختارات من شعره بعنوان **(صبر أيوب)**، ترجمة الدكتور موسى بيدج، طهران، 1997.
13. **(باللغة الإنجليزية)**: مختارات من شعره، ترجمة: الدكتور عيسى بُلاّطة، منشورات مهرجان الشعر العالمي، روتردام، هولندا، 2003.
14. **(باللغة الهولندية)**: مختارات من شعره، ترجمة كيس نايلاند، منشورات مهرجان الشعر العالمي، روتردام، هولندا، 2003.
15. **الأعمال الشعرية، (في مجلّدين)، الطبعة السادسة**، دار مجدلاوي، عمّان، 2006، (1086 صفحة).

2. كتب نقدية:

1. السينما الإسرائيلية في القرن العشرين، بيروت، 1975.
2. (جمع وتحقيق) – الأعمال الكاملة للشاعر الفلسطيني الشهيد – عبد الرحيم محمود، دمشق، 1988.
3. النقد الثقافي المقارن، عمّان، 1988.
4. علم الشعريات، عمّان، 1992.
5. حارس النص الشعري، بيروت، 1993.
6. الجفرا والمحاورات – قراءة في الشعر اللهجي في فلسطين الشمالية، عمّان، 1993.
7. جمرة النص الشعري، عمّان، 1995.
8. شاعرية التاريخ والأمكنة – (حوارات مع الشاعر المناصرة)، عمّان، 2000.
9. إشكالات قصيدة النثر، عمّان، بيروت، 2002.
10. موسوعة الفن التشكيلي الفلسطيني في القرن العشرين (في مجلّدين)، عمّان، 2003.

11. لغات الفنون التشكيلية، عمّان، 2003.
12. الهويّات والتعددية اللغوية، عمّان، 2004.
13. علم التناصّ المقارن، عمّان، 2006.

3. مشاركة في (مراجعة وتحرير) كتب أكاديمية:

1. العولمة والهُوية – منشورات جامعة فيلادلفيا، 1998.
2. الحداثة وما بعد الحداثة – منشورات جامعة فيلادلفيا، 1999.
3. الحرية والإبداع – منشورات جامعة فيلادلفيا، 2001.
4. العرب والغرب – منشورات جامعة فيلادلفيا، 2003.
5. الحوار مع الذات – منشورات جامعة فيلادلفيا، 2004.
6. استشراف المستقبل – منشورات جامعة فيلادلفيا، 2005.
7. ثقافة الخوف، منشورات جامعة فيلادلفيا، 2007.
8. **(مراجعة وتقديم):** كتاب – السيميائية: أصولها وقواعدها، ترجمة: الدكتور رشيد بن مالك، دار الاختلاف، الجزائر، 2002.

4. كتب نقدية عن تجربته الشعرية، والنقدية:

1. **محمد بن أحمد، وآخرون:** البنية الإيقاعية في شعر المناصرة، منشورات اتحاد كتاب فلسطين، رام الله، 1998.
2. **عبد الله رضوان، (جمع وتحرير):** امرؤ القيس الكنعاني – قراءات في شعر المناصرة، المؤسسة العربية، بيروت – عمّان، 1999.
3. **ليديا وعد الله:** التناصّ المعرفي في شعر المناصرة، دار مجدلاوي، عمّان، 2005 – (رسالة ماجستير)، **جامعة قسنطينة**، الجزائر.
4. **د. فيصل القصيري:** بنية القصيدة في شعر المناصرة، دار مجدلاوي، 2005 – (رسالة دكتوراه)، **جامعة الموصل**، العراق.
5. **د. محمد صابر عبيد:** حركية التعبير الشعري في شعر المناصرة، دار مجدلاوي، 2005.
6. **سامح حسن صادق:** عزالدين المناصرة، وفنّه الشعري، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، 2005– (رسالة ماجستير)، **كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.**
7. **زياد أبو لبن، (جمع وتحرير):** غابة الألوان والأصوات في شعر المناصرة، دار اليازوري، عمّان، 2005.
8. **د. محمد بودويك:** شعر المناصرة: بنياته، إبدالاته، وبُعده الرعوي، دار مجدلاوي، 2006 – (رسالة دكتوراه)، **جامعة فاس**، المغرب.
9. **د. محمد عبيد الله، (جمع وتحرير):** شعرية الجذور، قراءات في شعر المناصرة، دار مجدلاوي، 2006.
10. **صادق الخضور:** التواصل بالتراث في شعر المناصرة، دار مجدلاوي، عمّان، 2007 – (رسالة ماجستير)، **جامعة الخليل**، فلسطين.
11. **مي عبد الله عدس:** أنثى القصيدة في شعر المناصرة، (رسالة ماجستير)، **جامعة اليرموك**، الأردن، أيار 2006، (غير منشورة).
12. **فتيحة كحلوش:** بنية المكان في شعر سعدي يوسف، وعزالدين المناصرة، (رسالة ماجستير)، **جامعة قسنطينة**، الجزائر، 1997، (غير منشورة).
13. **د. فريال غزول،** (إشراف): الفلسطينيون، والأدب المقارن: (روحي الخالدي، إدوارد سعيد، عزالدين المناصرة، حسام الخطيب)، منشورات قصور الثقافة، مصر، 2000.
14. **ساطي القطيش:** الصورة الشعرية في شعر المناصرة، (رسالة ماجستير)، **جامعة مؤتة**، الأردن، ديسمبر 2006 – (غير منشورة).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الأعمال الكاملة للشاعر الفلسطيني الشهيد

عبد الرحيم محمود

منذ استشهاد الشاعر الفلسطيني عبد الرحيم محمود عام ١٩٤٨، تتواصل جهود الباحثين والنقّاد لتحقيق أعماله الأدبية كاملة. منذ الطبعة الأولى لديوانه في الأردن عام ١٩٥٨، (٤٢٨ بيتاً)، وحتى تحقيق حنّا أبو حنّا، في الناصرة عام ١٩٨٥، (٩١٣ بيتاً) - يبدو صحيحاً حتى الآن، أنّ (الجهد الأوفى) الذي تحقّق في هذا المضمار، هو ذلك الجهد الذي أنجزه الشاعر عزالدين المناصرة (جمعاً وتحقيقاً)، حيث بلغ (١٩٦٤ بيتاً شعرياً، وستّ مقالات نقدية)، الصادر عام ١٩٨٨ في دمشق، ثمّ في عمّان، عام ١٩٩٣.

أنطوان شلحت
جريدة دفاتر العدد ١٧،
رام الله، فلسطين، تموز ١٩٩٨.

لابُدّ من الإشارة إلى (الجهد المميّز) الذي قام به الشاعر والناقد الفلسطيني عزالدين المناصرة، في (جمع وتحقيق) ديوان عبد الرحيم محمود، حيث وصل عدد الأبيات في طبعة المناصرة إلى (١٩٦٤ بيتاً)، إضافة إلى ست مقالات نقدية، بينما جمع الشاعر حنّا أبو حنّا، بالاشتراك مع لجنة مركز إحياء التراث وأقرباء الشاعر الشهيد (٩١٣ بيتاً)، والفرق واضحٌ، وكبير.

صبحي شحروري
مجلة الشعراء، رام الله،
العدد الثاني، خريف ١٩٩٨.

دار جرير
للنشر والتوزيع
www.darjareer.com
9789957381196